

كتاب بَيْعُ التَّفْسِيرِ

لأبي الفضل
عبد الله محمد الصديق الغماري
الحسيني الأديسي



كتاب بدائع النفايس

لأبي الفضل
عبد الله محمد الصديق الغماري
الحسني الإدريسي
عفي عنه

نشر وتوزيع
دار الرشاد الحديثية
98 شارع فيكتور هيكو
الهاتف : 748.17 - 732.56
الدار البيضاء (03)

الطبعة الثانية 1406 — 1986
جميع الحقوق محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا كِتَابٌ مَا سُبِقَتْ بِمِثْلِهِ
جَمُّ الْفَوَائِدِ نَاضِجُ الشُّرَاطِ
مَهْدَتْ فِيهِ مَسَائِلًا وَقَوَائِدًا
كَتَفَى عَنْ التَّفْسِيرِ بَعْضَ هِنَاتِ
جَلِيتُ فِيهِ حَقَائِقًا لَا يَنْبَغِي
جَهْلٌ بِهَا لِمُفْسِّرِ الْآيَاتِ
فَمَعِينُهُ « بَدَعَ التَّفَايِيرِ » الَّتِي
جَاءَتْ مِنْ الْأَقْوَامِ بِالْعَثَرَاتِ
أَرْجُو مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ نَوَالَهُ
مَحْوُ الذُّنُوبِ وَمَنْحَ فَضْلِ هِبَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لمن أنزل الكتاب . تذكرة لأولى الألباب . ووفق لفهم ما أودع فيه من دقائق الخطاب . وأبقاه برهانا على صحة دينه إلى يوم الحساب . أحمد ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، شهادة عبد مخلص أواب . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، مؤيدا بالآلائ القاطعة للشك والارتياب صلى الله عليه وسلم . ماطلع نجم وغاب . ورضى عن آله الكرام ، وصحابته العظام ، ومن تبع هديهم إلى يوم المسآب .

﴿ أما بعد ﴾ فهذا مؤلف عجيب ، ليس له في بابه ضريب ، تضمن التنبيه على بعض التفاسير المخطئة ، وقد تكون أحيانا خاطئة (١) يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى ، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه ، لنبو لفظه عنها ، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة ، أو نحو ذلك . وسميته « بدع التفاسير » ، وهي عبارة الرنخسرى في كشفه يقولها حين يحكى بعض تلك التفاسير . وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التي كان صلبا فيها ، متمسكا بها إلى حد التعصب والاعتساف . جريشا في القول بمقتضاها ، حتى صدرت عنه عبارات غير لائقة (٢) أو بسبب غلظه في الأعراب ، أو مخالفته لسبب الزول . ولم

(١) أى آثمة ، والمراد أصحابها . أى أنهم آثمون . قال تعالى (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) وفي الحديث « لا يحتكر إلا خاطيء » ، وأغلب كتاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ « خاطيء » بمعنى « مغاليء » ، فيقولون : أفكار خاطئة يقصدون مخطئة . وهذا من جملة الأغلاط التي ذل بها لسانهم ومرن عليها قلوبهم .
(٢) وسماء العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي في مبحث التكذيب بالقدر من الزواجر : حامل راية المعتزلة إلى النار . وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه ، غير صحيح .

أقصد بهذا المؤلف استيعاب التفسير المخطئة والخطأية فإن ذلك غير متيسر
لى الآن . وإنما قصدت ذكر مثل تكون نموذجاً للمالم يذكر ، وعنوانا عليه .
ويمكن أن أحيل القارئ على نوعين من كتب التفسير :

أحدهما : تفاسير المعتزلة ، كتفسير أبي مسلم محمد بن بحر الأصفهاني ،
وتفسير أبي الحسن علي بن عيسى الرمانى ، وتفسير أبي علي محمد بن
عبد الوهاب الجبائى ، وغيرها من التفاسير التى تكثر فيها البدع ، لسببين :

الأول : أن أصحابها جرأ على القول فى التفسير بالرأى ، لا تردعهم
هبة القرآن ، ولا خشية من منزله ، وإذا عورضوا بحديث صرح فى آية
بخلاف ما فسروه بها ، سارعوا إلى الطعن فيه وإنكار صحته ، كحديث صهيب
- فى صحيح مسلم - عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (للذين أحسنوا
الحسنى وزيادة) أن الزيادة : النظر إلى الله تعالى ، فقد طعنوا فيه ، ونسبوه
إلى المشبهة والمجبرة (١) يعنون أهل السنة ، لأنه خالف تفسيرهم الزيادة
بالتفضل الزائد على الثواب ، مع أن النظر تفضل بل هو أعلى أنواعه .
فكم من حديث متفق على صحته ، أو مستفيض ، أو متواتر . كان نصيبه
عندهم الرفض المطلق ، لمجيئه بخلاف ما رأوه وقرروه .

والثانى : أنهم جعلوا قواعد مذهبهم فى العدل وخلق القرآن ، وخلق
المكلف أفعاله ، ونفى الكلام النفسى ، ونفى تعلق المشيئة الإلهية بالمعاصى
والمباحات واستحالة رؤية الله تعالى ، وخلود العاصى فى النار مثل الكافر .

(١) قال الزنجشري فى الكشف : وزعمت المجبرة : أن الزيادة هى النظر إلى
وجه الله تعالى ، وجاءوا بحديث مرقوع . قال الطيبي فى حاشيته : قوله : مرقوع ،
هو عنده بالقاف أى مرقع معدل ، وهو عند أهل السنة بالفاء اهـ والمجبرة بضم
الميم وسكون الجيم وكسر الباء ، نسبة إلى القول بالجبر ، وهذا الاسم يطلقه المعتزلة
على أهل السنة .

أصولاً مسلمة ، أولوا لها ضواهر الآيات ، وخصصوا بها عمومات القرآن ،
وقيدوا مطلقه ، وبأجالة جعلوا قواعدهم حاكمة على آى القرآن
الكريم ، بحيث لا تفيد إلا مذهبه ! وتفسير الكشاف ، شاهد صدق
على ما نقول .

ثانيهما : تفاسير بعض المعاصرين . وهى :

(١) المصحف المفسر ، لمحمد فريد وجدى .

(٢) أوضح التفاسير ، لمحمد عبد اللطيف الخطيب .

(٣) تفسير أبى زيد الدمهورى .

(٤) تفسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم ، لعبد الجليل
عيسى . فإن فيها كثير من بدع التفاسير ، وأكثرها بدعا ، وأشدّها وقاحة :
الثانى (١) والثالث ولا يقل عنها ما كتبه محمود شلتوت فى التفسير ،
وعبد الوهاب النجار فى قصص الأنبياء . ولقد بلغ من جرأة الأخير فى بدعته ،
أنه يذكر الحديث عازيا له إلى الصحيحين . أو أحدهما ، ويكون مخالفا لرأيه ،
فيعلق عليه بالرد ، وقد يصحب رده بالطز والسخرية ، كما فعل بحديث
فرار الحجر بثوب موسى عليه السلام (٢) ولا حظت على عبد الجليل عيسى

(١) على أنه وفق فى كتابة بحثين اثنين هما الدفاع عن تعدد الزوجات
فى الإسلام ، والدفاع عن تعدد أزواج النبی علیه الصلاة والسلام .

(٢) كان اليهود يغتسلون عراة ، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده لثلا
ترى عورته فاتهموه بالأدرة — وهى انتفاخ الخصية — وأراد الله أن يبرئه عما
رموه به فذهب يغتسل منفردا على عادته ، ووضع ثيابه على حجر ، ولما اغتسل
وأراد ليس ثيابه جرى الحجر بها وموسى يجرى خلفه ، حتى مر على ملا من بنى
اسرائيل ، فرأوه عاريا ليس به داء ، وتحققوا من كذبهم فيما رموه به . ثبت
هذا الحديث فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ذكره النجارى فى
قصصه وعلق عليه بعبارة فيها سخرية ، حيث تعجب كيف تحصل المعجزة بغير =

في تفسيره أنه إذا كان في الآية رأيان ، يختار منهما : الذي لا يكون فيه فضل للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتنويه عنه ولتذكر لذلك مثلين حضراتي :

(١) قوله تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآية .. جمهور المفسرين على أنها تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن الله أخذ الميثاق على النبيين — إن ظهر في زمنهم — أن يؤمنوا به وينصروه . لعدم دعوته ، ولأن الله أخبر بأن إبراهيم وإسماعيل ، وهما بنيان البيت ، بشرا به في صورة دعاء ، كما جاءت البشارة به وبصفاته في التوراة والإنجيل ، بل جاءت فيهما صفات صحابته أيضا (١) وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد أن الله أخذ الميثاق على كل نبي في النبي الذي يأتي بعده .

= ارادة النبي ، بل بالرغم منه ؟ لكنه جهل الفرق بين المعجزة والآية في عرف العلماء فانهما — وان اتفقا في كونها خارقين للعادة — تنفرد المعجزة بأنه يقصد بها التحدى ، فلا تكون الا بطلب من النبي ، والآية لا يقصد بها ذلك ، فلا يلزم أن تكون بطلبه ولا بإرادته . فانقلاب العصا ثعبانا آية ومعجزة لأنه قصد به التحدى ، وانفلاق البحر آية ، لأنه قصد به انجاء موسى ومن معه ، وليس بمعجزة لأنه لم يقصد به التحدى . وفرار الحجر بثوب موسى آية قصد به تبرئته ، وليس بمعجزة لعدم التحدى . وانشقاق القمر آية ومعجزة أيضا ، لأنه وقع بطلب النبي صلى الله عليه وسلم تحديا للمشركين ، ونبع الماء من الأصابع الشريفة آية ، لأنه وقع إسعافا للصحابة بالماء في وقت لم يجدوه فيه ، وليس بمعجزة لعدم التحدى . وحمل مريم كان آية قصد به اظهار قدرة الله في ايلاد البنت من غير مسيس ذكر . وقد حصل كرها عنها ، حتى قالت . يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . لكنه ليس بمعجزة ، لعدم نبوة مريم . وكلام عيسى في المهد آية ، حصل لتبرئة مريم وليس بمعجزة لعدم التحدى . وقد قال تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) فكل معجزة آية ، وليست كل آية معجزة .

(١) اقرأ قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية إلى آخر السورة ، وليس في القرآن آية جمعت حروف المعجم غير هذه الآية .

واختاره عبد الجليل عيسى ؛ مع أنه ضعيف لأنه لم يثبت أن نبيا بشر نبى بعده ، ولا يعقل ذلك ، لأن كل نبى إنما يبعث لقومه خاصة . وإنما جاءت البشارة بعيسى فى كتب اليهود لأنه بعث مصدقا بالتوراة ، متما لشريعتها .

(٢) قوله تعالى (لعمر ك انهم لفى سكرتهم يعمهون) قال ابن عباس أقسم الله بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الراجع فى الآية ، لوجه منها : سلامته من التقدير الذى هو خلاف الأصل . وقيل : قسم من الملائكة بحياة لوط عليه السلام .

والتقدير : قالت الملائكة تخاطب لوطا : لعمر ك انهم لفى سكرتهم يعمهون . وهذا رأى - مع ضعفه من وجوه - اختاره عبد الجليل عيسى وأغلب البدع الموجودة فى تفاسير المعاصرين ، منشأها الجهل بأصول علم التفسير وقواعده ، أو الحرص على الظهور بمظهر المستنير الرأى ، النابذ للتقليد . ومن هنا كانوا خاطئين ، لأنهم أقدموا على التفسير بجهل أو بسوء نية وسيلقون جزاء ما كتبوه عند الله تعالى ، وهو المسئول أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا إلى التسك بالسنة ويحشرنا فى زمرة أهلها ، إنه قريب مجيب .

مقدمة

تشتمل على مسائل هامة ، تنفع الناظر في هذا الكتاب خاصة وفي كتب التفسير والحديث عامة .

- ١ -

ألفاظ القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة لها حالتان :

الحالة الأولى : أن يمتنع حملها على المجاز . وهي نوعان :

أحدهما : أن تكون متعلقة بالتوحيد والإيمان ، مثل سورة الإخلاص والكافرون والنصر وآية المواريث وسائر آيات الأحكام . فهذه تحمل على حقائقها الشرعية كالإيمان والإسلام والصلاة والزكاة والصيام والحج ، فإن لم يكن لها حقيقة شرعية ، حملت على الحقيقة اللغوية ، كالنسكاح والطلاق وظهار والقروء في العدة ، والبعث بعد الموت ، والعذاب والنعيم ، فدخول المجاز في هذا النوع ممتنع ، لأنه يناقض الغرض من التكليف ، ويؤدي إلى مفاسد عظيمة ، أعظمها : تعطيل الشريعة .

ثانيهما : أن تكون في سياق الحديث عن الأمم السابقة ، مثل ما يحكيه الله تعالى عن قوم نوح ، وقوم فرعون ، وبني إسرائيل ، فهذه تحمل على حقيقتها ، ويمتنع فيها المجاز ، لما سيأتي بيانه في سورة هود بحول الله تعالى .

الحالة الثانية : أن يمتنع حملها على الحقيقة ، نحو (الرحمن على العرش استوى ، بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي ، فإنك بأعيننا ، وجاء ربك والملك صفا صفا) ونحو قوله عليه السلام « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، بيده الميزان يخفض القسط

ويرفعه ، ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد ،
فالحقيقة هنا ممتنعة ثم اختلف العلماء على مذهبين معروفين :

تفويض المعنى المراد منها إلى الله تعالى ، وهو مذهب السلف ، أو تأويلها
بمعان مجازية معروفة في لغة العرب ، وهو مذهب الخلف إلا أن قليلا من
جملة المجسمة حملوها على حقيقتها ، فوصفوا الله باليدن والأيدى والأعين
والاستواء والمجىء ، حتى قال قائل من زعمائهم : أصف الله بكل ماورد ،
ماعدا اللحية والعورة ، لعدم ورودهما ، ووجدت ابن القيم يقول في كتابه
« زاد المعاد » : وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية ، يذكر في سبب الذنوبة
- العذبة - شيئا بديعا ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما اتخذها صبيحة
المنام الذي رآه في المدينة ، لما رأى رب العزة تبارك وتعالى ، فقال « يا محمد
فيم يختصم الملاء الأعلى ؟ قلت : لأدرى يارب ، فوضع يده بين كتفي ، فعلمت
ما بين السماء والأرض ، الحديث ، وهو في الترمذى ، وسئل عنه البخارى ،
فقال صحيح قال : فمن تلك الليلة أرخى الذنوبة بين كتفيه ، وهذا من العلم
الذى تنكره السنة الجاهل وقلوبهم ، ولم أر هذه الفائدة في اثبات الذنوبة
لغيره . اهـ .

قلت : إن كان نفي صفات المخلوقات عن الخالق سبحانه وتعالى جملا .
فالجهل خير من علم يصف الله باليد ، وبمماسها كتف نبيه ، حتى اتخذ
الذنوبة سترآ لذلك المحل الذى مسته يد الله !!! ويكفى دليلا على بدعية هذه
الفائدة ، شهادة ابن القيم بأنه لم يرها لغير شيخه ، أى أنه تفرد بها ، لأنه يميل
إلى التجسيم ، والعجيب إبداء تلك الفائدة المبتدعة من غير استناد إلى حديث
يؤيدها ، أو رواية تاريخية تعضدها بل الذى أثبتته التاريخ : أن الذنوبة
عادة عريية ، كان العرب يتقون بها حر الشمس في أقفيتهم وأكتافهم ،
ولذلك لم يواظب عليها النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا صح في فضلها حديث
ووجدت أيضا ابن عبد الهادى المقدسى الحنبلى - وهو من تلامذة ابن تيمية -

ذكر في « الصارم المنكي » حديث « ينزل ربنا كل ليلة إلى «سماء الدنيا» الحديث ، وحكى خلاف المتقدمين - يعنى من مجسمى الحنابلة - هل يخلو منه عرش إذا نزل ؟ فقال قوم منهم : نعم يخلو منه ، لأنه إذا نزل فقد بارحه ! ولا يعقل أن يكون في مكانين في وقت واحد !! وقال آخرون : لا يخلو منه لأنه لو خلا منه لزم أن يكون العرش وبعض السموات أعلى منه حين نزوله إلى السماء الدنيا ، مع أنه العلى على مخلوقاته !! فهذا هو العلم الذى يصف ابن القيم من ينكره بأنهم جهال ، ونحن نحمد الله على هذا الجهل ، ونسأله الثبات عليه حتى نلقاه .

- ٢ -

يجب على المتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يتجرد من الآراء المذهبية ، ويوطن نفسه على تقبل ما تفيد الآية ، وتدل عليه ، ويرجع عما كان يراه أو يعتقده بخلافها ، لأن القرآن حجة الله على خلقه ، وعهده إلى عباده ، إليه يتحاكمون ، وعن حكمه يصدرون ، ولا يجوز له أن يتحمل في تأويل الآية ، ويتطلب الوجوه البعيدة في الإعراب ، أو يحملها على المعانى التى لا تتفق مع سياقها ؛ أو سبب نزولها لتفيد رأى فلان ، أو عقيدة فلان ، فإن هذا تحريف لكلام الله تعالى ، وتغيير لمعانيه ، وهو منشأ بدع التفاسير ، وسبب هام لكثرة وقوعها في تفاسير المعتزلة كما مرت الإشارة إليه ، ويرتكب هذا من أهل الحديث : الحافظ الطحاوى الحنفى ، فإنه يتعسف في تأويل الأحاديث ؛ ويسرف في التعسف ، لتوافق مذهب أبى حنيفة ، وقد يرتكب البيهقى مثل هذا بالنسبة لمذهب الشافعية ، لكن على قلة ، ورأيت الباجى في شرح الموطأ - حين تكلم على حديث « كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير حرام » ، قال : يحتمل

أن يريد بقوله « حرام ، أنه مكروه ، قلت : هذا تعسف في شرح الحديث ، ليوافق مذهب المالكية في كراهة أكل السباع ، ولم أقف له على غير هذا الموضع .

- ٣ -

نما يجب على المفسر في تفسيره أمور :

أحدها : ألا يخالف ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير آية ؛ كتفسيره المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى ، وهو قليل ؛ وفي عزمي أن أجمعه في كتاب خاص ، وفق الله إلى ذلك وأعان عليه ، أما تفسير الصحابي أو التابعي - إن كان يستند إلى ذكر سبب النزول - فيجب اتباعه ؛ لأنه في حكم المرفوع ، كقول جابر : كانت اليهود تقول : من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها ، جاء الولد أحو ، فأنزل الله تعالى رداً عليهم (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) وهذا يعين أن معنى (أنى) : كيف ، لا : أين ، ويكون تفسيرها بأين من بدع التفاسير . وإن لم يستند إلى ذلك فبني على الخلاف في حجية قول الصحابي (١) .

ثانيها : أن يفسر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت نزوله ، حقائق كانت أو مجازات . لقوله تعالى (إنا أنزلناه قرآنا عربيا) فيجب فهمه في حدود قواعد اللغة العربية ، وأساليبها المعهودة لهم ولا يجوز تفسيره بمعان مستجدة ، حدثت بعد التنزيل ، ومن فسر بها فقد زعم أن القرآن خاطب العرب بما لم يفهموه ، ولا عرفوه ، وكان تفسيره من بدع التفاسير ،

(١) على أن معظم الأصوليين والمفسرين أوجبوا اتباع تفسير الصحابي مطلقا ، لأنه شاهد التنزيل ، وعرف من القرائن الدالة على تعيين المعنى المراد ما لم نعرفه ، وانظر أوائل تفسير ابن كثير .

ومن يسلك هذا : محمد عبده في تفسيره ، وعبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء .

ثالثها : أن يحتنب تفسير ألفاظه باللغات الغريبة أو تخريج اعرابه على الوجوه الضعيفة ، أو الشاذة ، بحسب القواعد النحوية . لأن ذلك ينافي فصاحة القرآن ، التي هي خلوص كلماته من الغرابة والتنافر والتعقيد . ولا شك أن حمل الكلمة على لغة غريبة ، أو تخريج الكلام على اعراب ضعيف أو شاذ ، يورث تنافرا في الكلمات ، وضعفا في التركيب . وكثيرا ما يحمل بعض المعتزلة ألفاظا من القرآن ، على لغات غريبة نادرة ، سيأتي التنبيه على بعضها بحول الله تعالى .

١ - من سورة البقرة

قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم) ذكر الزمخشري في هذه الآية وجوها من التأويل ، تتضمن جميعها نفي اسناد الختم إلى الله حقيقة ، وإنما هو على سبيل التمثيل أو المجاز ، وأن الخاتم في الحقيقة هو الشيطان أو الكافر . وليس لله تعالى فعل في تجافي قلوبهم عن الحق ، ونبوها عن قبوله . وهو تفسير اعتزالي ، فيه اعتساف وانحراف عن مدلول اللفظ . وأدلة الكتاب والسنة متضافرة على اسناد الختم والطبع إلى الله تعالى ، والأصل في الإسناد الحقيقة . والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : بعثت داعيا وليس إلى من الهداية شيء وجعل الشيطان مزيئا وليس له من الضلالة شيء ، والشيطان نفسه يقول يوم القيامة (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي) وفسر الزمخشري دعوته بمجرد الوسوسة والتزيين . وما أورده لتأييد تأويلاته ، معارض بمثله . وليس غرضنا أن نفيض في بيان المعارضة ، ووجوه الاحتجاج . ولكن غرضنا أن نقول : تفسيره هذا من بدع التفاسير . لأنه تغيير لمعنى الآية ، وعدول عما يقتضيه ظاهرها ، لتمشي مع مذهبه وعقيدته .

قوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) قال الزمخشري أيضا :

وإسناد الإضلال إلى الله تعالى ، إسناد الفعل إلى السبب ، لأنه لما ضرب المثل فضل به قوم ، واهتدى به قوم ، تسبب لضلالهم وهداهم . وعن مالك ابن دينار رحمه الله تعالى : أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه ، وقيد ، فقال : يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود ؟ فرفع مالك رأسه ، فرأى سلة فقال : لمن هذه السلة ؟ فقال : لى فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة ، فقال مالك : هذه وضعت القيود فى رجلك . اهـ

قلت : هذا التفسير على نمط سابقه ، وهو مبنى على مذهب المعتزلة أن العبد يخلق أفعاله . وقد أساء بذكره قصة السلة ، تنظيراً لله تعالى ، وله من هذه التفاسير البدعية كثير ، ليس غرضنا استقصاؤها ، وإنما ذكرنا هذين المثالين ، ليستدل بهما على غيرهما .

قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤنى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (١)) معنى الآية : أن الله تعالى علم آدم أسماء المسميات كلها مثل جبل ، وشجر ، وبيت ، وإنسان ، وقصعة . إلى آخرها من أجناس وأنواع .

ومن بدع التفاسير : علمه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء الأئمة من ولده ، نقله الشريف المرتضى فى أماليه ، وقال : وفيه أحاديث مروية . قلت : المرتضى شيعى امامى ، والإمامية يقولون بإمامة اثنى عشر من أهل البيت ، فكأن الله تعالى علم آدم أسماء ثلاثة عشر رجلاً ! ويقال على هذا :

(١) هذه الآية من أدلة القائلين بأن اللغة توقيفية ، كما يدل لهم أيضاً حديث أبى داود والترمذى ، قال الله عز وجل : « أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى » الحديث ، ولهذا البحث بقية تنظر فى المازهر للسيوطى ، وارشاد الفحول للشوكانى .

مافائدة التأكيد بلفظ (كلمة) ؟ والأحاديث التي أشار إليها المرتضى ،
ساقطة ، لا تقوم بها حجة .

قوله تعالى (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) أى الجامع بين كونه
كتاباً منزلاً وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ، وهى التوراة . ونحوه قوله
تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) أى الكتاب
الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا . فالنسق فى الآيتين لجمع الصفات ،
كقولك : رأيت الغيث والليث ، تريد الرجل الجامع بين الجود
والجراءة .

وقيل : الكتاب التوراة ، والفرقان انفراق البحر لموسى عليه السلام .
وقيل : الفرقان : الفرق بين الحلال والحرام . أو : الفرق بين موسى
وأصحابه المؤمنين ، وبين فرعون وأصحابه الكافرين ، باغراق هؤلاء ، وإنجاء
أولئك . وقيل : البرهان الفارق بين الإيمان والكفر ، من العصا
واليد وغيرهما .

ومن بدع التفاسير : أن المراد بالفرقان القرآن ، والتقدير : وإذ آتينا
موسى التوراة والإيمان بالقرآن ، لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بالنبى
صلى الله عليه وسلم ، ومبشراً ببعثته . وفى هذا الوجه حذف لفظ الإيمان ،
من غير دليل يدل عليه ، وحذف حرف الجر من الفرقان ، ونصبه بنزع
الخافض وهو شاذ لا يقاس إلا فى أنّ وأنّ .

أو المراد : القرآن أيضاً ، والتقدير : وإذ آتينا موسى الكتاب ،
وآتينا محمداً الفرقان .

فهو كقول الشاعر :

علفتها تبناً وماء بارداً حتى غدت همالة عيناها

أى : وسقيتها ماء باردا . فدل علفت على سقيت ، كادل فى الآية : آتينا موسى على آتينا محمدا ، وهذا ضعيف مردود ، لأن ، علفتها ، فى معنى غذيتها فصح عطف ، ماء ، على « تبنا ، لأنه مما يتغذى به ، والآية لا يصح فيها ذلك بحال ، وضعفه أبو بكر ابن الأنبارى من جملة أخرى فقال : ان الاستشهاد بالبیت لا يجوز على هذا الوجه ، لأن البيت اكتفى فيه بذكر فعل عن ذكر فعل غيره ، والآية اكتفى فيها باسم دون اسم . وتوضيح كلامه ، أن موضوع الكلام فى البيت متحد ، وهو الناقة . فجاز حذف الفعل ، لأن وحدة الموضوع دلت عليه ، والآية ليست كذلك ، إذ موضوع الكلام فيها متعدد فموسى الخبر عنه بإيتائه الكتاب ، غير محمد صلى الله عليه وسلم الخبر عنه بإيتائه الفرقان ، فلذا لم . يحجز حذفه قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه) الذين عبدوا العجل (يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) إلها (فتوبوا إلى بارئكم) خالقكم من عبادته . واختير لفظ بارئكم تنبيها على غباوتهم حيث تركوا عبادة الخالق إلى مخلوق (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرىء منكم المجرم ، فأرسل الله عليهم سحابة سوداء ، لتلا ينظر بعضهم بعضا فيرحمه . فقتل منهم نحو سبعين ألفا ، فتاب الله عليهم ، كما فى بقية الآية . وليس بكثير عليهم القتل ، لأنهم ارتدوا بعد إيمانهم ^(١) وكفروا بعد ما شاهدوا من الآيات ، ما يخشع لها قلب الجاحد العنيد .

(١) وفى شريعتنا الإسلامية يقتل المرتد ، لحديث البخارى « من بدل دينه فاقتلوه ، لكن بعد امهاله ثلاثة أيام واستتابته فيها من غير تضيق عليه ولا اضطهاد له . وليس قتل المرتد من الاكراه فى الدين كما يقول مبتدعة العصر وملاحدته ، لكن من اعتنق الاسلام واقتنع بأدلة خصوصا القرآن الكريم ، ثم رجع عنه ، يكون متلاعبا ، أو قاصدا افساد عقيدة بعض المسلمين الذين تصلحهم به قرابة أو صداقة أو معاملة ، فكان القتل عقابه كما عوقب الزانى المحصن بالرجم . وبعض الدول الكبيرة فى هذا العصر تقتل السارق أو المتلاعب فى التكوين حماية للشعب فكيف يعاب على الإسلام أن يسن تشريعا يحمى عقيدة المسلمين ممن يتلاعب بها ؟ والعقيدة أهم من القوت وأسمى من المال .

ومن بدع التفاسير : قول المرتضى . (فاقتلوا أنفسكم) معناه : اجتهدوا في التوبة مما أقدمتم عليه . والندم على ما فات . وإدخال المشاق الشديدة عليكم في ذلك ، حتى تكادوا أن تقتلوا أنفسكم . وقد يسمى من فعل ما يقارب الشيء باسم فاعله ، ومذهب أهل اللغة في ذلك معروف مشهور . يقولون : ضرب فلان عبده حتى قتله ، وفلان قتله العشق ، وأخرج نفسه ، وأبطل روحه . قلت : هذا معنى مجازي ، والمجاز لا يدخل فيما يحكيه القرآن عن الأمم السابقة ، لما بيناه في سورة هود .

قوله تعالى (واتبعوا) أي اليهود . والمعنى : نبذوا كتاب الله واتبعوا (ما اتلوا الشياطين على ملك سليمان) أي على عهد ملكه وفي زمانه . وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ، ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ثم يلقونها إلى الكهنة ، وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في زمان سليمان عليه السلام ، حتى قالوا : أن الجن تعلم الغيب . وكانوا يقولون : هذا علم سليمان ، وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم . فاتبعوا كتب السحر . ورفضوا كتب أنبيائهم (وما كفر سليمان) بعمل السحر . تكذيب للشياطين واليهود ، وتبرئة لسليمان مما رموه (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه . حال كونهم (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم واضلالهم (و) يعلمونهم (ما) أي السحر الذي (أنزل على الملكين) الكائنين (بابل) بلد بالعراق ، وهذا البلد ومصر كانا أكثر البلاد استعمالا للسحر ، وأكثرها ترويحاه ، فبعث الله موسى إلى أهل مصر ، أبطل سحرهم بعصاه ، حتى صار من الأمثال السائرة ، قول الشاعر :

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

وبعث في بابل (هاروت وماروت) يعلمان الناس السحر ، ليعلموا الفرق

بيته وبين المعجزة ، وليعلموا أن الساحر صنو الشيطان ، وأن النبي مؤيد من الرحمن ويؤخذ منه أن تعلم السحر لمثل هذه المصاحبة جائز (وما يعلمان من أحد حتى) ينصحه ، و (يقول له إنما نحن فتنه) ابتلاء من الله وامتحان (فلا تكفر) فلا تتعلمه معتقدا أنه حق فتكفر (فيتعلمون منها) فيتعلم الناس من الملوك (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) أى علم السحر الذى يكون سببا فى التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه ، كالنفث فى العقد ونحوه مما يحدث الله عنده الفرق (١) والنشوز والخلاف (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) بارادته . هذا تفسير هذه الآية تفسير ايلام سياقها ويقتضيه نظمها من غير تكلف . وقيل فيها : وجوه من التأويل تعتبر من بدع التفاسير ، ونحن ننبه عليها بحول الله تعالى .

ف قيل فى (ما أنزل) إنه فى محل جر ، معطوف على (ملك سليمان) والمعنى : واتبعوا ما أتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملوك - وهما جبريل وميكائيل - ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بابل هاروت وماروت . وهما رجلان لاملكان ، ذكر ا بعد الناس تبيينا وتمييزا لهما . وهذا التأويل فساد ظاهر ، لأن فيه تفكيكا لنظم الآية ، وتعقيدا لمعناها وإلحاقا لها بالالغاز والمعميات .

وقيل : يجوز أن يكون هاروت وماروت بدلا من الشياطين ، والمعنى : ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ، وهذا فاسد كسابقه .

وقيل : أن « ما » فى قوله (وما يعلمان) نافية والمعنى : أنهما لا يعلمان أحدا ، بل ينهيان عنه . ويبلغ من نهيمهما وصددهما عنه أن يقولوا (إنما نحن فتنه فلا تكفر) باستعمال السحر . وهذا باطل أيضا ، لأن (حتى يقولوا) تقتضى أنهما يعلمانه بعد تحذيره ونصحه ، فمى غاية لامتناع التعليم .

(١) البغض . يقال : فركت المرأة زوجها ، أبغضته .

وإذا كانا لا يعلمانه أصلا ، فلم كانا فتنة ١٩ ؟ وهل يعقل أن يكون مجرد وجودهما فتنة ١٩ .

وقيل - تفريعا على هذا التأويل الباطل - : (فيتعلمون منهما) أى من الكفر والسحر المفهومين عما سبق (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وهذا واضح البطلان ، لا يحتاج إلى بيان . وكيف يتعلم الإنسان من الكفر أن يفرق بين المرء وزوجه ١١٩ .

قيل أيضا : ويجوز أن يكون معنى (فيتعلمون منهما) فيتعلمون بدلا مما عليهم الملكان ، أى يعدلون عما عليهم ووقفهم عليه الملكان فى النهى عن السحر إلى تعلمه . ويمكن فى رد هذا التأويل ما فيه من التسكف الزائد . على أن (من) تكون بمعنى : بدل ، إذا وقعت بين شيئين تصح فيهما المعاوضة نحو (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة) فالحياة الدنيا والآخرة ، يصح التبادل والتعاضد بينهما . ولكن لا يصح التبادل بين الملكين وعلم السحر . ثم يجب أن يكون الفعل مؤذنا بمعنى البدلية ، مثل فعل « رضيتم » فإنه يؤذن بأنهم رضوا بشيء بدلا عن آخر . لكن فعل « يتعلمون » لا يؤذن بذلك .

وقيل : يجوز أن يكون قوله (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا) راجعا إلى هاروت وماروت ، على أنهما من الشياطين كما مر ، أو رجلان كما مر أيضا ، ومعنى قولهما (إنما نحن فتنة فلا تكفر) يكون على سبيل الاستهزاء كما يقول الماخذ من الناس إذا فعل قبيحا : هذا فعل من لا يفلىح ، لا يقصد النصيح ، لكن على وجه المجون والاستهزاء ، ويرده أن هاروت وماروت ملكان ، لا يجوز فى حقهما الاستهزاء ، والقول بأنهما شيطانان ساقط ، لا دليل عليه ، ومن قال . رجلان ، استند إلى قراءة (الملكين) بكسر اللام ، وهى قراءة شاذة ، وهى هنا مردودة ، لأن القراءة المتواترة تعارضها .

وقيل : - تفريعا على جعل (وما أنزل على الملكين) للنفى : - يكون

الضمير في قوله (وما يعلمان من أحد) يعود على قبيلتين من الجن ، أو إلى شياطين الجن والإنس وفيه تشتيت الكلام ، وعود الضمائر إلى ما لم يذكر .

وقيل : معنى (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) إنهم يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المقيم على دينه ، فيفرق بينهما اختلاف الملة . وهذا باطل لوجهين :

أحدهما : أن الملكين لم يكونا يعلمان كيفية اغواء الناس وحملهم على الشرك . وإنما كانا يعلمان السحر ، ليفرق بينه وبين المعجزة ، وليعرف شره فينتقي .

ثانيهما : أن التفريق بين الزوجين لاختلاف الدين . لم يثبت أنه كان معمولا به في بابل ، حين كانا يعلمان السحر .

وقيل : معناه : يسعون بين الزوجين بالنيمة والوشاية ، حتى يثول أمرهما إلى الفرقة . وهذا باطل أيضا ، لأن الملكين لم يعلما النيمة والوشاية ولا جاء ما يدل على ذلك . على أن النيمة ليست علما له قواعد ، كعلم السحر .

وقيل : كلمة « الا » زائدة ، والمعنى وما هم بضارين به من أحد بإذن الله وهذا باطل بوجهين :

أحدهما : أن دعوى زيادة كلمة في القرآن ، تخرج له على وجه ضعيف وهو لا يجوز .

ثانيهما : أن المعنى على اثباتها لأن ما علم بالضرورة والمشاهدة أن المسحور قد يحصل له ضرر في جسمه أو عقله ، فأخبرت الآية أن ما يحصل من ذلك الضرر ، لا يكون إلا بإذن الله تعالى .

وقيل في (وما هم بضارين به من أحد) : أن يكون الضرر هو ما يلحق

المسحور من الأدوية والأغذية التي يطعمه إياها السحرة ، ويدعون أنها موجهة لما يقصدونه فيه من الأمور. وهذا ليس بشيء، لأن السحرة لا يطعمون المسحور أدوية ولا غيرها . وإنما يعملون عملهم من نفث في العقد ونحوه ، فيحصل الضرر باذن الله . وربما لا يحصل ضرر إذا كان المسحور قوى الروح ، أو يتحصن بسورتي المعوذتين ، ونحوهما .

« تنبيه » تكلمت على قصة هاروت وماروت في كتاب « قصة ادريس » فليراجعها من أرادها ، هناك .

قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) جملة واحدة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل بعد ذلك مفرقا حسب الأسباب والمقتضيات (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ثناء على القرآن ، ومدح لرمضان بآزاله فيه ، وهذا التفسير هو المشهور .

وقيل . معنى (أنزل فيه القرآن) : أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه ، فيكون (فيه) للسببية ، كما يقال : أنزل الله في الصلاة كذا ، أى لأجل الصلاة . وهو مردود بوجهين .

أحدهما : أنه بعيد من مدلول لفظ الآية ، مناف لسباقها .

ثانيهما : أن القرآن أنزل في إيجاب الصلاة والزكاة والحج والجهاد ، فما الحكمة في تخصيص رمضان بأن القرآن أنزل في إيجابه .

ووجه ثالث ، ذكره الشريف المرتضى ، فقال : هذا التأويل إنما هرب متكلفه من شيء ، وظن أنه قد اعتمد بتأويله عنه ، وهو بعد ثابت على ما كان عليه . لأن قوله (القرآن) إذا كان ظاهره يقتضى إنزال جميع القرآن ، فيجب على هذا التأويل أن يكون قد أنزل في فرض رمضان جميع القرآن . ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يتضمن إيجاب صوم رمضان ، وأن أكثره خالى من ذلك . فان قيل : المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيء من القرآن ، وبعض منه قيل : فهلا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنه أنزل فيه

شيء من القرآن : في شهر رمضان . ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة (فيه)
بمعنى في فرضه وإيجاب صومه اه وبالجمله هو من بدع التفاسير .

قوله تعالى (فالآن باسروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) أى وابتغوا
بمباشرتهن ما كتب الله لكم من الولد ، ولا تقصدوا قضاء الشهوة وحده ،
أو : وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحله ، وهو الفرج . دون ما لم
يكتب لكم حله وهو الدبر ، أو : وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد
الحظر وقيل : واطلبوا ليلة القدر ، وما كتب الله لكم من الثواب ان
أصبتموها وقتموها . قال الزمخشري : وهو قريب من بدع التفاسير . قلت :
لم يجعله منها ، لأن صدر الآية مفتتح بإباحة الجماع ليلة الصيام في رمضان ،
كما أن سياق الآيات قبله في رمضان أيضا ، ومع هذا فهو بعيد من مدلول
اللفظ ، ومن السياق الذى يقتضى إباحة بعد حظر ، قوله تعالى (وليس البر
بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى ، وأتوا البيوت من أبوابها)
كان العرب في الجاهلية ، إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوا
من ظهورها بنقب يحدثونه في الجدار لإقريشا لأنهم سكان الحرم ، وجيران
البيت . فنزلت الآية تبين بطلان هذا العمل ، وأنه لا بر فيه . هذا ماصح في
سبب نزول الآية ، وهو يتمشى مع سياقها . فانهم لما سألوا عن الهلال ،
واختلاف أحواله . أنزل الله تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت
للناس والحج) وأعقبه بقوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها)
حين أحرامكم بالحج (ولكن البر) بر (من اتقى) الله (وأتوا البيوت) إذا
أحرمتهم بحج أو عمرة (من أبوابها) وهذا المعنى واضح .

وقال أبو عبيدة : معنى الآية : ليس البر بأن تطلبوا الخير من غير أهله ،
وتلتمسوه من غير بابه (وأتوا البيوت من أبوابها) واطلبوا الخير من
وجهه ، ومن عند أهله .

وقال أبو علي الجبائي : خرج هذا الكلام مخرج ضرب المثل ، والمعنى :

ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ، لأن اتيانه من خلاف
جهته ، يخرج الفعل عن حد الصواب والبر ، إلى الإثم والخطأ . وبين البر
والثقوى ، وأمر باتيان الأمور من وجوهها . وجعل تعالى ذكر البيوت
وظهورها وأبوابها مثلاً . لأن العادل في الأمر عن وجهه ، كالعادل في
البيت عن بابه . حكى هذين التأويلين المرتضى في أماليه ، وحكى بعدهما
تأويلاً ثالثاً . وهو :

أن تكون البيوت كناية عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من
حيث أمركم الله ، والعرب تسمى المرأة بيتاً . قال الشاعر :

مالي إذا أنزعها (١) صأيت ؟ أكبر غيرني أم بيت ؟

أراد بالبيت المرأة . قلت : الوجه الذي ذكرناه أولاً هو الصحيح .

والوجهان بعده لا يناسبان سياق الآية ، فمما قريبان من بدع التفاسير
أما الوجه الأخير ، فردود لوجهمين .

أحدهما : أنه لا يوافق سبب النزول ، ولا يتعشى مع سياق
الآية ونظمها .

ثانيهما : أن معناه جاء مصرحاً به في قوله تعالى (فإذا تطهرن فأتوهن
من حيث أمركم الله) فلا فائدة في استنباطه من هذه الآية ، بطريق الكناية ،
إلا مجرد التكرار الخالي عن أي نكتة بيانية ، أو حكمة تشريعية . وهذا
عما يجب تنزيه القرآن عنه ، فالوجه المذكور من بدع التفاسير .

قوله تعالى (أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب) ثواب (مما كسبوا)
من أعمال الحج وغيرها من الطاعات (والله سريع الحساب) يوشك أن يقيم
القيامة ، ويحاسب العباد . فبادروا إكثار الذكر ، وطلب الآخرة . فالمراد

(١) الضمير في أنزعها للدلو ، أي مالي إذا نزع الدلو من البئر صأيت أي
خرج من صدري صوت كأنني أنزع شيئاً شديداً فوق طاقتي ؟ فهل أضعفتي كبير
السن ؟ أو قربان الزوجة ؟

بهذا . الإخبار بقرب يوم القيامة الذى يكون فيه الحساب ، لينال المؤمنون ثواب أعمالهم .

وقيل : المراد وصفه تعالى بسرعة محاسبة الخلائق على كثرة عددهم ، وكثرة أعمالهم وتنوعها . ليدل على كمال قدرته ، ووجوب الحذر منه ، والرغبة فى ثوابه ، فقد ثبت أنه يحاسب الخلق فى مقدار فراق ناقة .

ومن بدع التفاسير : قول بعضهم : المراد : أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة الناس . أن يستعملوا الحساب والاحصاء فى أكثر أمورهم أخبرهم تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب . وسمى العلم حسابا على سبيل المجاز ، من إطلاق اسم المعلوم على العلم ، وهو مردود بوجوه .

أحدها : أن العلم بالحساب أو المحسوب . لا يسمى حسابا فى اللغة حقيقة ، ولا مجازا .

ثانيها : لو فرض تسميته حسابا ، لم يجوز أن يقال : سريع العلم بالحساب . لأن عليه تعالى بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ثالثها : أنه لا يناسب سياق الآية . وكثير من المفسرين يغفل عن ملاحظة السياق ، وهى ملاحظة واجبة الاعتبار ، لأن الآيات إنما ترتبط وتأنف . بسياقاتها المتناسبة . ولولا ذلك ، لكانت متفككة غير مترابطة .

ومن البدع أيضا : أن المراد : أن الله سريع القبول لدعاء عباده ، مع كثرتهم واختلاف دعواتهم ، فيعطى لكل داع ما ينفعه بحد ومقدار . وهذا التأويل - وإن كان مناسبا لنظم الآية - مردود ، لأن قبول الدعاء لا يسمى حسابا .

قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) بدل اشتمال ، والمعنى : يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام ؟ (قل قتال فيه) إثم (كبير)

فموصفة للمحذوف المقدر (وصد عن سبيل الله) مبتدأ والخبر أكبر عند الله (وكفر به) معطوف على المبتدأ (و) صد عن (المسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) فالمسجد الحرام معطوف على سبيل الله ، لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن دين الله ، ويصدون المؤمنين عن دخول المسجد الحرام والطواف به .

وقال المرتضى : المسجد معطوف على الشهر الحرام ، والمعنى : يسألك عن الشهر الحرام ، وعن المسجد الحرام . وهذا من بدع التفاسير ، وهو مردود بوجهين .

أحدهما : الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبي .

ثانيهما : أن السؤال عن المسجد ، ليس له جواب في الآية .

قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياء) ألوف جمع ألف ، وهو يفيد كثرتهم .

وقيل : ألوف متألفون ، من الألفة جمع آلف ، كقاعد وقعود . وهو من بدع التفاسير ، كما قال الزمخشري ، وإن حكاه البيضاوي ولم يعترضه . وهو بعيد من سياق الكلام ، لأنه لا معنى لذكر الألفة هنا ، ولا مناسبة تقتضيها .

ومن بدع التفاسير في الآية أيضا : أن معنى الموت الاحتلال ، والاحياء الاستقلال . فيكون المعنى : أن الله سلط على أولئك الألوف قوما استعبدوهم ، واحتلوا بلادهم ، فذلك موتهم . ثم هبأ الله لهم أسباب الدفاع عن بلادهم وديارهم حتى استقلوا ، فذلك أحياءهم . قرأت هذا التأويل منسوباً لمحمد عبده (١) ، لكن لم يأت في القرآن موت وأحياء بهذا المعنى ،

(١) كأنه نحا منحى بعض المعتزلة الذين يقولون : أحياء الموتى أمر خارق للعادة لا يجوز وقوعه إلا معجزة لني ، ويقولون أيضا : أن المعارف تصير =

ولا كان معروفا عند العرب وقت نزول القرآن وقبله ، ولا يستطيع أحد أن يأتي بشاهد من كلامهم عليه . والشيخ غفر الله له ، كثيراً ما يفسر آيات القرآن بمعان مستحدثة ، لم تكن معروفة وقت التنزيل . وقد عاب الزمخشري مثل هذا على بعض المفسرين ، فقال - في قوله تعالى (فن عفى له من أخيه شيء) .

فإن قلت : فقد ثبت قولهم : عفا أثره إذا محاه وأزاله ، فملا جعلت معناه : فن محى له من أخيه شيء ؟ قلت : عبارة قلقلة في مكانها ، والعفو في باب الجنايات ، عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس ، فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقلة نائية عن مكانها . وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم - يعنى التفسير - يجترىء - إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله - على اختراع لغة ، وادعاء على العرب ما لا تعرفه ، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها اهـ

== ضرورة عند معاينة الموت وأهواله ، فيجب إذا عاش أولئك القوم أن يبقوا ذاكرين ذلك ، لأن الأشياء العظيمة لا تنسى مع كمال العقل ، وإذا بقيت عندهم تلك العلوم الضرورية امتنع تكليفهم كالحال في الآخرة ، وهذا كلام باطل ، لأن الممتنع هو ظهور الخارق على يد مدعى النبوة كذبا كسيلية مثلاً . إما أن يظهر الله في ملكه خارقاً من الخوارق تحذيراً لعباده أو تنبيهاً لهم ، لا على يد أحد فلم يقم على امتناعه دليل . بل هو جائز وقد أمات الله الرجل الذي مر على قرية خاوية فتعجب كيف يحييها الله بعد موتها ؟ ثم أحياه بعد مائة عام فوجد طعامه لم يتغير ، وأراه كيف أحيى حماره . فهذا الخارق ليس بمعجزة لأنه لم يتحد به أحد ، بل صرح الله أنه جعله آية للناس على البعث .

ودعواهم أن الأشياء العظيمة لا تنسى ، مردودة بأن ظاهر الآية يقتضى أنهم ماتوا فجأة فلم يعاينوا هولاً ولا شدة ولو سلم أنهم عاينوا فلا مانع أن ينسوا ما عاينوه بعد إحيائهم ، لأنهم خلقوا خلقاً جديداً . بدليل قوله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون قبل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) ولم يعودوا لما نهوا عنه إلا لأنهم نسوا ما عاينوه .

والمعنى المفهوم من الآية : أن جمعا من الناس كانوا قبلنا - عدتهم عشرة آلاف أو أكثر ، خرجوا من ديارهم هربا من الموت ، لوباء وقع بأرضهم فأماهم الله ميتة رجل واحد ، ثم أحياهم ، ليعلموا أنه لا مفر من قضاء الله (١) وهذه الآية ذكرت لمناسبة قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) الآية . فإنه لما أمرهم بإقامة الصلاة في حالة الخوف من عدو أو غيره ، ذكر قصة هؤلاء القوم الذين هربوا من الموت ، ليبين لهم أن قضاء الله نافذ ، لا يردده حذر حاذر ، ولا حرص حريص . وحيث ثبت ذلك فإقامة الصلاة في حالة الخوف والشدة ، أوجب على أهل الإيمان ، وألحق بهم . لدلائلها على وثوقهم بالله ، واطمئنانهم إلى أحكامه واستسلامهم لقضائه .

« تنبيه » ثبت في السنة إطلاق الذل ، كناية عن الإحتلال . ففي المسند وسنن أبي داود وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم واتبعوا أذناب البقر (٢) وتركوا الجهاد في سبيل الله . أنزل الله بهم ذلا فلم

(١) هكذا قال أكثر المفسرين ، ذكروا : أن قرية قرب واسط وقع بها طاعون فخرج عامة أهلها ، ولم يبق إلا طائفة معظمهم مرضى . فلما ارتفع الطاعون رجع الهاربون سالمين فقال القاعدون : هؤلاء أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا نجونا . فوقع فيها الطاعون من قابل ، فهرب أهل القرية جميعا . حتى نزلوا واديا أفيح ، وظنوا النجاة فأماهم الله جميعا . وقد صح النهى عن الفرار من الوباء ، لما خرج عمر رضى الله عنه إلى الشام ، وبلغ سرخ ، علم أن الوباء وقع بالشام ، فاستشار الصحابة ، فلم يجد عندهم علما وهم بالرجوع إلى المدينة . ثم جاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقال له : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، فحمد الله عمر ورجع ، وهو أول من نفذ نظام الكرتينة ، عملا بالحديث .

(٢) اتباع أذناب البقر كناية عن الاشتغال بحراثة الأرض وزراعتها .

يرفعه حتى يراجعوا دينهم ، ولا شك أن الذل الذى يترتب على ترك الجهاد، هو احتلال العدو لبلاد المسلمين ، وتحكمه فى شئونهم . وهذا من الكنايات الواضحة التى لا تحتاج إلى كبير تأمل .

قوله تعالى (ان آية ملكه أن يأتىكم التابوت فيه سكينه من ربكم) سكينه سكون وطمأنينة . والمعنى : أنهم إذا رأوا التابوت سكنت قلوبهم واطمأنت .

ومن بدع التفاسير . ما حكاه الزمخشري ولم يتحققه : أن السكينه صورة من زبرجد أو ياقوت ، كانت فى التابوت ، لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه ، وجناحان - فتئن ، فيزف التابوت نحو العدو ، وهم يمضون معه ، فإذا استقر ، ثبتوا وسكنوا ، ونزل النصر ، وحكى أيضا عن على رضى الله عنه . أن السكينه لها وجه كوجه الإنسان ، وفيها ریح هفاقة . قلت لكن لم يصح عنه ، فإن قيل : فما تفعل بحديث الصحيحين : أن أسيد ابن حضير كان يقرأ فى ليلة سورة البقرة ، فرأى مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، تغشاه فى مكانه ، حتى أضاء المكان ونفرت الفرس ، فسكت مخافة أن تصيب الفرس ابنه الذى كان قريبا منها ، فذهبت ، فلما أصبح أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : تلك السكينه نزلت لقراءتك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس لاتستتر منهم ، فهذا يفيد أن السكينه جسم يرى ؟ قلت حقيقة السكينه ما قدمناه فى تفسير الآية ، أما الحديث فهو من باب مجاز الحذف ، والتقدير : تلك أثر السكينه ، وبيان ذلك : أن قارئ القرآن تنزل عليه السكينه ، كما ثبت فى صحيح مسلم ، فحين تلا أسيد رضى الله عنه سورة البقرة ، نزلت السكينه عليه فى قلبه . وكان من أثر نزولها عليه ، وتحققه بها . اكرام الله له بهذه الكرامة التى أنارت له المكان وما فيه (١) ، وفيها إشارة

(١) وثبت فى رواية فى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأسيد =

إلى أن القرآن يفتح الأبصار والبصائر ، وينور البواطن والظواهر .

قوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) حرف بعض المتصوفة هذه الآية إلى من ذل ذى - يعنى نفسه - يشفع عنده ، يقصد أن من أذل نفسه يشفع عند الله . وغفل عن الاستثناء الذى يصفعه ، كما غفل - لجهله - عن أن فعل ذل لازم . ونظير هذا شرح متصوف آخر . قوله عليه الصلاة والسلام - فى حديث جبريل الطويل - « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، على معنى : فإن لم تكن أى تصر بأن فنيت عن نفسك تراه . ونسى أن تراه يجب أن يكون مجزوما ، لأنه جواب الشرط ، وهو مرفوع فى الحديث ، كما نسى أن قوله « فإنه يراك » يكون على شرحه زائدا لامعنى له .

قوله تعالى (وسع كرسى السموات والأرض) الكرسى مخلوق عظيم ، نسبة السموات والأرض إليه ، كخلقة فى فلاة من الأرض ، وهو بالنسبة إلى العرش كخلقة ملقاة فى فلاة من الأرض . والآية تبين عظم قدرة الله تعالى ، لأن الكرسى وهو بعض مخلوقاته ، يسع الدنيا بسمواتها وأرضها ومن فيها وما فيها .

ومن بدع التفاسير . قول المعتزلة : الكرسى هو العلم . والمعنى : وسع علمه السموات والأرض . لجأوا إلى هذا التفسير ، لإنكارهم الكرسى والعرش ونحوهما مما ثبت به النص . وقد نعى عليهم ابن قتيبة ذلك ، فقال - فى تأويل مختلف الحديث - : وفسروا القرآن بأعجب تفسير ، يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم - فقال فريق منهم فى قوله

« تلك الملائكة نزلت لقراءة سورة البقرة ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستر منهم »

تعالى (وسع كرسیه السموات والأرض) : أى عليه . وجاؤا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر :

ولا يكرسىء علم الله مخلوق . كأنه عندهم : ولا يعلم علم الله مخلوق ويكرسىء مهموز ، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسيًا هـ قلت : لاشك أن الشطر المذكور مصنوع ، وماذا يضيرهم أن يكون من مخلوقات الله عرش وكرسى ؟ إلا أن يكونوا توهموا أنهما موضع استواء الله تعالى ؛ ووضع قدمه ، كما قال به بعض المجسمة . وهو توهم يقضى العقل ببطلانه ، لاستحالته فى حق الله تعالى . وفى الكشف : فى قوله (وسع كرسیه) أربعة أوجه .

أحدها : أن كرسیه لم يضق عن السموات والأرض ، لبسطه وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته ، وتخيل فقط ، ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد قلت : هذا من بدع التفسير أيضا ، وهو مبنى على توهم أن الكرسى موضع القعود ، وهو توهم باطل كما مر . وإطلاق التخيل فى جانب الله تعالى لا يجوز ، لأنه منزّه عنه . عاد كلامه .

والثانى . وسع عليه ، وسمى العلم كرسيًا ، تسمية بمكانه الذى هو كرسى العالم . قلت : لا يوجد إطلاق الكرسى على العلم فى اللغة العربية إذا استثنينا ذلك الشطر المصنوع . وحاول بما ذكره أن يجعله مجازا مرسلًا من إطلاق المحل وإرادة الحال ، ولكنها محاولة فاشلة .

إذ الكرسى ليس مكانًا للعالم بل هو مكان لمن يجلس عليه من عالم وجاهل وبلید وذكى ، فإن صح تسمية العلم كرسيًا ، لكونه مكان العالم ، صح تسمية الجهل والبلادة والذكاء كرسيًا لعلاقة المكانية أيضًا !! وكذلك يصح إطلاق السرير على العلم والجهل للعلاقة نفسها !! وما أظن الزمخشري أخفق فى تقرير مجاز ، مثل إخفاقه هنا . والعجيب أنه حين تكلم على قوله تعالى (إذ يريكهم الله فى منامك قليلاً) وفسر منامك برؤياك قال : وعن الحسن : فى منامك ،

في عينك ، لأنها مكان النوم ، كما يقال للقطيفة : المنامة ، لأنه ينام فيها وأعقبه بقوله . وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية عنه صحيحة ، وما يلائم عليه بكلام العرب وفصاحته ١١ ولولا تقديسه للحسن ، لأنه يعتبره شيخ المعتزلة (١) ورئيسهم ، لعد كلامه هنا من بدع التفاسير وما قاله عن هذا التفسير ، يقال عن تفسير الكرسي بالعلم . على أن العين مكان للنوم حقيقة ، أما الكرسي فلا علاقة له بالعلم . عاد كلامه .

والثالث . وسع ملكه ، تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك قلت ، جعل الكرسي هنا مجازا عن الملك ، وهو من بدع التفاسير أيضا . لأن العلاقة يجب أن يكون لها مزيد اختصاص بالمعنى الذي تجوز له . وعلى هذا فالذي يصح أن يتجوز به عن الملك هو العرش أو التاج أو المقاليد . لأن هذه الأشياء لا توجد إلا عند الملوك ، وهي مظاهر ملكهم . أما الكرسي فلا اختصاص له بالملوك ، ولا مظهر فيه من مظاهر الملك وأبهته ، وهو موجود عند جميع الرعايا فقرائها وأغنيائها . فلا يصح جعله كناية عن الملك . ولو قرأت قوله تعالى . (له مقاليد السموات والأرض) أو (وهو رب العرش العظيم) لوجدت الكناية عن الملك فيه واضحة ، بخلاف (وسع كرسيه) .

والرابع . ماروى أنه خلق كرسيًا هو بين يدي العرش ، دونه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء . قلت : ذكر هذا الوجه يصيغه

(١) لأن الحسن البصري شيخ واصل بن عطاء الغزال البصري رئيس المعتزلة وإمامهم ، لكن الحسن يرى من مذهبهم ، وغم نقلهم عنه أشياء توافقهم . وهي إما غير صحيحة عنه ، وإما مؤولة . وقد قيل في سبب تسميتهم معتزلة : أن الحسن لما سمع كلام واصل في القدر ، وخلق الأفعال وغير ذلك من مسائلهم التي تخالف ما كان عليه الصحابة ، قال له : اعتزل مجلسنا .

التضعيف ، لأنه يخالف رأى المعتزلة ، مع أنه هو الصحيح كما مر . وذكر
عن الحسن أن الكرسي هو العرش ، وهذا غير صحيح . والعجب أن من بعده
كالبيضاوى وأبى السعود والسيوطى قلده ، فدكروا فى معنى الكرسي هنا
العلم والملك ، غير مدركين أن هذا المعنى من اختراع المعتزلة ، هربا من
الاعتراف بحقيقة الكرسي كما ثبت فى السنة (١) !!

قوله تعالى (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من
الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى) معنى الآية : انه ان لم
يوجد رجلان يشهدان ، فليشهد رجل وامرأتان ، لأجل أن تذكر إحدى
المرأتين الأخرى إذا نسيت ، فلفظ تذكر ، من التذكير ضد النسيان ،
وهو واضح .

ومن بدع التفاسير - كما يقول الزمخشري - : فتذكر ، فتجعل إحداهما
الأخرى ذكرا ، يعنى : أنهما إذا اجتمعنا كانتا بمنزلة الذكر ، وهذا
لا يتلاقى مع قوله (أن تضل إحداهما) .

٢ - ومن سورة آل عمران

قوله تعالى (ربنا لا تزغ) تمل (قلوبنا) عن الحق (بعد إزهديتنا) اليه
(وهب لنا من لدنك رحمة) تثبتنا (انك أنت الوهاب) هذا دعاء الراغبين
فى العلم يدعون الله ألا يزيع قلوبهم عن الحق وأن يثبتهم عليه . حكى الله
دعائهم ، فى معرض الثناء عليهم وهو دعاء واضح ليس فيه غموض . ولكن

(١) قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا
منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم) ما أنفقوا مفعول أول ليتبعون ، ومنا مفعول
ثانى ، وأذى معطوف عليه . ومن بدع التفاسير : جعل أذى اسم لا ، والخبر
مخذوف ، والمعنى : ولا أذى حاصل منهم . نقله ابن حجر فى الزواجر عن
بعضهم واستبعده قلت : بل هو باطل ، يخالف رسم المصحف ، لأن اسم
لا يبنى معها على الفتح ، وأذى فى الآية منصوب .

المعتزلة الذين يرون أن الله لا يزيغ القلوب ، وإنما يزيغها أصحابها ، رأوا هذا الدعاء غامضا يحتاج إلى تأويل .

فقال أبو علي الجبائي : المراد بالآية : ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمته : ومعنى هذا السؤال : أنهم سألوا الله تعالى أن يلفظ بهم في فعل الإيمان ، حتى يقيموا عليه ، ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب ، وأن يفعل بهم بدلا منه العقاب . فإن قال قائل : فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين ، حتى زعمتم أنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عنه ؟ وأجاب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ، ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة ، بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله تعالى لرسوله عليه وآله السلام (ألم نشرح لك صدرك) وضد هذا الشرح هو الضيق والخرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة . قال : ومن ذلك أيضا التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ، وهو الذي منعه الكافرين ، فقال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) ومن ذلك أيضا كتابته الإيمان في قلوب المؤمنين ، كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين ، فكانهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب .

قلت : هذا من بدع التفاسير ، وفيه تكلف في التقدير ، وعدول عن ظاهر اللفظ ، إلى مالا دليل عليه من السياق . ويظهر أن أبا علي افترض الراسخين في العلم معتزلة يدعون الله على قواعد مذهبهم ! وإلا فما هذا التأويل المتكلف ؟ وهل غاب عنه أن الداعي لأبراجي تلك التقديرات التي تحتاج مراعاتها إلى معرفة قواعد علم الكلام وغيره ؟ وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم دعاء يؤيد دعاء الراسخين فيما يفيد ظاهر الكلام من غير تعسف ولا التواء ، فكان يقول عليه الصلاة والسلام : يا مقلب القلوب ثبت قلبي

على دينك ، وسأله أم سلمة رضي الله عنها عن هذا الدعاء الذي كان يكثر منه ، فقال لها : ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه .

وقال المرتضى : المراد بالآية : ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ، ولا تشق علينا فيه ، فيفضى بنا ذلك إلى زيغ القلوب منا بعد الهداية . وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه ، كما قال عز وجل (أنها - يعني الآية - زادتهم رجسا إلى رجسهم) وكما قال مخبرا عن نوح عليه السلام (فلم يزدكم دعائى إلا فرارا) .

فإن قيل : كيف يشدد عليهم في المحنة ؟ قلنا : بأن يقوى شهواتهم لما قبحه في عقولهم ، ونفورهم عن الواجب عليهم . فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا ، والثواب المستحق عليه عظيما متضاعفا . وإنما يحسن أن يجعله شاقا . تعريضا لهذه المنزلة .

قال : ويجوز أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم على الهداية ، وإمدادهم باللطاف التي معها يستمرون على الإيمان . فإن قيل : وكيف يكون مزيغا لقلوبهم بالآلة يفعل اللطف ؟ قلنا : من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بالطافه وتوفيقاته ، زاغوا وانصرفوا عن الإيمان . ويجرى هذا مجرى قلوبهم : اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا . معناه : لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا . فيتسلط علينا ، ومنه قول الشاعر :

أتانى ورحلى بالمدينة رقعة لآل تميم أقعدت كل قائم

أراد : قد لها كل قائم . فكأنهم قالوا : لا تخل بيننا وبين نفوسنا ، وتمنعنا أظافك ، فنزيغ ونضل . اهـ

وقال الزمخشري : (ربنا لا تزغ قلوبنا) لا تبلىنا ببلايا تزغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) وأرشدتنا لدينك . أو : لا تمنعنا أظافك بعد إذ لطفت بنا . اهـ

قلت : ليس بعيد أن يكون هذان التأويلان ملخصين مما سبق ،
والمرتضى - وإن كان اماميا - فالإمامية يوافقون المعتزلة في مسائل منها هذه
ومسألة العدل وامتناع رؤية الله تعالى . وهذان التأويلان من بدع التفاسير ،
رغم إطالة المرتضى في توضيحهما ودعمهما بالاستشهاد والتنظير ، وبيان
ذلك من وجوه .

الأول : أن الدعاء بما لا يدخله مجاز ولا كناية ، لأنه توجه إلى الله
تعالى ، ورغبة إليه . والمتوجه الراغب أشغل من أن يلاحظ العلاقة
المصححة للمجاز ، والقرينة المانعة من الحقيقة . أو يطلق اللفظ ويريد لازم
معناه ، أو ينوى مضافا محذوفا . إلى غير ذلك مما يحسن استعماله في مقامات
أخرى كالخطب مثلا . وانظر إلى الدعوات الواردة في القرآن في سورة
البقرة وآل عمران وغافر ونوح وغيرها ، تجدها خالية من المجاز ، وهذا
مما يغفل عنه المفسرون ، فيقعون في خطأ كبير كما حصل هنا .

الثاني : أن الدعاء يحسن فيه الإطناب ، تلذذا بخطاب الله تعالى ومناجاته .
وبسطا لمطالب العبد بين يدي خالقه . وعلى هذا لو صح ما قدره المعتزلة في
الآية ، لكان الواجب أن يصرح به فيها - بأن يقال : ربنا لا تشدد علينا
المحنة في التكليف ، ولا تبلنا ببلايا تزيغ بها قلوبنا . ولا تقطع أمدادنا
بتوفيقاتك . ولا تمنعنا ألطافك حتى نستمر على الإيمان بك . لأن المقام
كما قلنا مقام اطناب . وهكذا دعوات القرآن ، فيها اطناب ، وفيها تكرار
لكلمة (ربنا) وهو نوع من الإطناب .

الثالث : إذا كان الباعث لهم على تأويل الإزاغة بما ذكروه ، أن
الإزاغة قبيحة ، والله لا يفعل القبيح . فقد وقعوا فيما هر بوا منه حيث أولوا :
لا تزيغ قلوبنا . بمعنى : لا تمنعنا ألطافك فتزيغ قلوبنا . ومنع الألطاف قبيح
أيضا ، لأنه بخل ، والله منزّه عنه . ولأنه يؤدي إلى الإزاغة حتما ، وما أدى

إلى القبيح ، قبيح . ولأنه لا يؤدي إلى استحقاق ثواب وتضعيفه ، فلم تكن فيه جهة حسن أصلا . وكذلك التخلية بينهم وبين نفوسهم ، قبيحة أيضا ، لأن نتيجتها المحتملة الازاغة والضلال ، فخالهم في تأويلاتهم التي وقعوا بها فيما فروا منه ، أشبه بالقائل .

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء !!

قوله تعالى (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر) لما بشرت الملائكة مريم بعيسى عليهم السلام ، قالت متعجبة ، تخاطب الله تعالى - : رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ؟

ومن بدع التفاسير - كما يقول الزمخشري - : أن قولها : رب ، نداء لجبريل عليه السلام ، بمعنى ياسيدى . قلت : هذا نداء لله تعالى ، حصل منها على سبيل التعجب والدهشة ، حين سمعت مالم يخطر لها على بال . أما مخاطبتها لجبريل ، فهي مذكورة فى سورة مريم .

قوله تعالى (وما كان لنبى أن يغفل) ذكر فيه الزمخشري - وتبعه البيضاوى - وجهين :

أحدهما : أنه تبرئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغلول ، وتنزيه له ، وتنبيه على عصمته بأن النبوة والغلول متنافيان . وهذا الوجه هو الصحيح ، وهو الموافق لسبب النزول . فقد صح أن طليقة حمراء ، فقدت يوم بدر ، من المغنم . فقال بعض المنافقين : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ، فنزلت الآية . وتؤيده أيضا قراءة ورش (يغفل) بالبناء للمجهول ، وهى أبلغ فى التبرئة والتنزيه . لأن معناها : وما كان لنبى أن ينسب إلى الغلول . فهو نهى عن نسبته للغلول ، فى صورة نفي وهو أقوى كما لا يخفى .

والثانى : أن يسكون مبالغة فى النهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

على ما روى أنه بعث طلائع . فغنمت غنائم فقسما ، ولم يقسم للطلائع ،
فنزلت . يعنى : وما كان لنبي أن يعطى قوما ويمنع آخرين ، بل عليه أن
يقسم بالسوية . وسمى حرمان بعض الغزاة غـلولا ، تغليظا وتقبيحا
لصورة الأمر .

قلت : هذا من بدع التفاسير ، ورواية بعث طلائع ، وعدم قسمته لها
لا تصح^(١) . وحمل الغلول على الحرمان بعيد من مدلول اللفظ ، وتأيده
بالتغليظ والتقبيح ، إساءة في حق الجنب النبوى الكريم . مع مخالفتها
لأسلوب القرآن ، إذ ليس فيه آية تشتمل على تغليظ في مخاطبته ، أو تقبيح
أشـى فعله . بل فيه من دلائل تكريمه في الخطاب ما يطول تتبعه . وانظر
كتابنا « دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين » .

« تنبيه » صح أن النبي صلى الله عليه وسلم آثر في قسمة الفـى في بعض
المغازى لكنه إثارة لمصلحة الدعوة ، ولتأليف ضعفاء الإسلام . لم يعنفه
الله عليه ، ولا لأمه . ففي غزوة حنين أعطى الأقرع بن حابس مائة من
الإبل ، وأعطى عيينة بن حصين مثله ، وأعطى ناسا من أشرف العرب
وآثرهم . فقال رجل : والله أن هذه قسمة ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه
الله . فأخبره ابن مسعود رضى الله عنه . فتخير وجهه صلى الله عليه وسلم ،
حتى كان كالصرف - بكسر الصاد : صبغ أحمر - ثم قال : يرحم الله موسى
قد أودى بأكثر من هذا فصبر ، والحديث فى الصحيحين ، وأخشى أن
يكون الزمخشري قد آذاه صلى الله عليه وسلم بتفسيره المذكور .

٣ - من سورة النساء

قوله تعالى (واللاتى يخافون نشوزهن فعضوهن واحجروهن فى المضاجع
واضربوهن) أمر الله تعالى فى الناشزات بوعظهن ، ثم بهجرهن فى المضاجع ،

(١) رواها ابن أبى شيبة عن الضحاك مرسلا ، فهى مرسلـة ضعيفة .

ثم بضربهن ضربا غير مبرح إن لم ينفع فيهن وعظ ولا هجر .

وقيل - في معنى (واهجروهن) : - أكرهوهن على الجماع ، واربطوهن بالهجار من هجر البعير إذا ربطه بالهجار (١) .

قال الزمخشري : وهذا من تفسير الثقلاء ، وصدق فيما قال . فإنها إذا كانت ناشزة عاصية لزوجها ، فكيف يليق به أن يكرهاها على الجماع ، ويربطها لأجله إلا إذا كان سمجا ثقيلًا ؟ ! وهو أيضا من بدع التفاسير ، لأنه عدول عن اللغة المشهورة والمناسبة للسياق ، إلى لغة غير مشهورة ولا مناسبة .

قوله تعالى (وإن تصبهم) أى اليهود (حسنة) نعمة كخصب وسعة (يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة) محنة كجذب وضيق (يقولوا هذه من عندك) يا محمد أى بشؤمك (قل) لهم (كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) من قبله (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون) لا يقاربون أن يفهموا (حديثا) يلتقى لتبهم ، والقصد بالاستفهام التعجب من فرط جهلهم (ما أصابك) الخطاب للنبي والمراد أفراد أمته (من حسنة) من نعمة (فمن الله) أتتك فضلا منه (وما أصابك من سيئة) بلية (فمن نفسك) أتتك ، حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (وأرسلناك) يا محمد (للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) على رسالتك .

وقال أبو علي الجبائي : قد ثبت أن لفظ السيئة تارة يقع على البلية والمحنة ، وتارة يقع على الذنب والمعصية . ثم أنه تعالى أضاف السيئة إلى

(١) الهجار - بكسر الهاء - حبل يشد به البعير ، والعجيب أن ابن جرير الطبري اختار هذا التأويل مع بعده وشدوذه ! ! ولذا قال أبو بكر ابن العربي المعافري : يالها من هفوة عالم بالكتاب والسنة ! لكن الحامل له على اختيار هذا التأويل ، حديث غريب رواه ابن وهب عن مالك عن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير بن العوام ، وانظر كتاب أحكام القرآن لابن العربي وتفسير القرطبي

نفسه أولا ، وإلى العبد ثانيا . ولا بد من التوفيق بينهما ، ايزول التناقض بين هاتين الآيتين المتجاورتين . وقد حمل المخالفون . أنفسهم على تغيير الآية ، وقرأوا : أفمن نفسك ؟ فغيروا القرآن وسلكوا مثل طريقة الرافضة في ادعاء المعنيين في القرآن . فإن قيل : لم أضاف تعالى الحسنة التي هي الطاعة إلى نفسه دون السيئة وكلاهما فعل العبد عندكم ؟

قلنا : الحسنة - وان كانت فعل العبد - فإنما وصل إليها بتسميله وألطافه ، فصحت الإضافة إليه . وأما السيئة فهي غير مضافة إليه تعالى بأنه فعلها ولا أرادها ولا أمر بها ولا رغب فيها ، فلا جرم انقطعت هذه النسبة إلى الله تعالى من جميع الوجوه .

قلت : هذا من بدع التفاسير . وقد توسع في رده ابن حجر الهيثمي في كتاب الزواج ، بعد أن سماه : امام المعتزلة في الضلالة ، ووصفه بقصور الفهم ، وفساد التصور ، وقلة العلم . ونحن نلخص رده ، قال : ليس المراد بالسيئة والحسنة أولا وثانيا ، طاعة ولا معصية ، بل النعم والمحن ، وهما ليستا من فعلهم . ودليل ذلك : التعبير بأصابتك إذ لا يقال في الطاعة والمعصية : أصابني ، بل أصبته . بخلاف النعم والمحن ، فإنها التي يقال فيها : أصابتنى . والسياق صريح في ذلك ، إذ سبب نزول الآية : أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ، قال المنافقون واليهود : ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم الرجل وأصحابه ، فكافوا ينسبون النعم إلى الله ، والمحن إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله ذلك مخبرا بمقاتلهم الفاسدة ، ثم ردها بقوله (قل كل من عند الله) مبينا لمصدرها الأصلي ثم السبب فخاطبه صلى الله عليه وسلم والمراد غيره بقوله تعالى (ما أصابك من حسنة) أي نعمة كخصب ونصر فمن الله أي من محض فضله ، إذ لا يستحق أحد عليه تعالى شيئا . وما أصابك من سيئة أي محنة كجذب وهزيمة فمن نفسك أي من أجل عصيانها ، فهي من الله لكن بسبب ذنب النفس

عقوبة لها ، كما قال تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال إبراهيم عليه السلام (وإذا مرضت فهو يشفين) فأضاف المرض لنفسه والشفاء إلى الله تعالى ، رعاية للأدب لأنه تعالى إنما يضاف إليه على الخصوص الشريف دون الخسيس ، فيقال : يا خالق الخلق ، ولا يقال : يا خالق القردة والخنزير . ويقال : يمدبر السموات والأرض ، ولا يقال : يمدبر القمل والخنفس ، فكذا هنا . وأما ما شنع به على من قرأ : أفن نفسك ؟ بالاستفهام ، فهو من جملة اقترائه كشيعة . إذ أهل السنة لم يقولوا على هذه القراءة ، ولا جعلوها حجة . وإنما الحق في ذلك : أنه ان صح أنه قرأها أحد من الصحابة والتابعين ، وجب قبولها ، وتكون حينئذ دليلا عليهم . لأن القراءة الشاذة إذا صح سند ها كالخبر الصحيح في الحجية على الأصح . وإن لم يصح ذلك لم يلتفت إليها ، وليست الحجية مفتقرة إليها ملخصا . ومن أراد الوقوف عليه بتمامه فليقرأه في مبحث التكذيب بالقدر من الزواجر . والاستفهام المشار إليه في القراءة الشاذة ، وجه كونه دليلا على المعتزلة أنه استفهام انكارى قطعا ، ينكر على من يجعل الحسنة من الله والسيئة من العبد والمقصود أن الجبائي أخطأ في الكلام على هذه الآية خطأ فاحشا لا يقع من صغار المبتدئين ، بسبب حرصه الشديد على نصرة مذهبه .

قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) معنى الآية : أن الله تعالى أسمع موسى كلامه ، وأكد بالمصدر ، لينفي عنه احتمال المجاز ، ولذا سعى موسى كلم الله .

ومن بدع التفاسير - كما قال الزمخشري - : أن كلم من الكلم . بسكون اللام ، وأن المعنى : وجرح موسى بأظفار المحن ، ومخالب الفتن - قلت : هذا تفسير خاطيء ، لأن صاحبه تعمد تحريف معنى الآية ، حتى لا يضطر إلى الاعتراف بنسبة الكلام إلى الله تعالى .

٤ - ومن سورة المائدة

قوله تعالى (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) استشكل المعتزلة هذه الآية ، فقالوا : كيف يجوز أن يخبر الله عن هايل - وقد وصفه بالتقوى - أنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وهو قبيح ؟ واردة القبيح قبيحة ؟

وأجاب المرتضى - وهو من الإمامية الذين يوافقون المعتزلة في هذه المسألة - بأن في الكلام مضافا محذوفا ، وأن المعنى : إني أريد أن تبوء بعقوبة إثمى وعقوبة إثمك ، والدليل على هذا المضاف المحذوف ، قوله (وذلك جزاء الظالمين) قال : وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمستحقه .

قلت : والأشعرية يقولون : كان لابد لهايل من أحد أمرين : إما أن يدافع عن نفسه ، فيأثم بقتل أخيه . وإما أن يستسلم ، فيأثم أخوه بقتله . ولم يرد الأول ، فاضطر إلى الثاني ، فلم يرد إثم أخيه إلا من حيث اختياره الاستسلام على المقاومة . وهذا كما يتمنى المسلم الشهادة ، ومعناها : أن يبوء الكافر بإثم قتله ، مضموما إلى إثم كفره . فالمسلم لم يقصد هذا المعنى الذي هو لازم لتمنيه الاستشهاد في سبيل الله .

وظهر لي وجه آخر ، وهو : أن يكون غرض هايل وعظ أخيه وتذكيره بمصيره عند الله أن قتله ، حتى يرتدع وينزجر . فلم يرد بكلامه إلا تهديد أخيه وزجره .

ومن بدع التفاسير : ما حكاه المرتضى بقوله : وقد ذكر قوم في الآية وجهها آخر ، وهو : أن يكون المراد : إني أريد زوال أن تبوء بإثمى وإثمك لأنه لم يرد له إلا الخير والرشد . فحذف زوال ، وأقام أن وما اتصل بهامقامه . كما قال تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) أى حب العجل ، حذف حب ، وأقام العجل مقامه ، وكما قال تعالى (واسأل القرية) أى أهلها .

قال : وهذا قول بعيد ، لأنه لا دلالة في الكلام على محذوف . وإنما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع ، لاقتضاء الكلام المحذوف ، ودلالته عليه اه .

أى كالآيتين المذكورتين ، فإن الحذف فيهما اقتضاء الكلام ، ودل عليه ، لأن العجل لا يشرب في القلوب ، ولكن حبه يشرب فيها . ولا تسأل القرية ، ولكن يسأل أهلها . وما يبعد ذلك التأويل أيضا ، قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) د تفييه ، قوله (يا ثمي وإثمك) معناه . يا ثم قتلى ، وإثمك الذي لم يقبل قربانك لأجله ، فإضافة إثم الأول ، إلى مفعوله . وهي سائغة شائعة في اللغة العربية . وإضافة الثاني ، إلى فاعله

ه - ومن سورة الأنعام

قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) معنى الآية : أن المشركين حين يجمعهم الله يوم القيامة ، ويسألهم عن شركائهم الذين كانوا يزعمونهم آلهة في الدنيا ، يتصلون منهم ، ويحلفون أنهم ما كانوا مشركين . هذا وهم يعلمون أنهم كاذبون في حلفهم وتنصلهم ، لكنهم كالغريق ، يتمسك بما يتوهم أنه ينجيه ، وإن كان لا ينفعه .

قال الزمخشري : وقول من قال : معناه : ما كنا مشركين عند أنفسنا ، وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا . وحمل قوله (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) يعني في الدنيا ، تمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام ، إلى ما هو عي وإفهام . لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ، ليس هذا الكلام بمترجم عنه ، عنه ، ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو ، وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون) ؟ بعد قوله (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا اه .

قلت : هذا تأويل حكاة المرتضى في أماليه وأيده ، ولا شك أنه من بدع التفاسير . والذي دعاه إلى تكلف هذا التأويل وتأويل آخر نقله عنه ، استشكله الآية . وإيراده سؤالاً جاء فيه : كيف يقع من أهل الآخرة نفي الشرك عن أنفسهم ؟ والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون في ذلك ؟ مع أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح ، لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة ، ولأنهم ملجئون هناك إلى ترك جميع القبائح . وأجاب بأنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم (ما كنا مشركين) إنما وقع في الآخرة دون الدنيا وإذا لم يمكن ذلك في الظاهر ، جاز أن يكون الاخبار يتناول حال الدنيا ، وسقطت المسألة .

قلت : هذا بعيد مصادم للآية ، وقد فطن لذلك ، فقال : وليس لأحد أن يتعلق في قوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وأنه عقب بقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) فيجب أن يكون الجميع مختصاً بالآخرة . لأنه لا يمنع أن تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ، ثم تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا . لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا ، غير واجبة . وقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم) لا يدل أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه في الآية الأولى . فكأنه تعالى قال - على هذا الوجه - : انا نحشرهم في الآخرة ، ونقول : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ؟ وما كان سبب فتنتهم وضلالهم في الدنيا إلا قولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) .

قلت : هذا أبعد من التأويل الذي رده الزمخشري ، وأولى منه ببدع التفاسير . والمرتضى غافل عن آية المجادلة التي تصرح بأن الكفار يحلفون لله تعالى يوم القيامة وهم كاذبون . وثبت في قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) : أنهم يحلفون ويخاصمون ، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرتهم ، فيحلفون : ما كنا

مشركون . فحينئذ يختم على أفواههم وتتكم أيديهم وأرجلهم (١) فذهب في أن الكفار يوم القيامة لا يكذبون ، غير صحيح ، يرد القرآن والحديث الصحيح .

قوله تعالى (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان) بأن شغلك بوموسسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم (فلا تقعد بعد الذكرى) بعد أن تذكر النهي (مع القوم الظالمين) .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشري : ويجوز أن يراد : وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي ، قبح مجالسة المستهزين ، لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى ، بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه ، معهم .

قلت : هذا تعسف كبير ، وقسر لالفاظ الآية على أن تفيد مذهبه الاعتراف في التحسين والتقبيح العقليين .

٦ - ومن سورة الأعراف

قوله تعالى (فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) أى فبسبب إغوائك إياي ، لأقعدن لهم .

ومن بدع التفاسير : قول من جعل ما استفهامية ، أى فبأى شيء أغويتني ؟ ثم ابتداء : لأقعدن . قال الزمخشري : وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية ، قليل شاذ أى لا يصح تخريج القرآن عليه . ثم الاستفهام لامعنى له هنا .

قوله تعالى (وقال) ابليس لأدم وحواء عليهما السلام (ما هنا كما ربكما عن هذه الشجرة إلا) كراهة (أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)

(١) وقوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) يقتضى أنهم كانوا مصرين على الكذب ، وأنهم استنكروا على جلودهم شهادتها عليهم بالصدق .

استدل المعتزلة وبعض الأشعرية بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وأجاب عنها ابن المنير في الانتصاف ، والبيضاوى في تفسيره (١) وغيرهما . لكن المرتضى أجاب عنها بجواب يعتبر من بدع التفاسير .

ذلك أنه قال : لم زعمتم أن قوله تعالى (إلا أن تكونا ملكين) معناه : أن تصيرا وتنقلبا إلى صفة الملائكة ؟ فإن هذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم ، بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة . وما أنكرتم أن يكون المعنى : أن المنهى عن تناول الشجرة غيركما ، وأن النهى يختص الملائكة والخالدين دونكما ؟ ويجرى ذلك مجرى قول أحدنا لغيره : ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا ، وإنما يعنى أن المنهى هو فلان دونك ، ولم يرد إلا أن تنقلب فتصير فلانا . ولما كان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما ، فمن أوكد الشبه إيهاما أنهما لم ينهيا . وإنما المنهى غيرهما .

قلت : هذا تأويل بعيد ، توده آية طه (قال هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) وتوجيه النهى لهما صريحا في قوله تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) ولا يناسب هذا التأويل في بعده إلا قول من زعم أن آدم عليه السلام تناول من الشجرة وهو سكران ١١ .

قوله تعالى (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) لا إشكال في هذه الآية على مذهب أهل السنة ، لأنهم يعتقدون أن الكفر والمعاصي واقعة بمشيئة الله تعالى ، ويرون أن المشيئة والارادة

(١) عقيدتي في هذا : أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، لأنبيينا صلى الله عليه وسلم وإبراهيم وموسى عليهما السلام فهم أفضل ، وبيان ذلك ينظر في كتابي « دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين » وهو مطبوع .

غير المحبة والرضا . فالله يريد الكفر ، لكن لا يحبهُ ولا يرضاه وكذلك الأمر عندهم ببيان المشيئة . أما المعتزلة الذين يرون أن الله لا يريد الكفر والمعاصي، لأنها قبيحة ، ويقولون بتلازم المشيئة ، والمحبة ، والأمر . فالآية على رأيهم مشكلة . وقد أجابوا عنها بتأويلات ، ذكرها المرتضى في أماليه . وهو من الإمامية وهم يوافقون المعتزلة في هذه المسألة . وأنا أذكر منها ما هو داخل في بدع التفاسير ، مع بيان وجه دخوله .

قال المرتضى : في هذه الآية وجوه :

الأول . أن تكون الملة التي عناها الله ، إنما هي العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته ، مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه . فكأنه قال : ان ملتكم لانهود فيها مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها . قلت : هذا باطل لوجوه :

أحدها . أن شعيبا عليه السلام ، دعا قومه إلى توحيد الله تعالى وأفراده بالعبادة ، وإلى إيفاء الكيل والميزان بالعدل . ولا شك أن التوحيد والعدل لا يدخلهما نسخ . لأنهما مما لا يجوز فيه الاختلاف لقبح نقيضهما قبحا ذاتيا .

ثانيها : أنه لم يأت في القرآن ، ولا ثبت في التاريخ أن قوم شعيب كانوا متمسكين بشريعة ، جاءهم شعيب بنسخها : فكيف يحمل الآية على معنى لا يستطيع لإثباته دليلا ؟ .

ثالثها : أن ما قدره في الآية لم يثبت في نفسه كما سبق في الوجه قبله . ولم يقم على تقديره فيها دليل ، ومن ثم كان من بدع التفاسير ، قال : وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبدا من حيث علقه بمشيئة الله تعالى ، لما كان معلوما أنه لا يشاؤه . وكل أمر علق بما لا يكون ، فقد نفى كونه على أبعد الوجوه . وتجري الآية مجرى قوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم

الخطا (قلت : هذا الوجه شبيه بما يسمى بالمصادرة فقد جعل مذهبه في عدم تعلق المشيئة بالكفر ، قرينة في الآية على استحالة عودة شعيب إلى ملة قومه . وما يؤمنه أن يجعل مخالفوه تعليق العودة على المشيئة دليلا على امكانها لأن المشيئة لاتتعلق بالمستحيل ، بدليل قوله تعالى (وما الله يريد ظلما للعالمين) والآية التي نظر بها تشير إلى غلظه من حيث لا يشعر . ذلك أن استحالة ولوج الجمل في سم الخطا مما وقع عليه اتفاق العقلاء ، بخلاف تعلق المشيئة بالكفر ، فقد قال بوقوعه معظم فرق المسلمين . فهذا الوجه باطل أيضا . قال .

ورابعها : ما ذكره قطرب بن المستنير ، من أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وأن الاستثناء من الكفار وقع ، لامن شعيب ، فكأنه تعالى قال - حاكيا عن الكفار - (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعود في ملتنا) ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب (ما يكون لنا أن نعود فيها) على كل حال قلت : يكفي دليلا على بطلانه ما فيه من من تفكيك نظم الآية ، وإخراجها من حد الفصاحة والإيجاز ، إلى الركاكة والألغاز . فهي على تقديره أشبه بقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

أصل البيت : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا - بفتح اللام المشددة . أبو أمه . أي الملك . أبوه أي أبو الممدوح ، وهو مدح لخال أحد ملوك بني أمية . فالبيت في غاية الركاكة بما حصل فيه من تقديم وتأخير ، ولا يجوز حمل الآية على تأويل يورثها تعقيدا وركاكة ، فهذا الوجه من بدع التفاسير ، وهو من الأدلة على ضعف قطرب في النحو ، كما قيل عنه قال :

وخامسها : أن تعود الهاء في قوله (فيها) إلى القرية لا إلى الملة ، لأن ذكر القرية قد تقدم ، كما تقدم ذكر الملة . قلت : أقرب مذكور هو الملة في قوله تعالى (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا

الله منها) فيتعين عود الضمير إليها . لاسيما وهي المقصود من المراجعة بين شعيب وقومه ، فالعدول عنها إلى القرية من بدع التفاسير . قال .

وسادسها : أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه ، قوله تعالى (أو لو كنا كارهين) قلت : هذا وجه باطل ، وتقدير الإكراه بعيد من سياق الآية ونظمها ، يضاف إليه أنه ينافى الحكمة من إرسال الرسل ، لأنه إن جاز أن يمكن الله قوم شعيب من إكراهه وإكراه من آمن به ، على إظهار الكفر ، فلم بعثه اليهم ؟ وأى مصلحة في أن يظهر شعيب عليه السلام كفر قومه ويعلنه مكرها .

ومثله في البطلان : الوجه الذى ذكره بعده ، وهو أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا باظهار ملتكم مع الإكراه ، لأن كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها . قال : وقوله (أو لو كنا كارهين) يؤيد هذا الوجه أيضا . قلت : يبطل بما تقدم في الوجه قبله ، ويزيده بطلانا زيادة تقدير التعبد باظهار كلمة الكفر مع الإكراه ، ودعوى حسن إظهار كلمة الكفر إذا تعبد الله بإظهارها ، باطلة . ولا يجوز أن يتعبد الله بإظهار كلمة الكفر ، لقبحها ، وغاية ما في الباب أنه رخص في النطق بها عند الإكراه ، كما رخص في أكل الميتة عند الإضطرار ، أما أن يتعبد بإظهارها ، ويصير بالتعبد حسنا ، فمما تأباه العقول .

قوله تعالى (فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون) أى فثبت الحق وظهر وبطل ما كانوا يعملون من السحر ، أى ظهر بطلانه .

ومن بدع التفاسير . كما قال الزمخشري : فوق الحق قلوبهم ، أى أثر فيها من قولهم . فاس وقيع اه وهو بعيد من سياق الكلام . قوله تعالى (وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) مهما أصلها ما الشرطية

ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد ، وقلبت الألف هاء ، استثقالا لتكرير المتجانسين - وقيل : مه اسم فعل للكف ، ضم إليه ما الشرطية . والمعنى على هذا : كف ما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ، أى أى شيء تأتينا به . والضمير فى (به) يعود على مهما باعتبار اللفظ . وفى (بها) باعتبار المعنى ، لأنه فى معنى الآية .

ومن بدع التفاسير : قول من جعل مهما بمعنى متى ما .

قال الزمخشري : وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية . فيضعها غير موضعها ، ويحسب مهما بمعنى متى ما . ويقول مهما جئتني أعطيتك . وهذا من وضعه ، وليس من كلام واضع العربية فى شيء . ثم يذهب فيفسر : مهما تأتينا به من آية ، بمعنى الوقت . فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر . وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر فى كتاب سيبويه اه وصدق فيما قال بالنسبة لأهل عصره ، أما بالنسبة لأهل عصرنا فقد تجرأ على التفسير منهم طائفة ، دل كلامهم فيه على أنه يجب عليهم الجثو بين يدي مدرس الكفراوى .

قوله تعالى (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) هم طائفة من بنى اسرائيل لم يغيروا دينهم ، ولم يحرفوا كتب أنبيائهم ، مثل عبد الله ابن سلام .

ومن بدع التفاسير : ما حكاه الزمخشري ، فقال : وقيل . ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا ، وكانوا اثني عشر مبطا ، تبرأ سبط منهم مما صنعوا ، واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ، ففتح الله لهم نفقا فى الأرض ، فساروا فيه سنة ونصفا ، حتى خرجوا من وراء الصين ، وهم هنالك حنفاء مسلمون ، يستقبلون قبلتنا . وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم : أن جبريل عليه السلام ، ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل : هل تعرفون من تكلمون ؟ قالوا : لا . قال : هذا محمد النبى

الأمى ، فأمنوا به ، وقالوا : يا رسول الله ان موسى أوصانا : من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام ، فرد محمد على موسى السلام . ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمسكة . ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم ، وكانوا يسبتون ، فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت . وعن مسروق : قرىء بين يدي عبد الله - يعنى هذا الحديث - فقال رجل : إني منهم . فقال عبد الله - لمن كان في مجلسه . وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا ؟ من يهدى بالحق وبه يعدل - قلت : هذه قصة واضحة البطلان ، والعجب من الزمخشري كيف خفي عليه بطلانها !! ونظيرها : مارواه ابن مردويه عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر ليلة الاسراء على يأجوج ومأجوج ودعاهم إلى الاسلام ، فأبوا ، قال : « فهم في النار مع كفرة الجن والإنس ، وهذا حديث باطل ، في سنده نوح ابن أبي مريم المتهم بالكذب (١) .

قوله تعالى (هو الذى خلقكم) يابنى آدم (من نفس واحدة) هى نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهى حواء (ليسكن إليها) ليطمئن إليها ويأنس بها (فلما تغشاها) فلما جامع الذكر منكم امرأته (حملت حملا خفيفا) أى حبلت منه ، وكان الحبل فى أوله خفيفا (فمرت به) فقامت وقعدت وتصرفت به لخفته عليها (فلما أثقلت) كبر الولد فى بطنها وأثقل حركتها (دعوا الله ربهما لن أنبثنا) ولداً أو نسلا (صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاها صالحا جعلنا له شركاء فيما آتاها) حيث سموا أولادهم عبد العزى وعبد شمس وعبد مناة وعبد المسيح (فتعالى الله عما يشركون) وقد دل الجمع فى (خلقكم) وفى (يشركون) على أن التثنية فى (دعوا - جعلنا) مراد بها نوعا الذكر والأنثى من بنى آدم . وقد تكلمت على هذه الآية فى قصة آدم عليه السلام . وبينت نكارة الحديث الوارد

(١) كان يقال له : نوح الجامع ، قال بعض الحفاظ : لجمعه فنونا من العلم إلا الصدق

غن سمرة ، في أن الشيطان قال لحواء - وهي حامل - سمى ولدك عبد الحارث ليعيش ، وكان لا يعيش لها ولد ، فسمته بذلك الاسم فعاش .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشري . ووجه آخر ، وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم آل قصي . ويراد : هو الذي خلقكم من نفس قصي ، وجعل من جنسها زوجها عرية قرشية ، ليسكن إليها . فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح سوى . جعل له شركاء فيما آتاها حيث سميا أولادهما الأربعة بعيد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار ، وجعل الضمير في يشركون لها ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه . قلت : بل هو بعيد ، وتخصيص الآية بدون دليل .

وما حكاه أبو مسلم الأصفهاني في تفسيره بقوله : وقال قوم : معنى (جعل له شركاء) أي طلب من الله أمثالا للولد الصالح ، فشركا بين الطلبتين وتكون الهاء في قوله (له) راجعة إلى الصالح لا إلى الله تعالى . ويجرى مجرى قول القائل . طلبت مني ردهما ، فلما أعطيتك أشركته بآخر ، أي طلبت آخر مضافا إليه . وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون قوله (جعل) والخطاب كله . متوجها إلى آدم وحواء عليهما السلام . قلت : لكنه وجه بعيد جداً يردده قوله (فتعالى الله عما يشركون) .

٧ - ومن سورة الأنفال

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) بالطاعة (إذا دعاكم لما يحْيِيكم) من أمر الدين ، لأنه سبب الحياة الأبدية . وقيل : لما يحْيِيكم من علوم الدين والشرائع ، لأن العلم حياة ، كما أن الجهل موت قال بعضهم :

لَا تُعْجِبُنِ الْجَهْلَ حِلَّتُهُ فَذَاكَ مَيِّتٌ وَثَوْبُهُ كَفَنٌ

قال المرتضى : ويمكن في الآية وجه آخر ، وهو : أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا بالفعل ، لأننا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفاً بجهاد المشركين المخالفين لملكه وقتلهم . وإن كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شرطها . فكأنه تعالى قال : استجبوا للرسول ولا تخالفوه فإنكم إذا خالفتم ، كنتم في الحكم غير أحياء ، من حيث تعبد عليه السلام بقتالكم وقتلكم . فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء .

ويجوز ذلك مجرى قوله تعالى (من دخله كان آمناً) وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً ، وهذا حكمه ، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع . قلت : في هذا الوجه بعد وتكلف في التقدير . ثم الخطاب موجه إلى المؤمنين ولا يتصور (١) أن يخالفوا جميعاً بالكفر ، حتى يجب قتالهم وقتلهم . فهذا الوجه جدير بأن يكون من بدع التفاسير . وتنظيره بقوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) غلط . لأن هذه الجملة من جملة الآيات البينات . وهي في المعنى معطوفة على (مقام إبراهيم) والتقدير : فيه آيات بينات قوم إبراهيم وأمن . داخله من غضب الله وعذابه . قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه . وهو كناية - بطريق الاستعارة التصريحية التبعية - عن كونه تعالى أقرب للشخص من قلبه وأقرب من قلبه لذاته ، فلا يستطيع طاعة ولا معصية إلا بإرادته . روى أبو نعيم عن سفيان الثوري . أن شاباً سألته بمكة ، فقال . هل عرفت الله ؟ قلت . نعم قال . كيف عرفت ؟ قلت بأنه يوجل الليل في النهار ويوجل النهار في الليل ، ويصور الولد في الرحم . قال ، يا سفيان ما عرفت الله حق معرفته قلت . كيف تعرفه أنت ؟

(١) لأنه يستحيل شرعاً أن تجتمع الأمة كلها على الكفر . الحديث (لا تجتمع أمتي على ضلالة) وهذا من خصائص الأمة المحمدية : ومن هنا كان إجماع العلماء حجة ، كما هو مبين في كتب الأصول

قال . بفسخ الهم ، ونقض العزم . همت ففسخ همى ، وعزمت فنقض عزمى ، فعرفت أن لى رباً يدبرنى .

قلت . هذه القصة تبين بوضوح كيف يحول الله بين المرء وقلبه ، بفسخ همه ، ونقض عزمه . وانظر ما تقدم فى قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا) وقيل يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله ، وإبطال تمييزه . لأنه يقال لمن فقد عقله أنه بغير قلب . قال الله تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أى عقل ، وهذا من بدع التفاسير ، لأن من فقد عقله ، سقط عنه التكليف ، وأى فائدة فى أن يأمر الله عباده بأن يعلموا أنه يزيل عقل المكلف ويذهب عنه التكليف ؟ ! ثم كيف ترتبط هذه الجملة بقوله (وأنه إليه تحشرون) ؟ وهل يكون المعنى . واعلموا أنكم إليه تحشرون فاقدى العقول ؟ ساقطى التمييز .

وقيل . المعنى . أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعو إليه قلبه من المعاصى ، بالأمر والنهى ، والوعد والوعيد ؛ لأنه لو لم يكلف الشخص مع ما فيه من الشهوات لم يكن له عن القبيح مانع فكأن التكليف حائل بينه وبينه ، بما فيه من زجر ومنع . وليس يجب فى الحائل أن يكون فى كل موضع مما يمتنع معه الفعل . لأننا نعلم أن المشير منا على غيره . فى أمر كان قد هم به . أن يجتنبه ، يصح أن يقال حال بينه وبين فعله . قلت . هذا من بدع التفاسير أيضاً ، ويان ذلك من وجوه :

أحدها : أن النفس هى الداعية إلى القبيح ، قال يوسف عليه السلام (وما أبرئ نفسي أن النفس لأماراة بالسوء) ولم يقل . وما أبرئ قلبى أن القلب لأماراة بالسوء .

ثانيها : أن حمل (يحول) على : يمنع بالأمر والنهى والوعد والوعيد ، مجاز ، وهو خلاف الأصل ، والمعنى الحقيقى المتبادر من اللفظ ما تقدم : أنه يفصل بين المرء وقلبه بتصاريفه وأحكامه ، وهذا المعنى هو المراد هنا من جهة أخرى ، وهى

ثالثها : إفادة أن الله تعالى يملك القلوب ويتصرف فيها ، وأنهم ان لم يستجيبوا للرسول ، حال بينهم وبين قلوبهم ، فلا تجدد قبولاً للطاعة ولا تذوق حلاوتها . وأنهم اليه يحشرون فيجازيهم على ما فرط منهم .

وقيل : يحول بين المرء وقلبه بالموت ، فلا ينتفع بقلبه ، وهذا حث على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف . كأنه تعالى قال : بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت ، فيحول بينكم وبين الانتفاع بقلوبكم ، ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم .

قال المرتضى : ويقوى ذلك قوله تعالى (وأنه اليه تحشرون) قلت : هذا من بدع التفاسير أيضا . لأن المكلف إذا مات ، حيل بينه وبين حياته والانتفاع بجوارحه كلها . ولا خصوصية للقلب في هذا ، ثم هو معنى مجازي والمعنى الحقيقي ما قررناه وأوضحناه

وهذه التفاسير الثلاثة ، للمعتزلة ومن وافقهم من الإمامية الذين لا يعترفون بأن الله تعالى يصرف قلب المكلف عن الإيمان أو الطاعة ان شاء . لأن ذلك قبيح عندهم ، والله لا يفعل القبيح . لكنهم لا يقدرُونَ أن ينكروا ما يحسه الشخص أحيانا من عزمه على الطاعة أو المعصية ، وتصميمه على تنفيذها . ثم عند التنفيذ ينصرف قلبه ، وينفسخ عزمه وتصميمه . مع وجود الداعي ، وفقدان المانع . ولا تعليل لذلك إلا بأنه من فعل الخالق سبحانه وتعالى .

٨ - ومن سورة التوبة

قوله تعالى (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة) إلا : قرابة وقيل : عهداً . وقيل : جواراً ، وهو رفع الصوت عند المخالفة ، لأنهم كانوا يرفعون أصواتهم عند المخالفة ، إعلاناً لها ، وتأكيذاً لعقدها . وجمع إل ، إلال كقداح .

ومن بدع التفاسير : إلا أى الله تعالى ، ومن لغات جبريل : جبرئيل
بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام ، على أن جبر : عبد ، وال :
الله . وفي المختار : الإل بالكسر ، هو الله عز وجل . قلت . لعله معرب
عن اللغة السريانية أو العبرانية . وهو فى الآية منكر ، فلا يصح أن يكون
معناه إلها أو ربا ، ثم بعد هذا فإسماء الله توقيفية ، أى لا يصح أن يسمى الله
باسم إلا إذا جاء صريحا فى آية ، مثل الأسماء المذكورة فى خواتيم سورة
الحشر ، أو جاء فى حديث صحيح مثل . مقلب القلوب .

« تنبيه ، يقع فى كتب الروحانيات مثل شمس المعارف أسماء غريبة .
يقول عنها أصحاب تلك الكتب : إنها أسماء الله تعالى باللغة السريانية .
غافلين عما قرره علماء الشريعة أن تسمية الله بها لا تجوز ، كما لا تجوز تلاوتها
ولا كتابتها فى جدول بقصد الاستشفاء أو التبرك ، لأنها لم تأت فى آية
قرآنية ، ولا حديث نبوى صحيح . كذلك يذكر جماعة من الصوفية باسم
« آه » مستندين إلى ما رواه الديلمى فى مسند الفردوس والرافعى فى تاريخ
قزوين عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على
مريض يعود - وكان يثن - فقال له أهله : اسكت ، فقد حضر النبي صلى
الله عليه وسلم . فقال « دعوه يثن فإن الأئمة من أسماء الله تعالى يستريح
إليه العليل ، وهذا حديث واهى ، لا يجوز العمل به ، فى سند الديلمى محمد
ابن أيوب بن سويد الرملى ، وهو وضاع وسند الرافعى فيه ثلاث علل :

إحداها : أنه وجادة :

ثانيتها : أن فيه ليث بن أبي سليم ، وهو ضعيف مختلط ، رفّاع
للموقوفات .

ثالثتها : أن فيه رواية مجهولين .

قوله تعالى (عفا الله عنك لم أذنت لهم) قال الزمخشري : عفا الله عنك ،

كناية عن الجناية ، لأن العفو رادف لها . ومعناه : أخطأت وبئس ما فعلت
قلت : هذا من بدع التفاسير .

والحقيقة : أنه لا جناية ولا خطأ ، لسبب واضح . هو أن الجناية
أو الذنب أو المعصية ، مخالفة النهي ، ولم يسبق من الله نهى عن الاذن
للمنافقين . والنبي صلى الله عليه وسلم أذن لهم اجتهداً منه ، فكيف تنسب
إليه جناية ؟ بل لو فرض أنه أخطأ ، لكان مثاباً على اجتهداه (١) ، غير
مؤاخذ بخطئه ، وهو صلى الله عليه وسلم لم يخطئ ، لأنه سلك ما هو أوفق
بخلقه ، من التيسير على أصحابه ، والميل إلى ستر حالهم ، وتفويض أمرهم
إلى الله تعالى ، لكن الله أراد منه أن يكون شديداً على المنافقين فهو كقوله
تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) فالاذن للمنافقين
كان جائزاً بحسب الأصل ، ثم نسخ بهذه الآية ، كما كان الاستغفار لهم
والصلاة عليهم جائزين ، ثم نسخا بقوله تعالى (ولا تصل على أحد منهم
مات أبداً ولا تقم على قبره) وفاعل الحكم المنسوخ - قبل نسخه - لا يكون
عاصياً ، بل هو مثاب مبرور .

وقوله تعالى (عفا الله عنك) استفتاح كلام ، على عادة العرب في استفتاح
مخاطباتهم بهذه الجملة ، أو بقولهم : غفر الله لك ، أو أظال الله بقاءك . ونحو
ذلك ، لا يقصدون المدلول اللفظي للكلام ، وإنما يريدون تكريم المخاطب
إذا كان عظيم القدر ، فهذه الجملة تفيد تكريم النبي لا تجريمه ، وقد عقد
المرتضى في أماليه مسألة أجاب فيها عن الآيات التي يفيد ظاهرها عتاب النبي
صلى الله عليه وسلم ، وقال عن هذه الآية : فأما قوله تعالى (عفا الله عنك)
فليس يقتضى معصية ، وذلك أن المقصد في الغالب يمثل هذا الخطاب التعظيم

(١) الحديث الصحيحين « إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم
فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد »

للخطاب ، واستيضاح ما عنده فيما يفعله . ألا ترى أن الواحد منا يقول لغيره : لم كان كذا وكذا ؟ رحمك الله وغفر لك ! وهو لا يقصد إلا الملاحظة له ، وحسن المحاورة ، ولا يقصد الاستيضاح له عن زلة ، وإنما الغرض الاجمال في الخطاب .

وقد صار ذلك عرفاً بين الناس ، والمقصد به التوفير والاجلال فأما قوله تعالى (لم أذنت لهم) فليس يجب حمله على العتاب ، لأن هذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة ، بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام ، وتارة يراد بها التقرير ، وتارة العتاب ، وهي محتملة لجميع المذكور . فلم نحملها في حق النبي صلى الله عليه وسلم على العتاب دون بقية الأقسام ؟ ! وخاتمة ما في ذلك حمله على ترك الأولى حسب ما تقدم في الآيات .

٩ - ومن سورة يونس

قوله تعالى (ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) قال الزمخشري : فإن قلت : كيف جاز النظر على الله تعالى ؟ وفيه معنى المقابلة ؟ قلت : هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشئ موجوداً شبه بنظر الناظر ، وعيان المعاني في تحقيقه . قلت : حاصل كلامه نفى النظر عن الله تعالى ، بدعوى استلزامه المقابلة وهي في حقه بمنتهى .

وهذا من بدع التفاسير ، ومن غلطاته الشنيعة التي يردّها النص الصريح . فمن أسماؤه تعالى الثابتة في القرآن والسنة البصير .

وقال تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) والرؤية والنظر واحد . ودعوى استلزامهما للمقابلة باطلة ، لأن الله تعالى منزّه عن الجسمية ولوازمها ، فكما أنه تعالى موجود لا في مكان ولا في جهة ، كذلك يرى

وينظر من غير جارحة ولا مقابلة ، ونفى النظر عنه ، ينافي كماله المطلق سبحانه وتعالى ، لكن جاء في عبارة له ما يفيد أنه يفرق بين النظر والرؤية بأنها لا تستدعي المقابلة ، فإنه قال - في الكلام على قوله تعالى (كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) - وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام ، يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه ، إذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه ، فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ، فان قلت : لم جعلت (مستمعون) قرينة (معكم) في كونه من باب المجاز . والله يوصف على الحقيقة بأنه سميع وسماع ؟ قلت : ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة ، لأن الاستماع جار مجرى الإصغاء ، والاستماع من السمع ، بمنزلة النظر من الرؤية اه .

وتوضح ما أشار إليه : أن الاستماع إلى الشيء ، معناه الإصغاء والإمالة إليه ، والله سبحانه منزه عن ذلك ، بل يتعلق سمعه بجميع المسموعات من غير إصغاء وإمالة ، وكذلك النظر ، معناه تأمل الشيء بالعين ، والناظر في المقلة السواد الأصغر الذي فيه إنسان العين ، فمن هنا كان النظر مستلزما للمقابلة ، والله تعالى أعلم ، ومن هنا جاء التعبير بالنظر عن المقابلة ، في قوله تعالى (وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون) وتراهم أى الأصنام يقابلونك بعيون كأنها حقيقية ، وهم لا يبصرون حقيقة ، لأن عيونهم مصنوعة .

قوله تعالى (فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه) بفتح الهمزة أى بأنه ، وبكسرها على الاستئناف (لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الزمخشري : كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات ، في ثلاث عبارات (١) ، حرصا على القبول .

(١) هى : آمنت ، إنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين . هذا على قراءة كسر همزة انه ، باعتبارها جملة مستأنفة ، وعلى فتحها تكون مفعولا لآمنت في قوة المفرد .

ثم لم يقبل منه ، حيث أخطأ وقته ، وقاله حين لم يبق له اختيار قط ، وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار ، وعند بقاء التكليف (الآن) أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار ، حين أدركك الغرق ، وآيست من نفسك (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الإيمان (فاليوم تنجيك) نبعدك عما وقع فيه قومك من قعر البحر . حال كونك (ببدنك) أى جسماً لا روح فيه (لتكون لمن خلفك) بعدك (آية) عبرة فيعرفوا عبوديتك ومهانتك ، وليتيقن بنو اسرائيل هلاكه . لأنهم كانوا في شك منه ، حتى رأوه مطروحاً على الساحل . ففرعون مات كافراً عدواً لله ورسوله ، وأجمع العلماء على ذلك منذ الصحابة والتابعين وهلم . لكن القاضى عبد الصمد الحنفى - وكان موجوداً سنة ثلاثين وأربعمائة - حكى في تفسيره عن مذهب الصوفية : أن الإيمان ينتفع به ولو عند معاينة العذاب .

قلت : ومن هنا قال الشيخ محي الدين ابن العربي الحاتمي في الفتوحات المسكية ، بصحة إيمان فرعون ، ونجاته من العذاب . وإليك حاصل كلامه في هذا المعنى : لما حال الغرق بين فرعون وبين أطماعه ، لجأ إلى الله تعالى ، وإلى ما أعطاه باطنه بما كان عليه من الذلة والافتقار . فقال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل . لرفع الإشكال ، كما قالت السحرة لما آمنت : آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ، لرفع الارتياب ، وإزاحة الاشكال . ثم قال : وأنا من المسلمين . فخاطبه بلسان العتب (الآن) أظهرت ما كنت قبل قد علمته (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) فى أتباعك (فاليوم تنجيك) فبشره قبل قبض روحه (لتكون لمن خلفك آية) أى لتكون النجاة علامة له . إذا قال ماقلته كانت له النجاة مثل ما كانت لك . إذ العذاب ما يتعلق إلا بظاهرك وقد أريت الخلق نجاتك من العذاب . فكان ابتداء الغرق عذاباً ، وصار الموت فيه شهادة خالصة . كل ذلك حتى لا يئس أحد من رحمة الله تعالى ، فانه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون . والأعمال بالخواتيم . وأما قوله تعالى (فلم يك ينفعهم

إيمانهم لما رأوا بأسنا) فكلام محقق في غاية الوضوح . فإن النافع هو الله ، فما نفعهم إلا الله . وقوله تعالى (سنة الله التي قد خلت في عباده) يعنى الإيمان عند رؤية البأس . وإنما قبض فرعون ولم يؤخر في أجله ، في حال إيمانه ، لئلا يرجع إلى ما كان عليه من الدعوى .

وأما قوله تعالى (فأوردكم النار) فما فيه نص أنه يدخلها معهم ، بل قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون) ولم يقل : أدخلوا فرعون . ورحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمان فرعون المضطر ، وأى اضطراب أعظم من اضطراب فرعون في حال الغرق ؟ والله تعالى يقول (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فقرر للمضطر إذا دعاه الإجابة وكشف السوء عنه : فلم يكن عذابه أكثر من الغرق في الماء اه .

قلت : الذى يدل عليه القرآن والحديث : أن الإيمان عند المعاينة لا يقبل ، فإن قوله تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم فلو لا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) يفيد أن الإيمان عند المعاينة لا ينفع أصحابه إلا قوم يونس فقط نفعهم إيمانهم عند المعاينة . ولو كان ينفع كما نقل عن الصوفية لم يكن لاستثناء قوم يونس معنى ، وفى مسند أحمد وسنن الترمذى وابن ماجه وصحيح ابن حبان ومستدرک الحاكم من حديث ابن عمر : أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، وهذا الحديث مثل قوله تعالى (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار) وفرعون إنما آمن عند الغرغرة ومعاينة العذاب ، فكان إيمانه غير مقبول . لهذا ، ولأنه لم يؤمن بموسى ، وقياسه على السحرة غلط ، فإنهم صرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين ، ثم صرحوا بخصوص ربوبيته لموسى وهرون ، وفى ذلك تصريح بإيمانهم بهما . ولكن فرعون لم يذكر

موسى تصرّحاً ولا إشارة ، لأنه كان يراه ربيب نعمته وقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) خطاب تقريع وتوبيخ ، بدليل تذكيره بعصيانته وإفساده . وذلك يدل على غضب الله منه وبغضه له ، كما قال تعالى فى آية أخرى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) ولو قبل إيمانه لما عيره بعصيانته وإفساده . بل كان يقول له : الآن نقبلك ونكرمك ، جرياً على عادة الله مع عباده حين يتوبون إليه ويقبل توبتهم ، فإنه يعرض عن ذكر ماضى من كفرهم وعصيانهم .

ومن حكم الصوفية : ذكر الجفاء وقت الصفاء ، من الجفاء . والعتاب إنما يكون بين الأحباب ، ابقاء على المودة التى بينهم . كما قال الشاعر :

ويبقى الود مابقى العتاب

وفرعون كان عدو الله إلى آخر لحظة من حياته فكيف يعاتبه الله الذى إنما يعاتب أصفياه ؟ ثم ماسمعا عتاباً يذكر فيه لفظ العصيان والافساد . وفى الآية نكتة تفيد القطع بأنها ليست خطاب عتاب . وهى : أن الله تعالى لم يقل له : وكنت مفسداً . بل قال : وكنت من المفسدين ، وهذه الجملة أبلغ ، لأنها تفيد أن فرعون عريق فى الإفساد . بحيث أنه صار - لمرافقته فيه - من جملة المفسدين الذين صار الفساد والإفساد دأباً لهم وعادة وانجاؤه بيدنه الخالى من الروح ، ليكون آية على فساد دعواه الألوهية ، فالضمير فى (لتكون) لفرعون لأن الخطاب موجه إليه ، وجعله عائداً على النجاة المأخوذة من لفظ ننجيك ، يردده أمران :

١ - أنه تشتيت للضمائر من غير ضرورة تدعو إليه .

٢ - أنه إن أريد النجاة من الغرق ، فهو لم ينج منه ، وإن أريد النجاة من عذاب يوم القيامة ، فرمى جسمه على الساحل لا يدل عليها ولا يقتضيا ، لأن جسم الميت لا يظهر عليه أثر عذاب ولا نعيم .

فأخلق لم يروا نجاة فرعون ، وإنما رأوا جسمه خاليا من الروح مطروحا على الشاطئ ، كما نرى نحن جسم الكافر الميت سليما ليس فيه شيء ، وروحه تعذب عند الله تعالى . وكذلك فرعون وقومه تعذب أرواحهم عند الله كما قال تعالى (وحق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) فروح فرعون معذبة الآن بعرضها على النار صباحا ومساء وعبرت الآية بآل فرعون ، لأمرين :

١ - الإشارة إلى أن آله إذا عذبوا أشد العذاب ، كان هو أولى بذلك منهم ، لأنهم إنما كفروا باضلاله وحملهم على عبادته ، وقوله لهم : أنا ربكم الأعلى .

٢ - الاستهزاء به والطنز عليه ، وذلك أغبط له ، وأشد لعذابه ، وهذا كما يقال لأبي جهل يوم القيامة وهو في أشد العذاب (ذق انك أنت العزيز الكريم) استهزاء به ، وسخرية منه .

وقوله تعالى (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) يدل أيضا على أن الإيمان عند معاناة العذاب لا ينفع صاحبه . وسياق الآية يقتضي ذلك (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده) في الأمم التي لا ينفعهم الإيمان عند معاناة العذاب (وخسر هنا لك الكافرون) فهؤلاء الأقوام آمنوا عند معاناة البأس وهو العذاب كما آمن فرعون فلم يقبل منهم وخسروا .

ولما كان الإيمان المقبول سببا لنجاة صاحبه من العذاب ، نسب النفع إليه ، على عادة القرآن والسنة في نسبة الأمور إلى أسبابها الشرعية أو العادية ، وإن كان النافع في الحقيقة هو الله ، في كل شيء ، لافي الإيمان

وحده ؛ فالتمسك به في هذه الآية ، مخالف لنظمها وسياقها ، كما هو مخالف لعادة القرآن والسنة على ما مر .

وقوله تعالى (فأوردتهم النار) نص في دخولها ، وذلك أن الله تعالى يقول (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) بمحمود العاقبة ثم بين عدم رشاده بقوله (يقدم) يتقدم (قومه يوم القيامة) وهم يتبعونه كما كانوا يتبعونه في الدنيا (فأوردتهم النار) وهو سابقهم اليها وهم وراءه .. ولا أحد يفهم من هذه العبارة أنه أدخلهم النار وعاد لأن ادخال الكفار والعصاة للنار يوم القيامة وظيفة الزبانية ، وهم طائفة من الملائكة خصهم الله بهذا العمل ، لا يتولاه غيرهم . حتى إن الرسل المكرمين لا يقدر أن يدخلوا مكذبيهم النار ، لأنهم غير مأذون لهم في ذلك : فكيف يتأني لفرعون أن يورد قومه النار ثم يرجع ؟ ١١ أعطى في ذلك اليوم مالم يعط الرسل ؟ أم جعل مساعدا للزبانية ؟ أم ماذا ؟ والله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف عنه سوء ، ولو كان كافرا ، لكن لا يقبل إيمان الكافر إذا آمن عند معاينة العذاب ، ولا توبة العاصي إذا غرغ (١) . فمقام الايمان غير مقام الدعاء ، وخطأ أحدهما بالآخر غلط واضح .

(١) شرط قبول إيمان الكافر أو توبة العاصي أمران : أن يكون مختارا غير مضطر ، وأن يكون غائبا عنه العذاب المتوعد به على الكفر أو المعصية فإذا عاين العذاب كحال فرعون عند الغرق ، أو المحتضر عند الغرغرة . كان إيمانه أو توبته حينئذ عن اضطرار ، فلم يقبل منه ، لفقد الشرطين . أما الدعاء فاجابته منوطة بالاضطرار ، فكلما كان الداعي أشد ضرورة ، وأكثر مصائب ، كان أقرب إلى الاجابة ، ولو كان كافرا . لأنه خاص بالدنيا ولا علاقة له بالآخرة . ولو أن فرعون دعا الله عند الغرق لإنجائه ، وأعطاه فرصة الحياة مرة أخرى ، كما أنجى غيره من المشركين عند اضطرارهم ، لكنه لم يوفق للدعاء ولجأ إلى الإيمان مضطرا ، فلم يقبل منه ، ولم ينبج من الغرق .

وبعد : فالدليل على موت فرعون كافرا - سوى ما مر - قوله تعالى يخاطب أم موسى عليهما السلام (أن اقذفيه في "تأبوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له) تخبر هذه الآية بأن فرعون عدو لله وعدو لرسوله موسى ، وخبر الله تعالى لا يدخله نسخ ولا تغيير . وهذا الدليل لم يتفطن له جميع من تكلم في إيمان فرعون وكفره ، (١) وانظر تسمية هذا البحث في كتابنا « خواطر دينية » .

قوله تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك) على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) وهم علماء اليهود ، لأن أمرهم مكتوب عندهم في كتبهم ، وهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم .

والآية لا تقتضي وقوع الشك منه صلى الله عليه وسلم ، لأن حرف «ان» لا يفيد حصول شرطه ، بل يفيد الشك في حصوله ، ولهذا يدخل على المستحيل كما في هذه الآية . وهي مثل قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) ومن المعلوم بالضرورة أن وقوع الشك أو الشرك منه صلى الله عليه وسلم محال . وقيل : الخطاب - في الآية - موجه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ، مثل (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) والمعنى على هذا : فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم ، كقوله (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) .

وقيل : الخطاب لأي سامع ممن يجوز عليه الشك . وهذا كقول العرب : إذا عز أخوك فهن .

ومن بدع التفاسير : قول من قال : «ان» نافية ، بمعنى «ما» وتقديرا لكلامه على هذا : فما كنت في شك مما أنزلنا إليك . لكنه لا يتلاقى مع قوله (فاسأل) ووجهه الزمخشري بأن المعنى : فما كنت في شك فاسأل . يعني

(١) ألف العلامة الجلال الدواني الصديق رسالة « إيمان فرعون » أيديها رأى ابن العربي الحاتمي ، طبعت أخيرا . وألف ابن سلطان القاري رسالة في كفر فرعون ، لم تطبع بعد .

لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ، ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى ، وفي هذا الوجه تكلف لا يخفى . ووجه المرتضى بأنه تعالى لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفي شكه ، لأمرهم أمره بالسؤال أنه شاك في صدقه ، وصحة ما أنزل عليه . فقدم نفي الشك عنه ، ليعلم أن أمره بالسؤال ، ليزول الشك عن غيره ، لا عنه .

قلت : الإيهام المشار إليه باطل ، لما مر . وغفل المرتضى والزحشرى عن أن تعقيب النفي بالأمر لا يحسن في اللغة العربية ، لأنه يورث ركاكة لا يجوز تخريج القرآن عليها ، وإنما يحسن تعقيب النفي بالفعل المضارع كما هو معلوم .

١٠ - ومن سورة هود

قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أى ما كانوا يعجزون الله في الدنيا لو أراد أن يعاقبهم فيها (وما كان لهم من دون الله من أولياء) أنصار ينصرونهم منه ، ويمنعون عنهم عقابه . لكنه أراد تأخيرهم إلى هذا اليوم (يضاعف لهم العذاب) لأنهم أضلوا غيرهم ، ولأنهم (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) أى أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق ، وشدة كراهم له كأنهم لا يستطيعون السمع والإبصار^(١) وفي الآية وجوه أخرى .

ومن بدع التفاسير : جعل ما مصدرية ، والمعنى : يضاعف لهم العذاب في الآخرة مدة كونهم يستطيعون السمع والأبصار ، أى ما داموا أحياء ،

(١) يؤيد هذا التأويل قوله تعالى في سورة الكهف (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا) فهذه الآية تفيد أنهم - لكراهم الحق وبغضهم له - كانت أعينهم مغطاة عنه ، لا تراهم وكانوا لا يستطيعون سماعه

فجعل استطاعة السمع والأبصار كناية عن حياتهم . ذكر هذا الوجه ، المرتضى في أماليه ، وهو ضعيف لا يفيد سياق الآية .

قوله تعالى (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) المراد بالتنور : الذى يختبئ فيه . وهو تنور كان بدار نوح عليه السلام ، جعل فوران الماء منه علامة على الطوفان الذى أغرق قومه . وهذا القول هو الراجح . لأنه الحقيقة وهى الأصل ولأنه قول ابن عباس والحسن ومجاهد ، ولأن فوران الماء من مكان النار أقوى فى المعجزة ، وأبلغ فى الدلالة على ما أعقبه من طوفان لم يحصل مثله فى العالم .

وقيل : التنور وجه الأرض ، وأن الماء نبع وفار على وجه الأرض وهذا قول عكرمة ، ويروى عن ابن عباس أيضا ، قال المرتضى : والعرب تسمى وجه الأرض تنورا .

وقيل : أعالي الأرض ، روى عن قتادة فى قوله تعالى (وفار التنور) قال : ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها .

وقيل : معنى (وفار التنور) : برز النور ، وظهر الضوء وتكاثفت حرارة دخول النهار ، وتقضى الليل .

وقيل : معنى وفار التنور : اشتد غضب الله عليهم وحل وقوع نقمته بهم . فذكر تعالى التنور مثلا لحضور العذاب . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « الآن حمى الوطيس ، حين اشتدت الحرب يوم بدر .

وهذا التأويل والذى قبله من بدع التفاسير ، لأنهما مجازان بعيدان . ولأننا لانجزم بأن اللغة التى خاطب الله بها نوحا كان فيها مثل هذه المجازات المعروفة فى لغة العرب .

ولهذه المناسبة ننبه إلى قاعدة هامة ، غفل عنها المفسرون قاطبة فيما

أعلم ، إذ لم أجد منهم من فطن لها ، أو نبه إليها . وبسبب غفلتهم عنها وقع كثير منهم في تفسيرات مخطئة ، مثل التفسيرين المذكورين ، لجنوحهم إلى المجاز أو الاستعارة أو الكناية في معظم الآيات التي يفسرونها ، غير مفرقين بين موضوعاتها ، مع أن الآيات التي يكون موضوعها الحديث عن الأمم التي لا تكلم العربية ، مثل قوم نوح وإبراهيم وبنى إسرائيل ، وحكاية ما حصل بين رسلهم وبينهم من مجادلات ، وما توجه إليهم من خطابات تكليفية وغيرها . لا يجوز حملها على المجاز كما مر في المقدمة ، بل يجب حملها على الحقيقة ، لأنها مجزوم بإرادتها رغم اختلاف اللغات ، ورغم تباین التقاليد والعادات ، فنحن حين نحمل التنور على تنور الخبز ، نجزم بأنه كان عند نوح وقومه تناير يخبزون فيها وإن كانوا قد يسمونها باسم آخر ، فنكون قد أصبنا المعنى المراد حتما . ولكن حين نحمل (فار التنور) على برز النور ، أو : اشتد غضب الله ، أو نحو هذا من المعاني المجازية ، نكون مخطئين أشد الخطأ . لأننا لانعرف هل كان في لغة نوح وقومه مجاز وكناية ؟ وليس لدينا ما يدلنا على أصول لغتهم ، وكيفية مخاطبتهم . والمعروف على وجه العموم : أن اللغة العربية انفردت من بين اللغات بما فيها من كثرة التجوز والاتساع ، حتى ادعى ابن جني أن أغلب اللغة مجاز ، وذلك لسيلان أذهان العرب وسلامة فطرتهم ، وسرعة لمحتهم للعاني التي يصوغونها في قالب تشبيه أو مجاز أو كناية ، وهم أنفسهم ما توصلوا إلى هذا الرقي اللغوي حتى تهذبت طباعهم ، ورق إحساسهم واكتسبوا برحلاتهم إلى الشام واليمن والبحرين وأطراف الجزيرة العربية معارف وحضارات نقلوها إلى لغتهم ، وأضافوها إلى كلامهم ، وتعريبهم لكلمات فارسية ورومية وحيشية ونبطية شاهد صدق على ذلك ، ولهذا لا تجد في لغة العرب القدماء ، وهم العرب العاربة ، وهي البائدة . ما تجده في لغة العرب المستعربة ، من الثروة اللسانية التي بلغت ذروتها زمن البعثة المحمدية ، بحيث يكاد يجزم الباحث في لغاتهم أن العرب جنسان مختلفان .

وإذا كان الفرق بين متقدمي العرب ومتأخريهم بهذه المنزلة من البعد ، فالفرق بينهم وبين من لا يتكلم بلغتهم ، أشد بعدا وأبعد منزلة . إذن فمن الخطأ البين حمل ما يحكيه القرآن من كلام الاسرائيليين وغيرهم على مذاهب العرب في التجوز والاتساع ، لما قررناه وأوضحناه ، فشد يدك على هذه القاعدة التي لا تجدها في غير هذا الكتاب .

قوله تعالى (قال يانوح انه ليس من أهلك) وعد الله تعالى نوحا عليه السلام بإنجاء أهله من الطوفان ، فلما هلك ابنه مع الهالكين فيه ، قال نوح مخاطب ربه (رب ان ابني من أهلي الذين وعدتني بإنجائهم ، وإن وعدك الحق) ، لا يدخله خلف . فكيف هلك ابني ؟ فقال الله تعالى (ان ابنك ليس من أهلك) الموعود بنجاتهم . لأنه كافر ، ولا نجاة لكافر .

ومن بدع التفاسير : قول بعض الجبهة ممن تسوروا علم التفسير بغير علم . ليس من أهلك ، أى هو ابن زنا . وهذا قول شنيع ، يدل على الجهل بمقام النبوة . ثم هو مردود بنص القرآن . (١) فإن الله تعالى قال قبل هذه الآية (ونادى نوح ابنه) فنسب الابن إليه ، وهذا دليل قاطع على أنه ابنه لصلبه ، إذ من المستحيل أن يكون ابن زنا وينسب الله إليه وأما قوله (ليس من أهلك) فهو من حذف الصفة للعلم بها كما تقدم ، قوله تعالى (ولو شاء ربك) هداية الخلق (لجعل الناس أمة واحدة) أهل دين واحد ، وهو دين الإسلام (ولا يزالون مختلفين) على أديان شتى (إلا من رحم ربك) فهذا الاتفاق على دين الحق (ولذلك) المذكور من الاختلاف والرحمة (خلقهم) خلق

(١) في الآية نكتة ترد هذا القول الشنيع ، لم أر من تعرض لها ، وهي أن نوحا قال : رب إن ابني من أهلي ، فاشتمل كلامه على أمرين : نسبة الابن إليه ، وأنه من أهله . ورد الله عليه قال : انه ليس من أهلك ، فأقر بنوته . ونفى أنه من أهله الناجين ، ولو لم يكن ابنه لقال له : ليس ابنك ولا من أهلك .

أهل الاختلاف لتكون عاقبتهم الاختلاف ، وأهل الرحمة لتكون عاقبتهم الرحمة ، فاللام للعاقبة (ونمت كلمة ربك) وهى (لآملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) .

ومن بدع التفاسير : قول أبى مسلم الأصفهاني : معنى (مختلفين) : أن خلف هؤلاء الكفار يخلف سلفهم فى الكفر ، لأنه : سواء قولك : خلف بعضهم بعضا ، وقولك : اختلفوا . وسواء قولك : قتل بعضهم بعضا ، وقولك : اقتتلوا . ومنه قولهم : لا أفعل كذا ، ما اختلف الجديدان . قلت : ان صح ان اختلفوا بمعنى خلف بعضهم بعضا ، فالسياق لا يساعد عليه ، ولا يناسبه وإنما يناسب الاختلاف بالمعنى السابق ، وهو المشهور المتعارف .

١١ - ومن سورة يوسف

قوله تعالى (ولقد همت به) أى همت بمخالطته (وهمّ بها) هم بمخالطتها (لولا أن رأى برهان ربه) لمخالطها ، والمراد : أن نفسه مالت إليها بحكم الطبيعة البشرية ، كما يميل الصائم للماء البارد مثلا ، لكنه لم يعزم . بل امتنع عن قربانها خوفا من الله تعالى ، ورعاية لزوجها الذى تركه معها مؤتمنا له ، فلم يكن ليخونه . فقد تبين أن هم يوسف على حقيقته ، وأن جواب لولا محذوف ، تقديره ما ذكرناه . وأن البرهان الذى رآه خشية الله المطلع على سره ونجواه ، وقبح خيانة سيدها الذى أكرم مشواه .

ومن بدع التفاسير : جعل « همّ بها » جواب « لولا » مقدما عليها ، والتقدير : ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها . امتنع همه بها ، لرؤية برهان ربه ، فلم يقع هم أصلا وهو مردود بوجهين .

أحدهما : أن جواب لولا لا يتقدم عليها ، لأنها فى حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام . ولأنها مع ما فى حيزها من الجملتين ، مثل كلمة واحدة ،

ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض ، أما حذف بعضها إذا دل عليه دليل لجائز .

ثانيهما : أنه لو لم يقع منه هم أصلا ، لما كان ممدوحا عند الله تعالى ، ولا كان له ثواب ، لأن استعظام الصبر على الابتلاء ، على حسب عظم الابتلاء ، وكذلك الثواب على قدر المشقة ، ولا مشقة في عدم الهم . ولو كان همه كهمها عن عزيمة ، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين .

وقيل : وهم بها أي هم بضربها ، لولا أن رأى أن ضربها يؤدي إلى اتهامه بأنه أراد بها سوءاً فامتنعت منه . وهذا من بدع التفاسير أيضا ، وهو قول سخيف . وكيف يضربها وهو خادم عندها ؟ غريب في بيتها ؟ بل قوله لها (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) يدل على أنه كان يخاطبها بأسلوب مؤدب مهذب ، وهذا هو اللائق بمقامه ، والمناسب لموقفه منها .

قال الزمخشري : وقد فسر همّ يوسف بأنه حل الهيمان ، وجلس منها مجلس المجامع . وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع ، وهي مستلقية على قفاها . وفسر البرهان بأنه سمع صوتا : إياك وإياها ، فلم يكثرث له ، فسمعه ثانيا ، فلم يعمل به ، فسمع ثالثا : أعرض عنها ، فلم ينجع فيه . حتى مثل له يعقوب عاضا على أناملته ، وقيل : ضرب يده في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله .

وقيل : صيح به : يا يوسف لاتكن كالطائر ، كان له ريش ، فلما زنى قعد لاريش له وقيل : بدت كف فيها بينهما ليس لها عضد ولا معصم ، مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ، فرأى فيها : ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . فلم ينته ، ثم رأى فيها : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فيه . فقال الله لجبريل عليه السلام : أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة . فانحط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء

وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء ؟ ! وقيل : رأى تمثال العزيز .

وقيل : قامت المرأة إلى صنم لها كان هناك ، فسترته . وقالت : استحي منه أن يرانا . فقال يوسف : استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ، ولا أستحي من السميع البصير العليم بذوات الصدور .

قلت : هذه الأقاويل من بدع التفاسير . وقد أحسن ردها الزمخشري حيث قال : ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة ، لنعيت عليه ، وذكر توبته واستغفاره ، كما نعيت على آدم زلته ، وعلى داود ، وعلى نوح . وعلى أيوب . وعلى ذى النون ، وذكر توبتهم واستغفارهم . كيف وقد أثني عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض . وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوة والعزم . ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح ، حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ، ومصدق لها . ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها (١) ، ليجعل له لسان صدق في الآخرين . كما جعله لجدّه إبراهيم عليه السلام ، وليقتدى به الصالحون إلى آخر الدهر ، في العفة وطيب الأزار ، والتثبت في مواقف العثار . قلت : ويعجبني قول الإمام الرازي في هذا المقام : أن يوسف عليه السلام برأه الله تعالى بقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين) وبرأته النسوة (قلن حاش لله ماعلينا عليه من سوء) وبرأته امرأة العزيز ، قالت

(١) ولم يضرب سورة لأيوب عليه السلام مع عظيم ما أصابه من الضر حتى أثني الله عليه بقوله تعالى (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) ويؤخذ من هذا أن الصبر عن المعصية مع قوة الشهوة الداعية إليها أعظم عند الله من الصبر على البلية في جسم أو مال أو ولد . وجاء في حديث ضعيف : أن الصبر على فعل الطاعة بثلاثمائة حسنة ، والصبر على المصيبة بستائة ، والصبر عن المعصية بتسعمائة .

(الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وبرأه الشيطان (قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) فمن يتهمة بعد ذلك ؟ !

قوله تعالى (فلما رأيته أكبره) الآية ، أى فلما رأى يوسف أعظمه وهبن حسنه الرائع . ومن بدع التفاسير : ما حكاه الزمخشري فقال : وقيل : أكبرن بمعنى حضن ، والهاء للسكت يقال : أكبرت المرأة إذا حاضت . وحقيقته : دخلت في الكبر ، لأنها بالحض تخرج من حد الصغر ، إلى حد الكبر . وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدر العواتق قلت : هذا التفسير - وإن لم يتعقبه هو ولا البيضاوى - بعيد من السياق ، بل هو من غريب اللغة الذى يجب اجتنابه في تفسير القرآن الكريم .

قوله تعالى (وقال) يوسف (للذى ظن) أيقن (أنه ناج منهما) وهو الساقى (اذكرنى عند ربك) سيدك فقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما نخرج (فأنساه) أى الساقى (الشيطان ذكر) يوسف عند (ربه فلبث فى السجن بضع سنين) فمعنى الآية : أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك فكث يوسف فى السجن بضع سنين ، ونسب الانساء للشيطان ، لأن ما ترتب عليه من مكث يوسف فى السجن مظلوما يحبه الشيطان .

ومن بدع التفاسير : أن الضمير فى (أنساه) يعود على يوسف . والمعنى أنسى الشيطان يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق ، فعوتب ببقائه فى السجن بضع سنين وهذا باطل . لأن الله تعالى أخبر عن يوسف فى أول السورة بأنه من عباده المخلصين فكيف يخبر عنه هنا بأن الشيطان تمكن منه وأنساه ذكر ربه تعالى ؟ ! هذا تناقض يتنزه عنه القرآن او قوله للساقى : اذكرنى عند الملك ليس استغاثة بمخلوق ، لكنه سعى مشروع ، لبيان حاله عند الملك ، حتى يتخلص من الظلم الواقع عليه . وكيف ينسى

الله أو يستغيث بسواه ، وهو الذى يدعو فى السجن إلى توحيده وعبادته؟! قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) أى ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله . فالمشيئة تعلقت بالدخول مكيفا بالآمن . وهذا نحو قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : ان قول (ان شاء الله) من باب التقديم والتأخير ، وأن موضعها ما بعد قوله (سوف أستغفر لكم ربى) فى كلام يعقوب - أى سوف أستغفر لكم ربى ان شاء الله - ولا أدرى ما أقول فيه وفى نظائره ؟ قلت : ومن بدع التفاسير أيضا استنباط بعض الجملة من الآية ان كل من دخل مصر آمن . وهى لا تدل على ذلك ، لأنها خطاب من يوسف لأهله ، وإنما يستفاد الأمان من قوله تعالى عن البيت الحرام (ومن دخله كان آمنا) فهذه الآية تعم كل داخل للبيت الحرام كما هو ظاهر .

١٢ - ومن سورة الرعد

قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته) تسبيح الرعد إما أن يراد به : تسبيح سامعيه ، فيكون من مجاز الحذف .

أو يراد به : دلالاته على قدرة الله تعالى ، متلبسة بدلالاته على نعمة المطر التى يحمد عليها ، فيكون من قبيل الإستعارة .

أو : أنه يسبح حقيقة ، وإن كنا لا نفقه تسبيحه .

أو : هو اسم ملك موكل بالسحاب كما جاء فى حديث ابن عباس عند احمد والترمذى والنسائى . ولفظه عن ابن عباس ، قال : أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا يا أبا القاسم عن الرعد ؟ قال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب ، معه مجاديف من نار يسوق بها السحاب ، قالوا : فما هذا الصوت ؟ قال : زجره للسحاب ، قالوا : صدقت . وروى

الطبراني في الأوسط من طريق أبي عمران الكوفي عن ابن جريج وعطاء
عن جابر : أن خزيمة بن ثابت - وليس بالأنصاري - سأل النبي صلى الله عليه
وسلم عن الرعد ، فقال : هو ملك يده مخرق إذا رفع برق وإذا زجر رعدت
وإذا ضرب صعقت ، والحديث ضعيف .

قال الزمخشري : ومن بدع المتصوفة ، الرعد صعقات الملائكة ، والبرق
زفرات أفتدتهم ، والمطر بسكاؤهم .

١٣ - ومن سورة ابراهيم

قوله تعالى (ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم
وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) أى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره ،
إقناطاً لهم من التصديق بهم . وهذا التأويل واضح قوياً ، يتفق مع سياق
الآية ونظمها .

وقد أبدى الشريف المرتضى وجوهاً من التأويل ، تعتبر من بدع
التفاسير .

منها : أن المعنى : فردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيظاً وحنقاً
على الأنبياء .

ومنها : فردوا أيديهم في أفواههم ، مشيرين إلى رسلهم بأن يكفوا عن
الكلام ، ويمسكوا عنه . وهذه عادة من يريد أن يسكت غيره ، وسياق الآية
لا يناسب هذين الوجهين ، وإنما يناسب إقناط الرسل من الإيمان كما قدمنا .
ومنها : أن يكون الضمير في (أفواههم) يعود على الرسل . والمعنى أن
الكفار ردوا أيديهم في أفواه الرسل ، مانعين لهم من الكلام ، كما يفعل
المسكت منا صاحبه ، المراد لقوله ، وهذا ينافي سياق الآية كما سبق ،

وينافي نظمها الذي يقتضى عود الضمير في (أيديهم وأفواههم) على الكفار .
ومنها : أن الضميرين يعودان على الرسل ، والمعنى : أن الكفار ردوا
أيدي الرسل في أفواههم ، ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ، وهذا - مع بعده
- ينافي سياق الآية ونظمها .

ومنها : أن الضمير في (أفواههم) يعود على الرسل ، والمعنى : أن
الكفار ردوا أيديهم في أفواه الرسل مكذبين لهم وليست الأيدي على
حقيقتها ، وإنما ذكرت كناية عن التكذيب وعدم الاصغاء إلى قول الرسل ،
وفي هذا الوجه تعسف ومخالفة لنظم الآية .

ومنها : أن المراد بالأيدي النعم ، والضمير المضافة هي إليه يعود على
الرسل . وفي بمعنى الباء ، والضمير في (أفواههم) يعود على الكفار ، والمعنى :
فردوا نعم الرسل بأفواههم ، أي ردوا وعظموا واندأروهم . وفي هذا الوجه
تعسف كبير ، وخروج على نظم الآية .

ومنها : أن تكون الأيدي بمعنى النعم أيضا ، والضمير فيها يعود على
الكفار . والمعنى : فردوا بأفواههم نعمهم التي جاء بها الرسل وأضيفت
النعم إليهم ، لأنها من نعم الله تعالى عليهم ، وهذا الوجه أكثر تعسفا من سابقه
وكيف تضاف النعم إليهم وهم مفلسون منها ؛ بل رافضون لها كل الرفض .

ومنها : وجه نقله عن أبي مسلم الأصفهاني في تفسيره . وهو : عود
الضميرين في (أيديهم وأفواههم) على الرسل . والمراد بالأيدي ما نطق به
الرسل من البينات والحجج التي جاءوا بها قومهم ، لأنها من نعم الله تعالى .
ولما كان ما يعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به ، إنما يخرج من أفواههم ، فردوه
وكذبوه . قيل : أنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، أي أنهم ردوا القول من
حيث جاء ، قال : ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للرسل إليهم ، كما
تأوله بعض المفسرين . وذكر أن معناه : أنهم عضوا عليهم أناملهم غيظا ،

لأن رافع يده إلى فيه ، والعاض عليها ، لا يسمى رادا ليده إلى فيه إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردها . قلت هذا الوجه بعيد متكلف ، وهو يناهى نظم الآية أيضا . وما اعترض به ، أجاب عنه المرتضى بأنه قد يقال: رد يده إلى فيه وإلى وجهه . وعاد فلان يقول كذا ، ورجع يفعل كذا . وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه . ولو لم يسغ هذا القول تحقيقا ، لساغ تجوزا واتساعا . على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا الفعل شيئا بعد شيء ، وتكرر منهم ، فلماذا جاز أن يقول : ردوا أيديهم في أفواههم ، لأنه قد تقدم مثل هذا الفعل ، فلما تكرر ، جازت العبارة عنه بالرد ، قلت: يؤيد جوابه الأول قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وشعيب لم يكن في ملتهم قط .

١٤ - ومن سورة النحل

قوله تعالى (لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) قال الفراء : لا جرم هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محاله ، فجرت على ذلك وكثرت ، حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا . فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم ألا تراهم يقولون لا جرم : لا تينك ! وليس قول من قال : جرمت ، حققت بشيء .

قلت : ومعنى الآية على هذا واضح ، فبعد أن حكى الله تعالى قولهم (أن لهم الحسنى) رد عليهم بصيغة تفيد التأكيد فقال (لا جرم) أي حقا أن لهم النار ، فلانافية للجنس ، وجرم مبنى على الفتح في محل نصب اسمها ، وأن لهم النار في موضع رفع خبرها ، وقيل - في لا جرم - وجهان آخران .

أحدهما : أن : لا ، نفي لكلام الكفار السابق . وجرم فعل ماضى بمعنى حق وثبت وأن لهم النار ، في موضع رفع فاعل ، وتقدم قول الفراء : أن من جعل جرم بمعنى حق ، ليس كلامه بشيء .

والثاني : أن : لا . نفي لكلام الكفار أيضا ، وجرم فعل ماض معناه كسب ، وأن لهم النار ، في موضع نصب مفعول ، والفاعل محذوف يفهم من السياق . والتقدير على الوجهين : لا . رد لكلام الكفار . ثم ابتداء : حق أن لهم النار ، أو : كسب قولهم أن لهم النار . والتقدير فيه تكلف ظاهر ، وهو يقتضى الوقف على : لا . وليس أحد من القراء وقف عليها ، فالوجهان جديران بأن يكونا من بدع التفاسير .

• تنبيه ، في : لا جرم ، لغات : بفتح الجيم والراء وهى المشهورة . وبضم الجيم وسكون الراء . ولا : جر ، بحذف الميم . ولا ذا جرم ، قال الشاعر :

إن كلابا والذى لا ذا جرم

لأهدرن اليوم هدرا فى النعم . هدر المعنى ذى الشقاشق اللهم (١) والتصرف فيها على هذا الوجه يؤيد قول القراء ، ولو كان جرم فعلا ماضيا ، ماتصرفوا فيه بحذف آخره ، وتغير بنيته .

قوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) الآية . النحل معروف ، والشراب الذى يخرج من بطنه معروف أيضا ، وهما المرادان بهذه الآية عند جميع المفسرين .

قال الزمخشري : ومن بدع تأويلات الرافضة أن المراد بالنحل : على : وقومه . وعن بعضهم : أنه قال - عند المهدي الخليفة - إنما النحل بنوهاشم ،

(١) لأهدرن : لأصوتن ، من الهدير ، وهو تردد صوت البعير فى حنجرتة . والمعنى - بصيغة اسم المفعول - الفحل من الإبل يحبس فى الحظيرة إذا هاج حتى لا يضرب فى النوق . والشقاشق جمع شقشقة وهى كالرثة تخرج من فم البعير عند هيجانه ، واللهم يكسر الهاء الذى يلهم أى يبتلع ما يعرض له .

يخرج من بطونهم العلم ، فقال له رجل : جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطونهم . فضحك المهدي ، وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة . قلت : لهم كثير من مثل هذه التأويلات المضحكة .

١٥ - ومن سورة الإسراء

قوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) معنى الآية : أن الناس ينادون يوم القيامة بإمامهم الذي اقتدوا به في الدنيا . فيقال : يأتباع القرآن ، يأتباع إبراهيم ، ومن هنا كان في هذه الآية فضيلة كبيرة لأهل الحديث جعلنا الله منهم ، لأنهم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم تبعية خاصة .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : أن الامام جمع أم ، وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسمائهم . وأن الحكمة في الدعاء بالأسماء دون الآباء ، رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وأن لا يفتضح أولاد الزنا^(١) وليت شعري أيهما أبداع ؟ ! أصح لفظه ؟ أم بهاء

(١) روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس مرفوعاً : أن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده ، في إسناده وضاع . وورد نحوه من حديث عائشة وأنس بأسانيد ضعيفة ، ولذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وهو معارض بحديث أبي الدرداء مرفوعاً : انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم ، رواه أبو داود بإسناد جيد . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر مرفوعاً : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال : هذه غدرة فلان ابن فلان ، فهذان الحديثان الصحيحان يفيدان أن الناس يدعون يوم القيامة بأسماء آبائهم . وهم في ذلك اليوم مشغولون بأنفسهم ، يفر أحدهم من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فكيف يتفرغ للبحث في أن هذا ابن زنا أو ابن حلال ؟ ! وإنما يكون هذا في الدنيا حيث يتفرغ الناس للطعن في الأنساب ، والبحث في العورات . ولهذا جاء في حديث تلقين الميت أن يقال له : يا فلان بن فلانة ، فإن لم يعرف اسمها فليقل يا فلان ابن حواء . والحكمة في هذا ستر الميت من قالة الناس وعيبتهم له .

حكيمته ؟ ! قلت : قد وفاه حقه من التهم الآن جمع الأم أمات وأمات ،
 وولادة عيسى من غير أب ، جعلها الله شرفاً له وآية ، ولم يذكره الله في
 القرآن إلا منسوباً لأمه ، تنبيها لعباده على أنه مخلوق . وشرف الحسن
 والحسين ، لا يحتاج إلى هذه الحكمة المخترعة . وأولاد الزنا إن كانوا صالحين
 لا يضيرهم أن يدعووا بأمهاتهم . بل بركة صلاحهم تنفعهم في ذلك الموقف ،
 فلا يفضحهم الله تعالى . والعجيب أن البيضاوى - وهو ملخص للكشاف -
 اعتمد هذا التفسير !! ووجهه بأن الأم تجمع على امام ، كخف وخفاف .
 وإن صح له هذا فكيف يفعل بقراءة الحسن (بكتابهم) ؟ وهى وإن كانت
 شاذة ، تجري مجرى الأحاد ، فى تعيين المعنى المراد . حسبما تقرر فى علم
 الأصول . وأيضا فإن الآية تفيد دعاء (كل أناس) باعتبارهم جماعة يتبعون
 داعيا من الدعاة ، أو كتابا من الكتب . وحكمة الدعاء على هذا الوجه :
 إظهار فضل أهل الحق وفوزهم ، وهم أتباع القرآن ودين الإسلام . وإظهار
 خسران غيرهم ، وهم أتباع أى دين غير دين الإسلام ، والحديث الصحيح
 يؤيد هذا أيضا .

قوله تعالى (ومن كان فى هذه) الدنيا (أعمى) عن الحق لا يبصر رشده
 (فهو فى الآخرة أعمى) عن طريق النجاة (وأضل سبيلا) أبعد طريقا
 عنه . والعنى كناية عن عمى قلوب الكفار ، وعدم اهتدائهم لطريق الحق
 وهذه الآية فى معنى : ومن أوتى كتابه بشماله فهو لا يهتدى لقراءة كتابه
 قراءة تسره وتنجيهِ . لأنها ذكرت فى مقابلة قوله تعالى (فأما من أوتى كتابه
 يمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتىلا) .

ومن بدع التفاسير : جعل الآية مرتبطة بقوله تعالى (ربكم الذى
 يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) إلى قوله (ولقد كرّمنا بنى
 آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن
 خلقنا تفضيلا) ثم قال (ومن كان فى هذه) يعنى عن هذه النعم وعن هذه

العبر (أعمى فهو فى الآخرة) يعنى فهو عما غيب عنه من أمر الآخرة
(أعمى وأضل سبيلا) ونسب هذا التفسير إلى ابن عباس ، ولا يصح عنه ،
وهو تأويل ركيك .

قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم
من العلم إلا قليلا) ذكر المرتضى فى هذه الآية وجهين ، ثم قال :

وثالثها : أنهم سألوا عن الروح الذى هو القرآن . وقد سمي الله القرآن
روحا فى مواضع من الكتاب ، وإذا كان السؤال عن القرآن ، فقد وقع
الجواب موقعه لأنه قال لهم : الروح الذى هو القرآن من أمر ربي ، وما أنزله
على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ليجعله دلالة وعلميا على صدقه . وليس من فعل
المخلوقين ، ولا مما يدخل فى امكانهم . وهذا جواب الحسن البصرى ويقويه
قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لاتجد لك به علينا
وكيلا) فكأنه تعالى قال : ان القرآن من أمرى وفعلى ، وما أنزلته علما على
نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل
فما يفعله . قلت : ليس فى الآية دلالة بالمطابقة ولا بالتضمن ولا بالإشارة
على أن القرآن من فعل الله ، وأنه يتصرف فيه تصرف الفاعل فيما يفعله . وتسميته فى
غير هذه الآية روحا مجاز ، لأن الناس يحيون به فى دينهم ، كما يحيا الجسد
بالروح . فما ذكره فى هذا الوجه ، من بدع التفاسير . لأنه حمل الآية مالا
تحتمله ، واستخرج منها - بطريق التعمد الخاطىء - الإفادة بخلق القرآن .
وهو القول الذى خالف به المعتزلة ومن وافقهم من الامامية اجماع علماء
المسلمين ، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . والروح الذى سألت عنه
قريش - بإشارة اليهود كما فى سيرة ابن هشام - هو الروح الذى به قوام الجسم
وحياته ، كما تقدم للمرتضى فى الوجهين السابقين . أما القرآن فلا معنى لسؤالهم
عنه ، لأنهم إما أن يؤمنوا به ، فيعلموا أنه وحى من الله تعالى . وإما أن
لا يؤمنوا به ، فيقولوا : سحر ، أو شعر ، أو كهانة ، كما حكى الله قولهم فى
غير آية ورد عليهم .

١٦ - ومن سورة الكهف (١)

قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله)
نزلت الآية تأديبا من الله لنبيه، حين قالت له قريش - بإشارة اليهود - : أخبرنا
عن الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف ، فقال : اتتوني غدا أخبركم ، ولم
يستثن ، فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما حتى شق عليه ، وكذبت قريش .
والاستثناء من النهي ، أي ولا تقولن . لأجل شيء تعزم عليه : إني فاعله فيما
يستقبل إلا أن يشاء الله ، أي إلا متلبسا بمشيئته قائلا : إن شاء الله ، أو :
ولا تقولن ذلك إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه . وفيه لفظ
وقت محذوف للعلم به ، تقديره : إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله .

حكى الزمخشري هذين الوجهين ، وقال :

وفيه وجه ثالث . وهو أن يكون إن شاء الله . في معنى كلمة تأييد كأنه
قيل : ولا تقوله أبداً . ونحوه قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن
يشاء الله ربنا) .

قلت : هذا من بدع التفاسير ، لأنه صرف للآية عن ظاهرها
إذ معناها الظاهر والمناسب لسبب نزولها ، هو ما تقدم . ولأن جعل المشيئة
لتأييد النهي ، مبنى على مذهبه الاعتزالي في أن مشيئة الله لا تتعلق بجميع
أفعال المكلفين ، كما سبق في خطبة الكتاب ، بل ببعضها .

(١) من بدع التفاسير في كلب أهل الكهف : أنه كان أسدا ، وقيل : كان
رجلا ، سمي بالكلب لملازمته للحراسة . حكاهما الحلبي في سيرته : والصواب
أنه كان كلبا حقيقة .

وحكى المرتضى وجها آخر عن الغراء ، وهو جعل الاستثناء متصلا
بفاعل والتقدير : ولا تقولن إنك فاعل إلا ما يشاء الله . قال : وما رأيت -
أى هذا التأويل - إلا له ، ومن العجب تغلظه إلى مثل هذا !! مع أنه لم
يكن متظاهرا بالقول بالعدل . قلت : هذا التأويل اعتزالي محض إذ معناه
أن الله تعالى ينهى أن يقول أحد : إني أفعل ذلك إلا أن يشاء الله . معلقا
فعله على مشيئة الله ، لأنه تعالى لا يشاء جميع ما يفعله الناس . وهذا من بدع
التفاسير ، لأنه ينافى مدلول الآية ، ولا يتفق مع سبب نزولها ، ويظهر أن
الغراء كان معتزليا يخفى مذهبه ، كما كان أبو عبيدة خارجيا يخفى مذهبه إلا عن
أصدقائه الخاصين به ، وكان يغضب من أحدهم إذا لم يقل عن قطرى بن
الفجاءة : أمير المؤمنين .

وقال أبو علي الجبائي في تفسيره : إنما عني بذلك أن من كان لا يعلم أنه
يبقى إلى غد حيا ، فلا يجوز أن يقول : إني سأفعل غدا كذا وكذا ، فيطلق
الخبر بذلك وهو لا يدري ، لعله سيموت ولا يفعل ما أخبر به ، لأن هذا
الخبر إذا لم يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب ، وإذا كان المخبر لا يأمن
أن لا يوجد مخبره ، لحدوث أمر من فعل الله نحو الموت أو العجز أو بعض
الأمراض . أو لا يحدث ذلك ، بأن يبدر له هو في ذلك ، فلا يأمن أن
يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل . وإذا لم يأمن ذلك ، لم يجوز أن
يخبر به . ولا يعد خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء الذى ذكره الله
تعالى ، فاذا قال : إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله ، فاستثنى في مصيره
مشيئة الله أمن أن يكون خبره في هذا كذبا ، لأن الله إن شاء أن يلجئه إلى
المصير إلى المسجد غدا ، ألجأه إلى ذلك ، وكان المصير منه لا محالة . فاذا كان ذلك
على ما وصفنا ، لم يكن خبره هذا كذبا ، وإن لم يوجد منه المصير إلى
المسجد ، لأن لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى - يعنى مشيئة
الالغاء - قال : وينبغي ألا يستثنى مشيئة دون مشيئة لأنه إن استثنى في

ذلك مشيئة الله لمصيره الى المسجد على وجه التعبد ، فهو لا يأمن أن يكون خبره كذبا لأن الانسان قد يترك كثيرا بما يشاؤه الله تعالى منه ، ويتعبد به . ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع ما كان أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا . لأنه قد يجوز ألا يصير الى المسجد مع بقية الله تعالى له قادرا مختارا ، فلا يأمن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة التي ذكرناها . فاذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء ، فقد أُنْ أُنْ يكون خبره كذبا ، إذ كانت هذه المشيئة متى وجدت ، وجب أن يدخل المسجد لا محالة . قلت : هذا التأويل . رغم ما أطال صاحبه في تقديره - باطل لأربعة أمور :

أحدها : تخصيص لفظ شيء ، وهو أعم ألفاظ العموم بعمل الطاعة .
ثانيها : جعل مذهبه الاعتزالي - وهو أن مشيئة الله لا تتعلق بأفعال المكلف المحرمة والمكروهة والمباحة - دليلا على التخصيص المذكور .

ثالثها : تقييد المشيئة بمشيئة الاجاء .

رابعها : اتخاذ مذهبه في أن العبد يفعل باختياره ما لا يشاؤه الله منه ، دليلا على التقييد المذكور ، ومن بدع التفاسير أن يجعل المفسر مذهبه دليلا على تخصيص لفظ في الآية ، أو تقييده . مضافا إلى غفلته عما يفيد سياق الآية ، وسبب نزولها .

قوله تعالى (حتى أبلغ مجمع البحرين) هو المكان الذي وعد موسى لقاء الخضر عنده ، وهو ملقى بحر فارس والروم بمائلي المشرق وقيل : طنجة ، وقيل : إفريقيا .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم ، قلت : حكاه البيضاوي مصرحا بأن موسى بحر في علم

(الظاهر) والخضر بحر في علم (الباطن) وقد قدمنا أن ما يحكيه القرآن عن السابقين من الأنبياء وغيرهم يجب حمله على الحقيقة كما هنا . فأننا لا ندرى هل كان في لغة موسى التي خاطب بها فتاه ، إطلاق البحر على العالم مجازا أو كناية كما في لغة العرب ؟ وعلى هذا فالمتيقن في مجمع البحرين ، هو المعنى الحقيقي الذي ذكره المفسرون جميعهم ، وما عداه من بدع التفسير حتما ، (١) .

١٧ - ومن سورة مريم

قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) معنى الآية : أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى مريم ، فظهر لها في صورة بشر ، إلى آخر القصة .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي بن كعب - في قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية وذكر حديثا طويلا في استنطاق الأرواح ، وهي في عالم الذر - وفيه : وكان روح عيسى عليه السلام من تلك الأرواح التي أخذ عليها العهد والميثاق في زمن آدم . فأرسل ذلك الروح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فأرسله الله في صورة بشر ، فتمثل لها بشرا سويا ، فحملت الذي يخاطبها . فدخل من فيها ! قال ابن تيمية : هذا غلط ، فإن الذي أرسل إليها : الملك الذي قال لها (إنما أنا رسول ربك لا هب لك غلاما زكيا) ولم يكن الذي خاطبها بهذا عيسى بن مريم ، هذا محال . قلت : أبو جعفر الرازي ضعيف ، ضعفه أحمد وغيره . وقال ابن حبان : كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير . وهذا من مناكيره الواصلة إلى حد

(١) نعم يصح أن يكون تفسيرا إشاريا ، وهو نوع من التفسير بينته في الخاتمة .

الاستحالة وعدم الامكان ، فهو من بدع التفاسير . (١) .

قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) يعنى يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم) يعنى فى حياتهم الدنيا (فى ضلال مبين) فى ذهاب عن العلم بالله ودينه . وصيغة « أسمع وأبصر » تفيد التعجب ، والمراد أن أسمع الكفار وأبصارهم جدير بأن يتعجب منها يوم القيامة ، لعلمها بما كانت عنه صما وعميا فى الدنيا - قال المرتضى : أما قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) فهو على مذهب العرب فى التعجب ، ويمجرى مجرى قولهم : ما أسمع ! وما أبصر ! والمراد بذلك : الاخبار عن قوة علومهم بالله فى تلك الحال ، وأنهم عارفون به على وجه لا اعتراض للشبهة عليه . وهذا يدل على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة . ولا تنافى بين هذه الآية ، وبين الآيات

(١) من بدع التفاسير فى مسألة مريم : رأى أبداه لى طيب فى كلية الطب وكان يعنى بالمسائل الدينية ، وحاصل ذلك الرأى : أن مريم كانت ختى ، عندها عضو الذكر وعضو الأنثى ، والدليل على هذا : أن أم مريم لما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى ، فرد الله كلامها بقوله (والله أعلم بما وضعت) أى ليست أنثى كما فهمت ، بل ختى فلما بعث الله لها جبريل فى صورة بشر ، علمها الاستمناء فخرج المني من عضو الذكر ودخل فى عضو الأنثى فحملت . وهذا معنى قوله : لأهب لك غلاما زكيا . بتعليمك طريق التناسل بين العضوين ، وبسببه جاء الغلام ، وهو أيضا معنى النفخ فى فرجها على سبيل الكناية فأوردت عليه قراءة حمزة (والله أعلم بما وضعت) بضم التاء من وضعت ، والقراءات يفسر بعضها ، بعضها فالجمل على القراءتين المتواترتين تفيد توجع أم مريم وتأسفها على فوات مطلوبها حيث نذرت لخدمة بيت المقدس ذكرا فجاء المولود أنثى . ولهذا حصل التعقيب بجملة (وليس الذكر كالأنثى) أى ليس الذكر المطلوب كالأنثى المعطاة . فلم يجد مخلصا من هذا الإيراد . والحقيقة أنه رأى باطل جدا . ويكفى فى بطلانه قول الملائكة لمريم (يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) .

التي أخبر عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ، وبأن على أبصارهم غشاوة . لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف . وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضلالا عن الدين ، جاهلين بالله وصفاته .

وهذه الآية تناولت يوم القيامة وهو المعنى بقوله (يوم يأتوننا) وأحوال يوم القيامة لا بد فيها من المعرفة الضرورية . وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فأما قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) فيحتمل أن يريد تعالى بقوله (اليوم) الدنيا وأحوال التكليف ، ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق . فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون ، وفي الآخرة عارفون ، بحيث لا تنفعهم المعرفة .

ويحتمل أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ، ويعنى تعالى بالضلال العدول عن طريق الجنة ودار الثواب ، إلى دار العقاب . فكأنه تعالى قال : أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ، غير أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم ، يصيرون في هذا اليوم إلى العقاب ، ويعدل بهم عن طريق الثواب ، قلت : في هذا الوجه بعد لا يخفى .

وقال الزمخشري : معناه - أى أسمع بهم وأبصر - : التهديد بما سيسمعون ويبصرون ، مما يسوءهم ويصدع قلوبهم .

ومن بدع التفاسير : ما ذكره أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في تفسيره ، فقال : (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أى أسمعهم وبصرهم وبين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء ، سيكونون في ضلال عن الجنة ، وعن الثواب الذي يناله المؤمنون . والظالمون الذين ذكرهم الله ، هم هؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم .

ويموز أيضا أن يكون عنى بقوله (أسمع بهم وأبصر) أى أسمع الناس هؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ؛ ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم ، فيؤمنوا بهم ،

ويقتدوا بأعمالهم وأراد بقوله تعالى (لكن الظالمون) لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم ، وهو يعنى يوم القيامة ، فى ضلال عن الجنة وعن نيل الثواب المبين . قلت : هذان الوجهان باطلان ، تولى ردهما الشريف المرتضى فقال فى الوجه الأول : أن الكلام - وإن كان محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من بعد - فإن الأولى والأظهر ما تقدم ذكره من المبالغة فى وصفهم - يعنى بإفادة التعجب - وقوله (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) بعد ما تقدم ، لا يليق إلا بالمعنى المذكور ، لاسيما إذا حمل اليوم على أن المراد به يوم القيامة . على أن أبا على جعل قوله تعالى (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) صلة ومتعلقا بقوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) والمعنى : أعلمهم وبصرهم بأنهم يوم القيامة فى ضلال عن الجنة . والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة الأول ، وأن قوله تعالى (لكن) استئناف لكلام ثان . قال :

فأما الوجه الثانى الذى ذكره فباطل ، لأن قوله تعالى (أسمع بهم وأبصر) إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى ، بقى قوله (يوم يأتوننا) بلا عامل ، ومحال أن يكون ظرف لا عامل له : فالأقرب والأولى أن يكون على الوجه الأول مفعولا .

١٨ - ومن سورة طه

قوله تعالى (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أريد أخفيها : فأكاد بمعنى أريد . كما جاء يريد بمعنى يكاد فى قوله تعالى (جدارا يريد أن ينقض) وهذا من لطائف اللغة العربية : أن تستعمل كلمة مكان أخرى ، لتناسب بينهما فإن كاد تدل على قرب وقوع الفعل ، وكذلك من أراد شيئا فقد قرب فعله له . وروى عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقرأ (أكاد أخفيها) بفتح الهمزة ، أى أظهرها يقال : خفى الشيء يخفيه إذا أظهره . وهذه قراءة شاذة ، تردها القراءة المتواترة .

وقيل (أكاد) زائدة ، والمعنى : أن الساعة آتية أخفيها .

قال المرتضى في الأمالى : وقد قيل فيه وجه آخر ، وهو : أن يتم الكلام عند قوله تعالى (آتية أكاد) ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله (أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) وبما يشهد لهذا الوجه ، قول ضابط البرجن :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكى حلاله

أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه . قلت : هذا الوجه بعيد ، ولو كان صحيحا لكان نظم الآية : أكاد ، وأخفيها ، كما جاء في البيت : كدت ، وليتني . لأن وجود الواو يبين أن الخبر محذوف ، ودعوى زيادة (أكاد) ضعيفة وإن ارتضاها المرتضى ، فالوجهان من بدع التفاسير . وأرى أن ادعاء زيادة حرف أو كلمة في آية من القرآن ، كادعاء زيادة الكاف في قوله تعالى (ليس كمثل شيء) وأكاد هنا . يدل على ضعف صاحب الادعاء ، وعدم ادراكه لما في تلك الحروف والكلمات المدعى زيادتها ، من نكات لطيفة ، يدركها من تعمق في فهم أسرار القرآن الكريم .

وقال الزمخشري : أكاد أخفيها فلا أقول : هي آتية ، لفرط إرادتي إخفاءها . ولولا ما في الأخبار بإتيانها ، مع تعمية وقتها من اللطف ، لما أخبرت به .

ومن بدع التفاسير : ما حكاه الزمخشري فقال : وقيل : معناه : أكاد أخفيها من نفسي . ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه : أن في مصحف أبي : أكاد أخفيها من نفسي . وفي بعض المصاحف : أكاد أخفيها من نفسي ، فكيف أظهركم عليها !! قلت : قد اعتمد هذا التفسير في سورة الأعراف ، حيث قال ثمة : (إنما عليها) أي علم وقت إرسالها عنده ، قد استأثر به لم يخبر به أحد من

ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ، يكاد يخفيها من نفسه . وهذا غلط قبيح ، وكيف خفي عليه - مع فطنته وذكائه - أن خفاء علم الساعة عن الله تعالى محال ؟ ! وأنه لا يجوز أن يقال : يكاد يخفيها عن نفسه . ثم من أكبر عيوب الزمخشري حشد شواذ القراءات ، والنقل عن شواذ المصاحف . وتكلف توجيه تلك الشواذ ، بغرائب الأعراب ، ونوادير اللغة بل لا يعيب كثيرا من التفاسير غير هذا ، وغير الاعتماد على الاسرائيليات .

قوله تعالى (فغشيهم من اليم) أى البحر (ماغشيهم) أى البعض الذى غشيهم ، والمعنى أن الذى أغرق فرعون وقومه بعض ماء البحر لاجمعيه . وهذا تأويل الفراء . واعتمده أبو بكر ابن الأنبارى .

وقيل : معنى : (ماغشيهم) تعظيم الأمر وتفخيمه ، والمعنى : فغشيهم من اليم ما لا يدرك لعظمه . ومثله قوله تعالى (وفعلت فعلتك التى فعلت) ومنه قول أبى النجم :

لله درى مايجن صدرى أنا أبو النجم وشعرى شعرى

قال الزمخشري : (ماغشيهم) من باب الاختصار ، ومن جوامع الكلم التى تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة ، أى غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله .

وقيل : (فغشيهم من) جهة (اليم ماغشيهم) من العطب والهلاك .

ومن بدع التفاسير (فغشيهم) أى فرعون وقومه (من اليم ماغشيهم) أى موسى وقومه . وهو مردود بوجهين :

الأول : تشتيت الضمائر ، حيث إن الضمير فى (غشيهم) الأولى يعود على فرعون وقومه وفى (غشيهم) الثانية يعود على موسى وقومه ، وتشتيت الضمائر ، يورث فى الكلام ضعفا وركاكة .

الثانى : أن البحر لم يغش موسى وقومه ، بل انفرق لهم فسلكوا فيه طريقا يبسا . قال تعالى - فى الآية قبل هذه - (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى) .

قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن ، وسمعه من جبريل عليه السلام ، قرأ معه ما يوحى به إليه أولا فأولا ، قبل انتهاء الوحي ، حرصا على ضبطه وحفظه ، وخوفا من نسيان بعضه . فأمره الله تعالى في هذه الآية بانتظار ما يوحى إليه ، حتى ينتهي إلى غايته .

وقال له في آية أخرى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه) فضمن تعالى تحفيظ القرآن له ، وتثبيتته في صدره ، وهذا خرج مخرج الاشفاق عليه ، والترفيه عنه ، كما أشرت إليه في كتاب (دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين) . ومن بدع التفاسير : أن المراد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تلاوة القرآن على أمته . وإبلاغ ما يسمعه منه إليهم . قبل أن يوحى إليه ببيانه ، والإفصاح عن معناه وتأويله ، لأن تلاوته على من لا يفهم معناه ، لا تحسن ومعنى (من قبل أن يلقى إليك وحيه) من قبل أن يلقى إليك وحي بيانه . وهذا تفسير اعتزالي يخالف سبب النزول ، ولا يتلاقى مع سياق الآية ولفظها . وهو - مع هذا - مردود بقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

ومن البدع أيضا : قول المرتضى : غير ممتنع أن يريد : لا تعجل بأن تستدعي من القرآن ما لم يوح إليك به ، فإن الله تعالى إذا علم مصلحة في إنزال القرآن عليك أمر بإنزاله ، ولم يدخره عنك . لأنه لا يدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم . قلت : هذا تفسير اعتزالي كسابقه . يخالف نظم الآية وسبب نزولها .

قوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) من الغى ضد الرشد . وكان أكله من الشجرة نسيانا ، بدليل الآية السابقة (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما) ومن بدع التفاسير : قول بعضهم : فغوى فبشتم من كثرة الأكل .

قال الزمخشري : وهذا - وإن صح على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا . فيقول في قتي وبقى : فناوبقا ، وهم بنوطى - تفسير خبيث ، قلت لنسبة آدم عليه السلام إلى الشره ، وهو دال على الدناءة ، والأنبياء معصومون من الدناءة ومن كل خلق ردى . كعصمتهم من المعاصي .

١٩ - ومن سورة الأنبياء

قوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) كأنه خلق منه ، لفرط استعجاله ، وقلة تأنيه . كقولك : خلق حاتم من الكرم ، جعل ما طبع عليه ، كالمطبوع هو منه ، ففي الآية استعارة بالكناية . ويشهد لهذا لتأويل قوله تعالى (وكان الإنسان عجولا) وقال أبو عبيدة وقطرب بن المستنير : إن في الكلام قلبا ، والمعنى : خلق العجل من الإنسان . وهو مثل قوله تعالى (وقد بلغني الكبر) أى قد بلغت الكبر . وقوله تعالى (ما إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة) أى أن العصبة تنوء بها .

وتقول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، والأصل : عرضت الحوض على الناقة ، وهو كثير في كلامهم ، واختار أبو القاسم البلخي المعتزلى هذا التأويل في تفسيره ، وأيده بما ذكر له من الشواهد . ثم أورد على نفسه سؤالا ، حاصله : كيف جاز أن يقول : (فلا تستعجلون) وهو خلق العجلة فيهم !! وأجاب بأنه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها ، وقد يكون الإنسان مطبوعا عليها ، وهو مع ذلك مأمور بالتثبت ، قادر على أن يجانب العجلة . وذلك كخلقه في البشر شهوة النكاح ، وأمره في كثير من الأوقات بالامتناع منه .

قلت : السؤال والجواب مبنيان على قاعدة المذهب الاعتزالي : أن التكليف لا يتعلق إلا بفعل المكلف المخلوق بقدرته التي خلقها الله فيه ولكن التأويل الذي اختاره ، يضعف من جهة أن القلب خلاف الأصل . وإذا كان القصد منه إفادة كثرة وقوع العجل من الإنسان ، فالتأويل الأول أفاد هذا

المعنى بطريق الاستعارة التي هي أولى من القلب لأنها مجاز قريب ، وهو مجاز بعيد .. ومن التفاسير : قول بعضهم العجل الطين بلغة حمير ، والمعنى : خلق الإنسان من طين . وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قول الشاعر :

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية

والنخل ينبت بين الماء والعجل

قال الشريف المرتضى : وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحماة ، ولم يستشهد عليه ، لكن البيت الذي رواه ثعلب عن ابن الأعرابي يمكن أن يكون شاهدا له ، وذكر البيت السابق . قال : وإذا صح هذا فوجه المطابقة بينه وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) أن من خاق الإنسان - مع الحكم الظاهرة فيه - من الطين ، لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ، أو يكون المعنى : أنه لا يجب لمن خلق من الطين المهيئ أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه ، لأنه قال تعالى (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً) قلت : فيما أبداه من وجهي المطابقة تكلف . والذي يفيد السياق ، ويقتضيه نظم الكلام أن الله وصف الإنسان بكثرة العجلة ، تويخا للمشركين وتقريعا لهم ، وهددهم بأنه سيرهم آياته ، ونهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات إبقاء عليهم ، وإفساحا لهم في الأمر ليرجعوا حتى إذا جاءت الآيات التي استعجلوها ، هلكوا ولم يبق لهم عذر .

وقيل : المراد بالإنسان . آدم عليه السلام ، ومعنى (من عجل) أى فى سرعة من خلقه . لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة كما خلق غيره . وإنما ابتداء الله ابتداء ، وأنشأ إنشاء .

وقال مجاهد : المراد آدم عليه السلام ، وأن الله خلقه بعد خلق كل شيء ، آخر نهار الجمعة ، على سرعة ، معاجلا به غروب الشمس .

وهذان التفسيران من بدع التفاسير أيضا ، لأنهما لا يناسبان سياق الآية ، ولأنه لا يجوز أن يقال : خلق الله آدم على سرعة معاجلا به غروب الشمس .

لأن معالجة الشيء مخافة قوته ، من صفات المخلوقات ، والله تعالى لا يفوته شيء وهو خالق الزمان والمكان .

قوله تعالى (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) هو الجلد الذى يضم الكتاب . والآية تبين عظم قدرة الله تعالى ، وأن السماء مع كبرها وسعتها يطويها يوم القيامة ويضمها ، كما يضم السجل أوراق الكتاب .

ومن بدع التفاسير : ما حكاه الزمخشري وتبعه مختصر وكلامه كالبيضاوى والنسفى : أن السجل اسم ملك يكتب صحائف بنى آدم . وقيل : اسم صحابي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم . وليس فى الملائكة ولا فى الصحابة من اسمه السجل .

قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) معنى الآية : أن الله تعالى كتب فى الكتب المنزلة بعد الكتابة فى اللوح المحفوظ : أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون المتقون ، وحكى عنهم قولهم حين دخولها (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض فتبوا من الجنة حيث نشاء) .

ومن بدع التفاسير : قول بعض المعاصرين : أن الأرض يعنى أرض الدنيا يرثها عبادى الصالحون لعبارتها والغرض بهذا التأويل تأييد الاستعمار الأوروبى ، والحض على عدم مقاومته ، حيث إن القرآن أخبر بأن لهم وراثه أرض الدنيا . وهذا إلهاد فى القرآن ، وكذب على الله ، وخروج على دينه ، وحض على ترك فريضة الجهاد وإنى أبرأ إلى الله من هذا التأويل ومن صاحبه .

قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) إيمان الناس لينجوا من العذاب ، ويعظم له عند الله الثواب . بدليل قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك) قاتلها غما من أجل (ألا يكونوا مؤمنين) فتعنى على حقيقته كما تبين (ألقى الشيطان فى) طريق (أمنيته) الشبه والشكوك فى عقول الناس حتى لا يؤمنوا (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يبطله بما يبدىه الرسول من المعجزات والدلائل (ثم يحكم الله آياته) يشبها فى قلوب الناس وعقولهم (والله عليم) بما يلقى الشيطان (حكيم) فى تمكينه من ذلك ، ليختبر عباده . وتفسير الآية بهذا المعنى واضح معقول ، يتمشى مع نظم القرآن ، ويوافق حال الرسل فى حرصهم على إيمان الناس . وقد ذكره العارف الكبير السيد عبد العزيز الدباغ فى كتاب الإبريز .

ومن بدع التفاسير : ما ذكره كثير من المفسرين ، فقالوا : معنى تمنى : قرأ . واستدلوا بقول الشاعر :

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل

قالوا : والمعنى : إلا إذا قرأ ، ألقى الشيطان فى قراءته ما ليس من الوحي بما يرضاه المرسل إليهم . قالوا : وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم ، بمجلس من قريش ، فلما بلغ (أفرايم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه صلى الله عليه وسلم ، بغير علمه به : تلك الغرائيق العلاء ، وأن شفاعتهم لترتجى . ففرح المشركون . ولما قرأها على جبريل عليه السلام ، قال له : ما أتيتك بهذا ، فحزن صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله هذه الآيات من سورة الحج ، يسليه بهن .

فهذه القصة وتسمى قصة الغرائيق - باطلة ، وإن قال الحافظ ابن حجر

رحمه الله تعالى: لها طريقان صحيحان مرسلان . لأن ما عصى العصمة ، ويتصل بصميم العقيدة ، لا تقبل فيه المسندات الصحيحة ، فضلا عن المراسيل .

وأول نكارة في تلك القصة : تسلط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم بإلقاء شيء على لسانه وهو لا يعلم . مع أن من البدهيات العقلية عصمة النبي من الشيطان . فكيف تمكن منه في هذه الحادثة ؟ هل كان نائما ؟ لنفرض ذلك فهو معصوم في نومه . ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا يعمل بها في التشريع ، كما في قصة الذبيح اسماعيل عليه السلام .

ثم كيف خفي عليه الفرق بين القاء الملك والقاء الشيطان ؟ وإثنان جاز الاشتباه عليه في هذه الحادثة ، جاز الاشتباه في غيرها ، فترتفع الثقة بالوحي .

ثم كيف خفي عليه تناقض الكلامين ؟ إذ (الأخرى) صفة ذم ، وكلام الشيطان المقصم ، مدح ، وهل يجوز في عقل أن يمزج كلامان متناقضان ، على لسان أفصح العرب وأعلمهم بكلام الله تعالى ، ثم لا يشعر بتناقضهما ؟ ثم بعد هذا كله كيف يسلي الله نبيه بأن جميع الرسل تمكن الشيطان أن يلقي على لسانهم ما لم يوح إليهم وما معنى العصمة الواجبة في حقهم عقلا ؟

وبعضهم كالحافظ ابن حجر ، أراد تقليل نكارات القصة فقال : لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام ، ولا ألقى على لسانه . وإنما كان من عادته أن يسكت عند مقطع كل آية حين يقرأ القرآن . فتعين الشيطان سكوته عند (الثالثة الأخرى) فتكلم بتلك الجملة ، بقراءة تشبه قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، وألقاها في أسماع المشركين ، فظنوها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، ففرحوا . وهذا وجه قريب ، لكن يبطله أمور :

أحدها : أن الشيطان لا يتمثل بالنبي صلى الله عليه وسلم في شيء من أموره ، بمعنى أنه لا يقدر على ذلك ، ولا يتمكن منه ، حفظا لمقام النبوة

من الخلط والاشتباه . ولذا صح في الحديث « من رأى في المنام فقد رأى حقائق الشيطان لا يمثل بي ، وفي رواية « فإن الشيطان لا يتكوتني ، وهو حديث مخرج في الصحيحين وغيرهما . مع أن الشيطان قد يظهر لبعض الناس في اليقظة أو المنام ، فيدعي أنه الله . ولا ضرر في ذلك إذ العقل يقضي بتنزه الله عن سمات المحدثات . فكذب الشيطان في دعواه هذه لا يحتاج إلى بيان .

ثانيها : تناقض كلام الله وكلام الشيطان ، والمشركون عرب فصحاء ، لا يخفى عليهم ذلك

ثالثها : أن الشيطان لا يفعل ما يؤدي إلى التقارب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ، بل هو يعمل على ضد ذلك . وبالجملة فالقصة منكورة باطلة ، كما قال ابن العربي وعياض وغيرهما .

٢١ - ومن سورة النور

قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قال أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في تفسيره : معنى من الأولى : ابتداء الغاية ، لأن السماء ابتداء الانزال . والثانية للتبعيض ، لأن البرد بعض الجبال التي في السماء ، والثالثة لتعيين الجنس ، لأن جنس الجبال جنس البرد . قلت : ومفعول ينزل ، قوله (من جبال) والتقدير : وينزل من السماء بعض جبال فيها من برد . فلفظ من اسم بمعنى بعض ، مبنى على السكون في محل نصب مفعول ، وهو مضاف ، وجبال مضاف إليه . وعلى هذا مشى الزمخشري . وهو أوجه وقيل : من الأولى والثانية الابتداء ، والآخرة للتبعيض . والمعنى : وينزل من السماء من جبال فيها بعض برد . حكاه الزمخشري . ومفعول ينزل ، قوله (من برد) ويقال في إعرابه : مامر .

واختار الشريف المرتضى : أن من الأولى والثانية للابتداء ، والآخرة

زائدة . والمعنى : وينزل من السماء من جبال فيها بردا . فبرد مفعول ينزل ،
ونصبه مقدر في آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف
الجر الزائد .

ويضعف هذا الوجه أن « من » تزداد في النفي ، لإفادة العموم ، نحو
(وما كان معه من إله) وزيادتها في الإثبات - إن صححت - خالية عن الفائدة
ولا يصح تخريج القرآن على وجه لفائدة فيه .

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم النحوى فى كتاب « الأنوار » ،
أما من الأولى والثانية ، فبمعنى حد التنزيل ، ونسبته إلى الموضع الذى
نزل منه . كما يقال : جئت بكذا ، ومن بلد كذا . وأما الثالثة فبمعنى
التفسير والتمييز ، لأن الجبال تكون أنواعا فى ملك الله تعالى ، فجاءت من
تمييز البرد من غيره ، وتفسير معنى الجبال التى أنزل منها وقد يصلح فى مثل
هذا الموضع من الكلام أن يقال : من جبال فيها برد بغير من . يترجم برد
عن جبال ، لأنها مخلوقة من برد . كما يقال : الحيوان من لحم ودم . والحيوان
لحم ودم ، بمن ، وبغير من . قلت : حاصل ما ذكره أن من الأولى والثانية
للابتداء ، والثالثة للتمييز ، لكن يضعفه أن الكلام على هذا التقدير ، يكون
خاليا من مفعول ينزل .

وقوله تعالى (من جبال فيها من برد) يحتمل وجهين ، ذكرهما الزمخشري .
أحدهما : أن يخلق الله فى السماء جبال برد ، كما خلق فى الأرض جبال حجر .
ثانيهما : أن يريد الكثرة بذكر الجبال ، كما يقال : فلان يملك جبالا
من ذهب .. ومن بدع التفاسير : قول أبى مسلم الأصفهاني فى تفسيره : الجبال
ما جبل الله من برد ، وكل جسم شديد مستحجر ، فهو من الجبال . ألم ترى
قوله تعالى فى خلق الأمم (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين) والناس

يقولون : فلان مجبول على كذا ، قلت : هذا التأويل مردود بوجهين ، ذكرهما الشريف المرتضى :

أحدهما : خلو الكلام من مفعول ينزل .

ثانيهما : أنه لا يسمى أحد من أهل اللغة كل جسم شديد مستحجر جبلا ، والجبيل مشتق من الجبل - بسكون الباء - وهو الجمع . لأن الجبل مجموع من تراب وحجر وارتفاع . ولا يلزم من ذلك تسمية جسم جمع أشياء جبلا ، على أن البرد ماء جدد . قلت : معنى الآية على تأويل أبي مسلم : وينزل من السماء من جبال برد فيها ، ومن في الموضعين ابتدائية والثالثة بيانية ، فلهذا لزمه خلو الكلام من مفعول ينزل .

٢٢ - ومن سورة الشعراء

قوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) معنى الآية : أن يوم القيامة لا ينفع الإنسان فيه ماله ولا أولاده ، ولكن ينفعه أن يأتي الله بقلب سليم من الشرك والمعاصي . وهذا من دعاء إبراهيم عليه السلام ، يطلب من الله ألا يخزيه يوم البعث الذي صفته ما ذكر .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : تفسير بعضهم السليم بالديغ من خشية الله .

وقول آخر : هو الذي سلم وسلم وأسلم وسالم واستسلم . قلت : إطلاق السليم على الديغ من باب التفاؤل ، كما يقال للبرية . المهلكة : مفازة ، وحمل الآية عليه وعلى المعنى الذي بعده ، غير سليم .

٢٣ - ومن سورة النمل

قوله تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) تفيد الآية أن الهدد حين أخبر سليمان عليه السلام بملكه سبأ ، وصف عرشها بأنه

عظيم ، مع أنه يعرف عظم عرش سليمان . إما لأنه استعظمه بالنسبة لها ، وإما لأنه بالغ ، ليلفت نظر سليمان عما توعد به .

قال الزمخشري : ومن فوكي القصّاص : من يقف على قوله : ولها عرش ثم يبتدىء . عظيم وجدتها ، أى أمر عظيم أن وجدتها وقومها يسجدون للشمس ، فر من استعظام الهدهد عرشها ، فوقع في عظيمة ، وهى مسح كتاب الله ، قلت : صدق فيما قال ، وتقدم ما يناسبه في آية الكرسي .

قوله تعالى (ولو طأ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) .

قال الزمخشري : من بصر القلب ، أى تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا إليها ، وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم ، وأدخل في القبح والسماجة .

وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده ، لأنه أعلم العالمين ، وأحكم الحاكمين .

قلت : بشر ما استنبط ، وساء ما قال . وهى جرأة قبيحة تعد في صدر بدع التفاسير ، نسأل الله العفو والعافية . وما دعاه الى هذا الاستنباط القبيح إلا اغراقه في حب مذهب المعتزلة ، وتعصبه الشديد له ، كما نهت عليه في الخطبة . والله تعالى منزّه عن القبيح ، ولكن للمعتزلة في فهم القبيح وتعيين جزئياته ، اصطلاح يتمشى مع قواعد مذهبهم التى يحاولون أن يجعلوا آيات القرآن دالة عليها ، وناطقة بها .

٢٤ — ومن سورة القصص

قوله تعالى (واضم إليك جناحك من الرهب) الرهب : الخوف ، والمعنى : إذا أصابك الرهب عند رؤية العصا ثعبانا ، فاضم إليك جناحك . قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير (١) ، وأنهم

(١) لكن ذكر أبو عبيد في الرسالة التى ألفها لبيان ما ورد في القرآن من لغات قبائل العرب أن الرهب الكم بلغة بني حنيفة .

يقولون : أعطنى مما فى رهبك . ولست شعرى كيف صحته فى اللغة ؟ وهل سمع من الأثبات الذين ترتضى عرييتهم ؟ ثم لست شعرى كيف موقعه فى الآية ؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل ؟ على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة من صوف لا كتى لها . قلت : الزرمانقة : الجبة . قال أبو عبيد : أراها عبرانية .

قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) المعنى . أن الله يصطفى من خلقه لرسالته من يعلم أنه يصلح لها . نزل رد القول الوليد ابن المغيرة (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وما على هذا نافية ، أى ما كان للناس اختيار فيمن يرسله الله إليهم رسولا .

ومن بدع التفاسير : جعل ما : موصولة ، والمعنى : أن الله يختار لخلقه الأمر الذى لهم الخيرة فيه . وهذا - مع كونه مخالفا لسبب النزول - يلزم عليه حذف العائد المجرور ، فى موضع لا يجوز حذفه فيه إذ المقرر فى علم العربية أن العائد لا يحذف إلا إذا جر بحرف جر الموصول بمثله ، مع اتحاد المعنى . نحو (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) أى منه .

فالعائد هنا محذوف لوجود شرط حذفه . ولا يجوز : جاءنى الذى مررت به ورأيت الذى رغبت ، أى فيه ، لعدم توفر الشرط . ويلزم عليه أيضا نصب الخيرة خبرا لكان ، واسمها ضمير عائد على الموصول . ويكون المعنى : أن الله يختار لهم الأمر الذى كان هو الخيرة ، لكن لم يقرأ بنصب الخيرة أحد من القراء المشهورين .

ومن البدع أيضا : جعل ما مصدرية ، تسبك مع ما بعدها بمصدر ، والمعنى : يختار اختياريهم فيه ، وهو ظاهر البطلان .

قوله تعالى (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله) معنى الآية : أن الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن كانت في الصخر كحبة الخردل ، وكانت مع شدة صغرها في أخفى مكان ، كجوف صخرة ، أو حيث كانت في العالم العلوى أو السفلى فإن الله يأتى بها يوم القيامة ، فيحاسب عاملها ، لا يخفى عليه مكانها . فالصخرة ذكرت مثالا لأخفى مكان تختفى فيه السيئة الصغيرة أو الحسنة الصغيرة .

ومن بدع التفاسير : أن المراد : الصخرة التى تحت الأرضين السبع ، وخضرة السماء منها ، وأن الأرض خلقت على حوت ، والحوت فى الماء على ظهر صفاة ، والصفاء على ظهر ثور ، وهو على الصخرة ، وهى التى ذكرها لقمان . وهذا من الاسرائيليات التى يكفى فى ردها حكايتها .

ومن بابه : مارواه الطبرى من طريق أبى وائل ، قال : جاء رجل إلى عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ، فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام . قال : من لقيت به ؟ قال : كعبا . قال : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول : أن السموات على منكب ملك . قال : كذب كعب . ثم قرأ (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) قلت : هذه الآية دليل على أن السموات والأرض واقعتان فى الفضضاء ليس يسندهما إلا قدرة الله تعالى .

قوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضانكم تطئونها) يخاطب الله المسلمين بأنه أورثهم أرض بنى قريظة وأموالهم وديارهم .

واختلف في قوله (وأرضا لم تطئوها) فقيل : خير ، وقيل : فارس والروم ، وقيل مكة ، وقيل : ما فتح على المسلمين من البلاد والأقطار فيما بعد .

قال الزحشرى : ومن بدع التفاسير : أنه أراد نساءهم . قلت : هذا تأويل بعث عليه الشبق ! وانتقل ذهن صاحبه من وطء الأرض ، إلى وطء الفرج .

٢٧ - ومن سورة فاطر

قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) القرآن . حكما بتوريثه منك (الذين اصطفينا من عبادنا) يعنى علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة ، أو الأمة جميعهم . لأن الله اصطفاهم على جميع الأمم ، ولأنه صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم ثقلين كتاب الله وسنتى ، (١) (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به (ومنهم مقتصد) يعمل به في أغلب أحواله (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) بضم التعاليم والارشاد إلى العمل . وقيل : الظالم المجرم ، والمقتصد الذى خلط صالحا بسىء ، والسابق الذى رجحت حسناته على سيئاته (ذلك) للتوريث أو الاصطفاء أو السبق ، والاول أقرب ، لأنه محط الكلام (هو الفضل الكبير) هو ضمير فصل وما بعده خبر ذلك . ختمت الآية بهذه الجملة ، بيانا لما في إيراد القرآن من ميزة وفضل (جنات عدن يدخلونها) مبتدأ وخبر ، والضمير يعود على الثلاثة : الظالم والمقتصد والسابق .

هذا التفسير هو الذى يقتضيه ظاهر الآية ، وتأييده الأدلة . وروى

(١) لهذا الحديث طارق تبلغ حد الاستفاضة ، وفي بعض طرقه دوعترتى ، بدل دوسنتى ، وهى صحيحة أيضا . وحاصل هذه الروايات الصحيحة ضمان الهداية في العمل بالكتاب والسنة وفي حب العترة النبوية .

البيهقي في شعب الإيمان من طريق ميمون بن سياه عن عمر رضى الله عنه مرفوعاً ، سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، ورواه الثعلبي وابن مردويه من طريق آخر عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر أيضاً ، وسنده ضعيف (١) .

ورواه سعيد بن منصور عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله الحرازي عن سمع عمر يقول قد ذكره موقوفاً ، وهو في حكم المرفوع .
وأبدى بعضهم تأويلات ، هي في الواقع من بدع التفاسير ، ونحن نذكرها مع بيان ما فيها :

١ - قال المرتضى - وهو شيعي إمامي - : أن المورثين الكتاب هم الأئمة من ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم المتعبدون بحفظه وبيانه ، والعمل بأحكامه .

قلت : هذا تخصيص للآية من غير دليل . بل الدليل يقتضي نقيض هذه الدعوى ، لأن العمل بأحكام القرآن تعبد الله به جميع الأمة ، كما أنه قام بحفظه وبيانه علماء أجلاء من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن لا يخصهم العدد . وللشيعة في شأن أهل البيت عليهم السلام ، دعاوى تشتمل على غلو وإسراف .

ثم جعل الضمير في (فمنهم) يعود على (عبادنا) لا على (الذين اصطفينا) وأورد على نفسه سؤالاً ، وهو : أي فائدة في وصف العباد بهذه القسمة ؟ وكيف عدل عن وصف الذين اصطفاهم وورثهم الكتاب ؟ وأجاب بأنه تعالى لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاهم من عباده ، أراد أن يبين وجه الاختصاص . وإنما علق وراثته الكتاب ببعض العباد دون

(١) وحسنه السيوطي بالنظر لمجموع طرقه ، فهو من قبيل الحسن لغيره .

بعض ، لأن في العباد من هو ظالم لنفسه ، ومن هو مقتصد ، ومن هو سابق بالخيرات ، فوجه المطابقة بين الكلام واضح ، قلت : لا وضوح ولا مطابقة . بل الذى يقتضيه السياق ، ويفيده دخول فاء التفريع على منهم : أن يكون التقسيم تفريعا على الذين اصطفوا ، بهذا ينسجم الكلام ، ويتحدد سياقه ولا ينافى اصطفاؤهم وجود ظالم لنفسه فيهم . لأن المراد أن الله اصطفاؤهم واختارهم لتوحيده ، وإقامة دينه لأن أهل الكتاب تركوا دينهم . واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . فاختار الله هذه الأمة المحمدية لحمل القرآن ، والعمل به ، وأخبر سبحانه أن فيهم من هو ظالم لنفسه بما دون الشرك الذى وقع فيه أهل الكتاب قبلهم . وفى المسند وغيره عن أبي بصرة الغفارى عن النبي صلى الله عليه وسلم : سألت ربي أن لا يجتمع أمتى على ضلالة فاعطانيها ، وله طرق كثيرة بينها في تخريج أحاديث منهاج البيضاء وهو من أدلة حجية الاجماع ، وعدم اجتماعهم على ضلالة من أدلة اصطفاؤهم للتوحيد وإقامة الدين الحق ، وأن الله حماهم من أن يجتمعوا على ضلالة ، كما اجتمع عليها اليهود والنصارى أما جعل التقسيم للعباد ، فيرده مخالفته للسياق ، وعدم الارتباط بين التقسيم والاصطفاء ، لأن الأقسام الثلاثة موجودة في العباد ، سواء أحصل الاصطفاء أم لا ؟ ولأن السابق بالخيرات ان كان من المصطفين فلم ذكر في غيرهم ؟ وإن لم يكن منهم ، فكيف يعقل أن يكون سابق بالخيرات غير مصطفى ؟ .

٢ - ذكر أبو على الجبائى في تفسيره أن المراد بالذين اصطفيانا : الانبياء عليهم السلام ، والظالم لنفسه من ارتكب الصغيرة منهم ، وإنما وصف بذلك من حيث فوت نفسه الثواب الذى زال عنه بارتكاب الصغيرة ويؤدى سائر الواجبات . والسابق إلى الخير ، هو الذى استكثر من فعل النوافل .

قال المرتضى : وهذا التأويل يفسد من جهة أن الغليل قد دل على

أن الأنبياء عليهم السلام ، لا يقع منهم شيء من المعاصي والقبائح ، ولو عدلنا عن ذلك لم يجز ما قاله ، لأن قولنا : فلان ظالم لنفسه ، من أوصاف الذم ، والذم لا يستحقه فاعل الصغيرة فكيف تجرى عليه أوصاف الذم ؟

٣ - ذكر بعضهم : أن (الذين اصطفينا) هم الأنبياء أيضا . وتناول (فمنهم ظالم لنفسه) على أن المراد : أجهد نفسه في العبادة وحمل عليها . وهذا يليق بأوصاف الأنبياء ولا تمنع النبوة منه .

ورده المرتضى أيضا بأن لفظة « ظالم لنفسه » يذم بها ، فكيف تجرى على المدح ؟ وبأن السابق إلى الخيرات هو المجتهد في العبادة ، الحامل على نفسه فيها ، فأى معنى للتكرار ؟ وبأن هذا التأويل يفسد التقسيم .

٤ - قال أبو القاسم البلخي المعتزلي في تفسيره : أنه تعالى أراد العقلاء البالغين ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء أخياراً أتقياء ، ثم ظلم بعضهم نفسه . فيكون كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) وهو في وقت الارتداد غير مؤمن . كذلك يكون في حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين . ويجوز أيضا أن يكون فيهم من ظلم نفسه ثم تاب وأصلح . ويكون قوله (فمنهم ظالم لنفسه) أى منهم من كان قد ظلم نفسه ، ليس أنه في هذا الوقت ظالم لها .

قال المرتضى : هذا فاسد . لأن من كان منهم ظالماً فاعلاً للقيح لا يوصفون على الإطلاق بأن الله تعالى اصطفاهم . فهذا الوصف يقتضى أن تكون الجماعة أخياراً .

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) بخلاف هذا ، لأن وصفهم بأنهم آمنوا في الماضي لا يمنع من الردة في المستقبل ، وقوله تعالى (الذين اصطفينا) يمنع أن يكون فيهم من ليست هذه صفته . وأما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب ، فهو غير صحيح ، لأن من تاب لا يوصف بعد التوبة بأنه ظالم لنفسه ، لأن التوبة تمنع من اجراء أفعال الذم . قلت :

بيننا معنى الاصطفاء بما لا يتنافى مع قوله (فمنهم ظالم لنفسه) وهو بيان مؤيد بالدليل كما مر :

هـ — قال الزمخشري : فإن قلت : فكيف جعلت (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار إليه ؟ قلت : لما كان في نيل الثواب ، نزل منزلة السبب كأنه هو الثواب ، فأبدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين - بعد التقسيم - بذكر ثوابهم ، والسكوت عن الآخرين ، مافية من وجوب الحذر . فليحذر المقتصد ، وليلك الظالم لنفسه حذرا ، وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ، ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ، فان شرط ذلك صحة التوبة ، لقوله تعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) وقوله (اما يعذبهم واما يتوب عليهم) ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع ، من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ، ولم يعطل نفسه بالخدع ، قلت : تمحل بجعل (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير ، وجعل الإشارة بذلك قاصرة على السبق بالخيرات لتفيد الآية مذهبه الاعتزالي : أن الظالم لنفسه والمقتصد لا يدخلان الجنة لكن يبطل تأويله أن جنات عدن ليست هي الفضل الكبير إلا بتجاوز لضرورة تقتضيه ، ولا حاجة إليه ، وذلك ، لكونه اسم إشارة للبعيد ، مشاربه إلى توريث الكتاب ، وجنات عدن يدخلونها جملة استثنائية ذكرت لبيان جزاء المصطفين ، وضمير الجمع دليل على ذلك . وعوده للسابق بالخيرات - كما زعم الزمخشري - نظرا إلى أن سابقا في معنى سابقين ، تكلفه ظاهر ، ولا داعي لارتكاب مثل هذا التكلف في اعراب الآية إلا الحرص على موافقة المذهب ، ثم يلزم على قصر الإشارة في (ذلك) على السبق بالخيرات - خلو الكلام من الإشارة إلى ما في توريث الكتاب من الفضل ، مع أنه مقصد الكلام ، ومحط الفائدة .

قوله تعالى (لتنذر قوما) هم العرب (ما أنذر آباؤهم) الأولون الذين كانوا في زمن الفترة (فهم غافلون) عن معرفة الله وعبادته فما نافية ، وهي مثل ما في قوله تعالى (لتنذر قوما ما أتاهم قبلك من نذير . . وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) .

ومن بدع التفاسير : جعل ما موصولة ، وهي مفعول ثان لتنذر ، والمعنى : لتنذر قوما الإنذار الذي أنذر به آباؤهم وفيه تكلف ، بحذف الموصوف ، وحذف العائد المجرور في مكان لا يجوز فيه حذفه ، وقد نبهنا عليه في سورة القصص .

أو : جعلها مصدرية . والمعنى : لتنذر قوما إنذار آباؤهم . وهو لا يلتزم مع سياق الآية إلا بتكلف لاداعي إليه ، على أن العرب لم يأتهم نذير من عهد إسماعيل عليه السلام ، وقيل : ما نافية ، لكن المعنى : لتنذر قوما أنت منهم ، ما أنذر آباؤهم من هو منهم ، وهذا في غاية البعد .

وقال المرتضى : يمكن في « ما » وجه آخر ، وهو : أن يراد بها التنكير كأنه قال (لتنذر قوما ما) وتقف ، ثم تبتدىء فتقول (أنذر آباؤهم فهم غافلون) كما يقول القائل : أكلت طعاما ما . ولقيت جماعة ما ، يكون الغرض التنكير والإجمال . قلت : هذا التأويل أشد بعدا مما قبله . وحمل الآية عليه يوجب ركة يتنزه عنها القرآن ، ثم لا يجوز الوقف على : ما .

قوله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم) خبرهم (إذ تسوروا المحراب) محراب داود عليه السلام ، وهو مسجده الذي أعده للصلاة في بيته . وكان قد رتب أيام الأسبوع ، فجعل يوما للقضاء بين الناس ، ويوما لاهله ، ويوما ينظر في شئون معاشه ، لأنه كان يأكل من عمل يده ، كما جاء في

الحديث الصحيح (١) وجاء هؤلاء الخصوم في يوم العبادة ، فمنعهم الحرس من الدخول ، وهم مستعجلون يريدون الفصل في قضيتهم . فتسوروا المحراب (إذ دخلوا على داود ففرع منهم) حيث نزلوا من جهة السقف ، وظن أنهم يريدون به شرا ، إذ الملك لا يخلو في العادة ممن يقصده بشر من رعاياه (قالوا لا تخف) لا نقصدك بشر . نحن (خصمان) فريقان ، أو شخصان ، كانت يبتنا مشاركة في نجاج ، واختلفنا فيها بحيث (بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) لا نجبر ، وهذا تعبير فيه جفاء لا يليق بمقام النبوة ، وهو يدل على ما كان يتمتع به الشعب الاسرائيلي في حكم داود من حرية في التعبير (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا إلى وسط الطريق الصواب . فاطمان وسألهم عن قضيتهم ، فقال أحدهم (ان هذا أخى) أى اسرائيل مثلى (له تسع وتسعون نعجة) حقيقة ، لا كناية عن النساء كما قيل (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) اجعلنى كافلها بأن أضمرها إلى نجاجى (وعزنى) غلبنى (فى الخطاب) أى الجدل . بقوة منطقته (قال) داود مصدرا لحكمه بعد موافقة الخصم واعترافه ، أو ثبوت الحجة عليه (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) ليضمها (إلى نجاجه وإن كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبنى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فلا يبنون ، والبنى الظلم (وقليل ما هم) مائلا كيد القلة (وظن) أيقن (داود أنما فتناه) ابتليناه بالفرع الذى حصل منه حين تسور الخصوم عليه المحراب . وما كان ينبغى له الفرع من المخلوق وهو فى حضرة الخالق وعبادته (فاستغفر ربه) من فرعه الذى لا يليق به (وخر راكعا) ساجدا (وأناب) رجع إلى الله تعالى . فتبين من سياق القصة أنه كانت خصومة بين شركاء فى نجاج حقيقة ،

(١) فى صحيح البخارى عن المقدم بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده ، وكان عمله صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب . قال تعالى (وعليناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم)

وأنه لم يحصل من داود - قبلها - ما يستوجب لومه أو عتابه . وكل ما حصل منه خوفاً من الخصوم الذين تسوروا عليه المحراب ، والخوف غريزة بشرية فقد قال موسى وهرون من قبله - وهما أفضل - (ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) وما من رسول إلا وقد خاف إذابة قومه . غير أنه اعتبر فزعه من المخلوق وهو بين يدي الخالق ، لا يليق بمنصبه الكريم ، وعده ابتلاء وامتحاناً ، فاستغفر الله منه .

ومن بدع التفاسير: ما ذكره كثير من المفسرين أنه نظر من طاق في بيته، فرأى امرأة عريانة تغتسل ، فأعجبته ، فسأل عنها ؟ فقيل له : إنها امرأة شخص يقال له : أوريا . فبعثه إلى حرب ، وأمر بأن يحمل التابوت - وكان حامل التابوت لا يحل له أن يرجع حتى ينتصر الجيش أو يقتل هو - فانتصر الجيش ، وعاد أوريا .

فبعثه مرة ثانية وثالثة ، فقتل . فتزوج امرأته ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وقيل : بل كانت خطيبة أوريا ، فبعث داود يخطبها - ولم يعلم بخطبتها - فأثره أهلها على خطيبها الأول ، فزوجوها له ، وهي أم سليمان ، فبعث الله إليه ملكين في صورة رجلين يختصمان في نعاج ، كنيا بها عن الزوجات ، فلما قضى ، صعدا إلى السماء وهما يقولان : قضى الرجل على نفسه ، فأدرك ، خطأه وتاب . وهذه القصة مأخوذة عن الاسرائيليات وفيها مساس بمقام النبوة ، وخدش للعصمة الواجبة الأنبياء .

وقال بعضهم في خطأ داود : إنه قضى للخصم قبل أن يسمع كلام خصمه ، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب . وهذا أيضاً باطل ، لأن من البدهيات في القضاء : ألا يحكم القاضى إلا بعد سماع الخصمين وإبداء حججهما ، والموازنة بينهما . فكيف يخفى هذا على نبي آتاه الله الملك والحكمة وفصل الخطاب ؟ .

(تنبيه) قوله تعالى عقب هذه القصة (يا داود إنا جعلناك خليفة

في الأرض فاحكم بين الناس بالحق) يدل على أن الله رضى حكمه في القضية ، وأنه وفق فيها إلى إصابة الصواب . ولهذا قال : احكم بالحق أى دم على الحكم بالحق .

أما قوله تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فلا يدل على أن داود اتبع الهوى أبداً ، وإنما المراد به الأمر بمداومة اجتناب الهوى ، أى دم على اجتناب الهوى في أحكامك . لما تقرر في الأصول : أن النهى عن الشيء يستلزم الأمر بضده . ونظير هذا قوله تعالى (ولا تكن من المشركين) فإن معناه : دم على توحيدك ، واجتناب الشرك . لأن النبي معصوم من الشرك ومن المعاصي .

قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) ثبت في الحديث الصحيح المخرج في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال سليمان : لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله . فلم يقل - فسيانا أو عرضت له مسألة شغلته ، أو رأى أن أمنيته خير سيحققها الله ولولم ينطق بالمشيئة - فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق . وأيم الله الذى نفسى بيده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون ، قال العلماء والشق الجسد الذى ألقى على كرسيه ، وفتنته نسيان المشيئة ، فامتحن بهذا وتاب . وحصل نظير هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقد سأله أهل مكة عن قصة أهل الكهف ، فقال : أجيبكم غداً ، ولم يقل : إن شاء الله : فأبطأ عنه الوحي خمسة عشر يوماً ، ثم نزل قوله تعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) والحكمة في هذا أن الله تعالى يحب من عباده أن يردوا المشيئة إليه في كل أمورهم . فإذا غفلوا نهبهم بمثل ما هنا . (١) بل هو نفسه سبحانه وتعالى ذكر المشيئة

(١) وحصل لنا مثل هذا أيضاً . فتد كنت أدرس المقدمة الأجرومية =

في فعله إرشادا لعباده وتعليلاً لهم فقال تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) وليس لأحد أن يقول : كيف يكون سليمان متزوجاً بمائة امرأة ؟ وكيف يستطيع الطواف عليهن في ليلة ؟ لأننا نقول : ليس بممتنع أن يخص الله تعالى رسوله سليمان بجواز الزواج بمائة امرأة وأكثر ، كما خص أباه داود بذلك من قبل ، وكما أباح لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم التزوج بأكثر من أربع نسوة خصوصية له . وأما الطواف عليهن في ليلة ، فيحتمل أن يكون الله أقدره عليه ، آية له أو ليبين له أن ما تمناه من ولادة فرسان مجاهدين ، لا يكون عن مجرد الإطاعة بنسائه إن لم يشأه الله . ويحتمل أن الجن المسخرين له ، استنبطوا له أدوية وعقاقير للتقوية ، كما استنبطوا له النورة لإزالة الشعر ، حين أراد أن يتزوج بملكة سبأ ، ووجد في رجليها شعرا كثيرا .

ومن بدع التفاسير : ما ذكره كثير من المفسرين أيضا : أن سليمان تزوج

== لشقيقى السيد محمد الزمزمي - ونحن بالمركب في طريقنا إلى مصر - وبعد أربعة أيام مضت على قيامنا من جبل طارق قرأنا في النشرة التي يصدرها قائد الباخرة أننا سنصل إلى الإسكندرية في الخامسة من صباح اليوم التالي . وحين جلسنا إلى درس الآجرومية بعد صلاة العصر كالمعتاد - وكنا وصلنا إلى ظرف الزمان وظرف المكان - فقلت لشقيقى المذكور ممثلاً لظرف الزمان : فصل غدا إلى الإسكندرية فقال لى شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله : قل . إن شاء الله . فقلت مداعبا : سلام أقولها ؟ المسافة قريبة ، وشبح الإسكندرية لاح على بعد . وفي منتصف الليل هاج البحر ، وعلمت أمواجه حتى كانت الموجة تلف الباخرة لفا ، وهي تميل وتتأرجح كالقشرة . ونحن لانملك أنفسنا من دوار البحر وكانت أمامنا باخرة بعثت إشارة إلى الإسكندرية تستغيث ، لكنها غرقت قبل وصول التجدة . ثم لطف الله ووصلنا إلى الإسكندرية في الساعة الثانية عشر ظهرا بعد أن رأينا الموت عيانا . وأخبرنا قائد الباخرة أنه قضى في البحر خمسا وثلاثين سنة لم ير فيها عاصفة مثل هذه في شدتها ومفاجأتها ، فتأكدنا أنها نأديب من الله تعالى لنا .

امرأة أحبها . وكانت تعبد الصنم في بيته بغير علمه . وكان ملصكه في خاتمه ، فزعه عند إرادة الخلاء ، ووضعته عند امرأته المسماة بالأمينة فجاءها جنسى في صورته ، وأخذته منها . وقعد على كرسيه وعكفت عليه الطير وغيرها وجاء سليمان في غير هيئته ، وقال : أنا سليمان ، فأنكره الناس . ثم توصل إلى الخاتم - لعله وجده في بطن سمكة - فرجع إليه ملصكه . وهذه القصة رواها الذسائى في التفسير من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وهذا إسناد قوى كما قال الحافظ، لكن ابن عباس تلقاها عن كعب ، فهمى من الإسرائيليات ، وبطلانها يظهر بوجوه .

أحدها : أن الجنى لا يسمى جسدا ، لأنه كان حيا ، والجسد الذى يلقى ، لا يكون إلا ميتا .

ثانيها : أن الجنى لا يمكن أن يتصور في صورة نبي ، ولا يقدر على ذلك ، لما يترتب عليه من المفاسد .

ثالثها : لو جاز للجنى أن يأتى امرأة سليمان في صورته ، يأخذ منها خاتم ملصكه ، لجاز أن يزنى بها ويغيرها من نسائه ، وذلك يبطله العقل والنقل أيضا .

رابعها : أن الخاتم - لو سلم أنه خاتم الملك ، يذهب بذهابه - فلا يجوز أن يكون خاتم هيئته أيضا ، بحيث حين ذهب منه أنكره الناس ، وحين رجع إليه عرفوه .

خامسها : أن هذه القصة - مع كونها كذبا غير محبوك - خالية من العبرة ، (١) والله تعالى يقول (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب)

(١) قد يقال : العبرة فيها مؤاخنة سليمان بعبادة الصنم في بيته وإن كانت بغير علمه ، لأنه كان يمكنه منعها لو استعمل التشدد والرقابة في بيته على نسائه ، وهذا غير صحيح . لأنه كان مباحا للرسول تزوج المشركات ، وقد كانت امرأتانوح ولوط عليهما السلام مشركتين ، فلم يكن الله ليؤاخذ سليمان بكفر امرأته وقد أباح له التزوج بها .

قوله تعالى (حتى توارت بالحجاب) أى حتى غابت الشمس ، واختفت
بما يحجبها عن الأنظار .

« تنبيه ، كان المعرى إذا ذكر الشعراء ، يقول : قال أبو نواس ، قال
البحترى ، قال أبو تمام . فاذا ذكر المتنبي ، يقول : قال الشاعر ، وذلك
لاعجابه به . فقل له يوما : لقد أسرفت في وصفك المتنبي ، أليس هو القائل :
بليت بكى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يوما ، فقل له : ومن
أين علمت ذلك ؟ فقال : سليمان بن دارد عليهما السلام ، وقف على طلب
الخاتم أربعين يوما . فقل له : ومن أين تعلم أنه بخيل ؟ قال : من قوله تعالى
(وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) وما عليه أن يهب الله لعباده أضعاف
ملكه ؟ قلت : قرأت هذا في كتب الأدب التي كتبت عن المتنبي ، وهو يشمل
على خطأين :

أحدهما : أن سليمان عليه السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوما .
وهذا مبنى على الخرافة الإسرائيلية التي مريان بطلانها .

ثانيهما : نسبة سليمان عليه السلام إلى الشح ، وهي جراءة قبيحة ،
وإزراء بمقام نبي كريم ، وجهل بحكمة طلبه ، كما جهلها الحجاج بن يوسف
الثقفي ، فسماه حاسدا . وقد برأ الله نبيه سليمان مما زعم الزاعمون ، وكان عنده
وجيها ، فهو طلب الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ، ليكون معجزته
على رسالته . كما كانت العصا معجزة موسى عليه السلام ، والمعجزة لا بد أن
تكون خاصة بالنبي لا ينالها غيره وإلا بطل الإعجاز ، وبطلت النبوة ، وإنما
طلب خصوص الملك معجزة ، لأنه عليه السلام كان رسولا إلى اليهود ،
وهم عبيد المال ، وخدام الدنيا ، يهرهم بريق الذهب ويخضعهم هيبة السلطان
وأبهة الملك . تمردوا على الله ، وقتلوا أنبياءه ، فلا ينجع فيهم إلا مثل

ملك سليمان معجزة . والدليل على ما نقول أمران :

الأول : أن الله سخر له الجن والشياطين والريح ، وعلمه منطق الوحوش وسخرها له . وهذا لا يتأتى لملك إلا أن يكون معجزة .

الثاني : أن الله تعالى أعطاه ما طلب وقال له (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزني وحسن مآب) ولو كان سليمان شحيحا لم يقل الله هذا في حقه ، ولا قال عنه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) وكيف يمدح شحيحا وهو الذي قال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وسمى البخل فحشاء في قوله تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) ودم البخلاء في غير آية من الكتاب الكريم .

ومن بدع التفاسير - كما قال الزمخشري - : أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه . قلت : حكاه الصاوي في حاشية تفسير الجلالين ولم يتعقبه ، وهو واضح البطلان .

قوله تعالى (ردوها على) الضمير يعود على الصافات ، والمعنى : أن سليمان أمر أتباعه برد الخيل عليه ، لمسحها ويختبر عيوبها .

« لطيفة » روى إبراهيم الحربي في غريب الحديث من طريق مغيرة عن الشعبي ، قال : كان رهان ، فقال رجل لبلال رضي الله عنه : من سبق قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فمن صلى ؟ قال : أبوبكر قال : إنما أعنى في الخيل ، قال : وأنا أعنى في الخير . قلت : يقال للفرس السابق : مجلّ ، وللذي يليه مصلى ، وصلى الفرس إذا جاء تاليا للسابق ، وحقبة الكلمة : أن رأسه عند صلاه ، وهو مفرز ذنبه ، أي رأس المصلى عند مفرز ذنب المجلى

ومن بدع التفاسير : ما حكاه الصاوي في حاشية الجلالين ، وعبارته :

وقيل : الضمير في قوله (ردوها) عائد على الشمس ، والخطاب

للملائكة الموكلين بها . فردوها ؛ فصلى العصر في وقته . قلت : لم يكن سليمان عليه السلام ملكا في السماء ، ولم تكن له سلطة على الملائكة يأمرهم برد الشمس فيردوها ، وهي لم ترد على أحد قبله منذ خلق الله الدنيا ، ثم لو صح هذا التفسير ، لوجب أن يكون نظم الآية : ردها على فصلى ، لكن نظمها الحالي يؤكد أن المردود عليه : الخيل التي طفق يمسح سوقها وأعناقها .

نعم ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نبي الله يوشع حينما ذهب لقتال الجبارين ، وكان في يوم الجمعة ، وخاف أن تغرب الشمس قبل الفراغ من قتالهم ؛ فدعا الله ، فحبسها عليه ساعة من النهار .

وفي الأوسط معاجم الطبراني بإسناد حسن عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار .

وسبب ذلك : ما جاء في مغازي ابن اسحق : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير . قالوا : متى تجيء ؟ قال « يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم ، أشرفت قريش ينظرون ، وقد ولى النهار ولم تجيء . فدعا صلى الله عليه وسلم ، فزيد له في النهار ساعة ، وحبست عليه الشمس .

وروى الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرک والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه صلى الله عليه وسلم دعا وكان نائما على ركة على ، ففاتته صلاة العصر ، فردت الشمس حتى صلى على ، ثم غربت ، صححه الطحاوي وعياض وغيرهما (١) ، وانظر هذا البحث في كتابنا ، الأحاديث المنتقاه في فضائل سيدنا رسول الله ، .

(١) وقال ابن تيمية في منهاج السنة : أنه باطل ، وخطأه الحافظ ابن حجر في فتح الباري

والحافظ الحسكاني مجلس املاء على حديث رد الشمس ، ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ . قال الزرقاني في شرح المواهب : ومن لطائف الاتفاقات الحسنة : أن أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ورد الشمس له ، والسماء مغيمة غيامطبعا ، فظنوا أنها غربت وهموا بالانصراف ، فأصحت السماء ، ولاحت الشمس صافية الإشراق . فأشار إليهم بالجلوس ، وقال ارتجالا :

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي	مدحى لآل المصطفى ولنجله .
وائي عنانك إن أردت ثناءهم	أنسيت إذ كان الوقوف لأجله ١٩
إن كان للمولى وقوفك فليكن	هذا الوقوف لحيله ولرجله .

يشير بنجله إلى أن عليا عليه السلام تربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالمولى إلى حديث « من كنت مولاه فعلى مولاه » .

« فائدة » قال بعض العلماء : كان علم النجوم صحيحا ، فلما توقفت الشمس ليوشع بطل أكثره ، ولما ردت لعلي بطل جميعه (١) .

والشيعة يزعمون أن الشمس ردت لعلي عليه السلام مرة أخرى غير هذه وهو في أرض بابل أيام خلافته . وقد فاتته صلاة العصر أيضا . قال السيد اسماعيل بن محمد الحميري في قصيدته المذهبة ، يذكر الحادثتين في بيتين ، وهما :

ردت عليه الشمس لما فاتته	وقت الصلاة وقد دنت للمغرب
وعليه قد حُبست ببابل مرة	أخرى وما حُبست لخلق مُعرب

(١) علم النجوم مبني على حساب سير الكواكب وتقابلها وحلول كل منها في برج كذا ساعة كذا . فلما توقفت الشمس ساعة ليوشع عليه السلام اختل حساب المنجمين بالنسبة لسير الشمس ، ولما ردت بعد الغروب اختل حسابهم بالنسبة لها ولسير الكواكب الليلية .

وانظر شرحهما في أمالي الشريف المرتضى ج ٢ ص ٣٤٠ - ٣٤٣ .

قوله تعالى (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين) في هذه الآية وما شابهها طريقتان ، أشرنا إليهما في المقدمة :

إثبات اليمين صفة لله تعالى ، كما جاء به السمع ، مع اعتقاد التنزيه عن الجارحة وتفويض المعنى المراد لله تعالى ، إليه . هذه طريقة السلف ، وهي مذهب أبي الحسن الأشعري أمام الأشعرية ، والقاضي أبي بكر البلاقلائي من أئمتهم . والتأويل بصرف الكلام إلى بعض وجوه المجاز التي يقتضيها السياق ، وهذه طريقة الخلف . فيكون قوله (لما خلقت بيدي) كناية عن قوله : لما توليت أحواله ، ولم يقدر على توليه غيره .

قال الزمخشري : فإن قلت : ما وجه قوله (لما خلقت بيدي) ؟ قلت : سبق لنا أن ذا اليمين يباشر أكثر أعماله بيديه ، فغالب العمل باليمين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما ، حتى قيل في عمل القلب : هو مما عملت يداك . وحتى قيل لمن لا يدي له : يداك أركنتا ، وفوك نفخ . وحتى لم يبق فرق بين قولك . هذا مما عملته ، وهذا مما عملته يداك . ومنه قوله تعالى (مما عملت أيدينا ، ولما خلقت بيدي) . قلت . ففي الكلام استعارة ، شبه تصوير الله جسم آدم وتسويته إياه ، بما ينحته النحات بيديه من التماثيل ، واستعير له لفظ يدي ، على طريق الاستعارة التصريرية الأصلية وقيل : معنى (لما خلقت بيدي) . لما خلقت بغير واسطة أب أو أم .

وجوز إمام الحرمين وغيره أن يكون معنى (لما خلقت بيدي) : لما خلقت بقدرتي ، فاليد بمعنى القدرة ، والتثنية للتعظيم .

وأن يكون معنى اليد : النعمة ، والباء بمعنى اللام ، والمراد : لما خلقت لنعمتي وتثنية اليد ، لأنه أريد نعمة الدنيا والآخرة .

ويضعف الوجه الأول : أن المخلوقات كلها مخلوقة بقدره الله تعالى ، فما فائدة تخصيص خلق آدم بها ؟ إلا أن يقال : فائدته : التلويح بتهديد إبليس ، ويكون المعنى : مامنعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي التي بها أعذبك إن لم تطع أمري والوجه الثاني فيه تكليف .

وفي تفسير الكشاف : فإن قلت فما معنى قوله (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قلت : الوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم ، واستنكف منه : أنه سجد لمخلوق ، فذهب بنفسه ، وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق . وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين ، وهو مخلوق من نار ، ورأى للنار فضلا على الطين ، فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه ، وأقربهم منه زلفى ، وهم الملائكة ، أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ، ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ، ثم لم يفعلوا . وتبعوا أمر الله ، ولم يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له ، تعظيما لأمر ربهم ، وإجلالا لخطابه ، كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم ، حريا بأن يقتدى بهم ، ويعلم أنهم في السجود لمن هو دونهم ، بأمر الله ، أوغل في عبادته منهم في السجود له ، لما فيه من طرح الكبرياء ، وخفض الجناح . فقيل له : مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ أى مامنعك من السجود لشيء هو كما تقول مخلوق ، خلقت بيدي ، امثالا لأمرى . كما فعلت الملائكة ، فذكر له ما تركه من السجود ، مع العلة التي تشبث بها في تركه .

وقيل له : لم تركت مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به ؟ يعنى كان عليك أن تعتبر أمر الله ، ولا تعتبر هذه العلة ، ومثاله : أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم ، فيمتنع إعتبارا لسقوطه ، فيقول له : مامنعك أن تتواضع لمن لا يخفى على سقوطه ؟ يريد . هلا اعتبرت أمرى ، وتركت اعتبار سقوطه . وفيه إني خلقت بيدي ، فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت

الملائكة بأن يسجدوا له ، لداعي حكمة دعاني اليه من إنعام عليه بالكرامة السنية ، وابتلاء للملائكة ، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له ؟ اه قلت : في هذا الكلام أمور .

الأول : تفضيل الملائكة على الأنبياء ، وهذه مسألة فيها خلاف معروف ، ولنا فيها رأى يخالف مذهبي الأشعرية والمعتزلة .

الثاني : ذكر الأمر بزيارة بعض سقاط الحشم ، مثلاً لآدم عليه السلام وهي إساءة بالغة في حق أبي البشر ، وأصل الأنبياء ، وإقامة العذر لإبليس في ظنه خيريته على آدم ، وأن الله تعالى أقره على ظنه الباطل ، وإنما عابه على ترك السجود اتباعاً للأمر به ، والواقع أن جملة (لما خلقت بيدي) ذكرت رداً على إبليس ، لا إقراراً له ، وبياناً لتكريم آدم ، بأن الله خلقه بيده ، وتلك منية تقتضي الإسراع بالسجود له ، ولم يكن لإبليس ولا لغيره أن يتعاضم على من كرمه الله بهذا التكريم الذي أدركه الملائكة ، فبادروا إلى امتثال الأمر بالسجود .

الثالث : قوله : لداعي حكمة دعاني إليه . وهذه جرأة لا تصدر إلا من معزلى جلد كالزخشرى والله تعالى لا يدعو شياً إلى فعل شياً ، لأن الداعي إلى الشئ والباعث عليه ، الوصول إلى غرض من تكميل نقص ، أو جلب مصلحة ، أو درء مضره والله تعالى منزّه عن ذلك . ومن ثم قال أهل الأصول - في الكلام على علة القياس - : أنها الوصف المناسب ومن مناسباته أن يكون باعثاً للكف على الامتثال . ولا يجوز أن يكون باعثاً للشارع على تشريع الحكم ، انظر جمع الجوامع وما كتب عليه والمقصود أن كلام الكشف في هذا الموضع . من بدع التفاسير .

٣٠ - ومن سورة الزمر

قوله تعالى (والسماوات مطويات بيمينه) من الطي ضد النشر ، يمينه بقدرته ، أو هي صفة لله تعالى مع التنزيه والتفويض . والمقصود : بيان سعة قدرة الله تعالى ، وأن الأمور العظام ، كالسماوات والأرض ، هيثة عنده لا يعييه طيها وقبضها . (١) .

ومن بدع التفاسير : أن معنى مطويات بيمينه . مغنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها .

قال الزمخشري : ومن اشتهى رائحة من علمنا هذا - يعني علم البيان - فليعرض عليه هذا التأويل ، ليتأهى بالتعجب منه ومن قائله !! ثم يبكي حمية لكلام الله المعجز بفصاحته ، وما منى به من أمثاله ؛ وأثقل منه على الروح ، وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله ، واستحسانهم له ، وحكايته على فروع المنابر ، واستجلاب الاهتزاز من السامعين . قلت : وقع مثل هذا وأشد منه في تفاسير مبتدعة العصر التي أشرنا إلى بعضها في الخطبة ، وتمكنوا من نشرها وإشاعتها فعمت بها البلية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٣١ - ومن سورة غافر

قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) وهم أربعة وعشرون : آدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وشعيب وأيوب وإلياس واليسع وذو الكفل وداود وسليمان وذكريا ويحيى وعيسى ويونس عليهم السلام (ومنهم من لم نقصص عليك) وهم كثيرون ففي مسندى أحمد وإسحق بن راهويه عن أبي أمامة أن أباذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم : كم الأنبياء ؟

(١) وتقدم قوله تعالى (يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب) وهو يؤكد بطلان التفسير المحكي هنا .

فقال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قال : كم الرسل منهم ؛ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جا غفيرا ، إسناده ضعيف ورواه ابن حبان والحاكم من طريقين ضعيفين أيضا عن أبي ذر في حديث طويل ، وله طرق ذكرها الحافظ السيوطي في أماليه في التفسير ، وانظر كتاب تنزيه الشريعة لابن عراق .

وروى الطبري والطبراني في الأوسط وابن مردويه في تفسيره عن علي عليه السلام - قوله (ومنهم من لم نقصص عليك) - قال : أرسل الله عبدا حبشيا ، فهو الذي لم نقصص عليك . قلت : لم يصح عن علي هذا الكلام ، في سنده جابر الجعفي ، وهو مطعون فيه . وهذا من بدع التفاسير ، لأنه تخصيص لعموم الآية بدون دليل . ثم من هذا الحبشي الذي أرسله الله ؟ لم يقم على تعيينه دليل . وإذا لم يقصه الله علينا ولا رسوله ، فكيف عرفنا أنه رسول ؟

٣٢ - ومن سورة فصلت

قوله تعالى (حتى إذا ما جاءوها) أي النار (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) بأن يخلق الله فيها النطق فتتطرق بما فعلته من المعاصي مقربة به .

ومن بدع التفاسير : أن شهادة الجوارح كناية عن ظهور أثر المعاصي عليها ، بأن يظهر الله عليها علامات دالة على ما كانت تعمله في الدنيا ؛ كتنانة فروج الزنا مثلا . وهذا التأويل حكاه الألوسي وغيره ، وهو باطل لوجوه : أحدها : أنه مجاز ، وهو خلاف الأصل .

ثانيها : أن الآية تتحدث عن الآخرة ، وقد قدمنا في المقدمة أن ما كان من هذا القبيل ، يمتنع حمله على المجاز .

ثالثها : أن بقية الآية تدل على أن النطق حقيقي (وقالوا لجلودهم لم

شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) أبعد هذه المراجعة الصريحة بين الكفار وأعضائهم يقال : الشهادة كناية .

رابعها : أن قوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون) يفيد أن كلام أعضائهم إنما يكون بعد ختم أفواههم ومنعها من النطق ، لما سيأتي بعده .

خامسها : أن الحديث الصحيح صرح بأن نطق الجوارح حقيقة ، ففي صحيح مسلم وسنن النسائي عن أنس رضي الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه . قال : أتدرون مم أضحك ، قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : بلى . قال : فاني لأجيز اليوم على شاهد إلا من نفسي ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكram السكاتبين شهودا . فيختم على فيه ، ويقال لأركانہ : انطق فتتطرق بأعماله . ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعداً لكن وسحقاً فعنك كنت أناضل ، وروى أحمد والنسائي والبيهقي بإسناد جيد عن معاوية بن حنيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحيطون يوم القيامة على أفواههم القدام (١) فأول ما يتكلم من العبد نخذه ويداه ، ورواه الحاكم من حديث معاوية بن جندب .

٣٣ — ومن سورة الشورى

قوله تعالى (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء) من الأولاد (إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيلا) في الآية تقسيم حاصر ، وهي تفيد عموم قدرته ، ونفاذ

(١) بكسر الفاء ما يوضع في فم الأريق ليصني به ما فيه من الشراب ، وهو كناية عن منعهم من الكلام بالسنتهم لتتعلق جوارحهم .

إرادته في مخلوقاته . وأنه يفعل بهم ما يشاؤه هو لا ما يشاؤون ، فيهم من الأولاد حسبما تقتضيه حكمته ومشيئته .

ومن بدع التفاسير : (يهب لمن يشاء إناثا) يريد لوطا وشعبيا عليهما السلام لم يكن لهما إلا البنات (ويهب لمن يشاء الذكور) يريد إبراهيم عليه السلام لم يكن له إلا الذكور (أو يزوجهم ذكرا وإناثا) يريد النبي صلى الله عليه وسلم كان له ذكور وبنات (ويجعل من يشاء عقيما) يريد يحيى وعيسى عليهما السلام وهذا التأويل باطل . لأنه تخصيص للآية بدون دليل ، ثم تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم لادليل عليه ، ثم العقيم من تزوج ولم يولد له ويحيى وعيسى لم يتزوجا أصلا .

قوله تعالى (وما كان لبشر) وما صح لأحد من البشر (أن يسكلمه الله إلا) أن يوحى إليه (وحيا) في المنام ، أو بطريق الإلهام . فرؤيا الأنبياء حق يعمل بها في التشريع ، وكذلك إلهامهم (أو) (من وراء حجاب) بأن يسمعه كلامه ولا يراه ، كما وقع لموسى عليه السلام (أو يرسل رسولا) ملكا كجبريل عليه السلام (فيوحى) الرسول الملك إلى النبي المرسل إليه (بإذنه) أي الله (ما يشاء) الله القاه إليه من الأحكام وغيرها . وقيل : معنى (وحيا) كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) بشرا كما كلم الأمم على السنة رسلكم .

وقال أبو علي الجبائي في تفسيره : (وما كان لبشر أن يسكلمه الله) إلا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته ، والنهي لهم عن معاصيه . وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام ، وما أشبه ذلك على سبيل الوحي وإنما سمي الله تعالى ذلك وحيا ، لأنه خاطر وتنبيه ، وليس كلاما لهم على سبيل الإفصاح ، كما يفصح الرجل منا لصاحبه إذا خاطبه . والوحي في اللغة إنما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه من غير أن يفصح به ، فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في هذه الآية .

وعنى بقوله (أو من وراء حجاب) أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه ، إلا من يريد أن يسكته به ، نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام . لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى عليه السلام وحده في كلامه إياه أولاً . فاما كلامه إياه في المرة الثانية ، فإنه أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه ، وحجب عن جميع الخلق سواهم . فهذا معنى قوله عز وجل (أو من وراء حجاب) لأن الكلام هو الذى كان محجوباً عن الخلق . وقد يقال : أنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه . فلم يكونوا يدرون من أين يسمعوناه ؟ لأن الكلام عرض لا يقوم إلا في جسم . ولا يجوز أن يكون أراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) : يسكنكم عباده ، لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة . وعنى بقوله (أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) إرساله ملائكته بكتبه وبكلامه إلى أنبيائه عليهم السلام ، ليبلغوا ذلك عنه عباده ، على سبيل إنزاله القرآن على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنزاله الكتب على أنبيائه . فهذا أيضا ضرب من الكلام الذى يسكنكم الله به عباده ، ويأمرهم فيه بطاعته ، وينهاهم عن معاصيه من غير أن يسكنهم على سبيل ما كلم به موسى ، وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذى ذكره الله تعالى في أول الآية ، لأنه قد أنصح لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه . والوحي الذى ذكره الله تعالى في أول الآية ، إنما هو تنبيه وخاطر ، وليس فيه إفصاح .

قلت : اشتمل هذا الكلام على أمرين ، يعتبران من بدع التفاسير : أحدهما : تفسير (وحيا) بما يلقيه الله إلى عباده من جهة الخاطر أو المنام . وهذا يتنافى سياق الآية ، لأن الله تعالى أراد بها أن يبين أنواع كلامه لرسوله المبلغين عنه ، وأن ما يلقيه إليهم من إلهام ، أو ما يريه إياهم في المنام ، يجب اتباعه والعمل به ، كما قال تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية ، وكما قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى

قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، أن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، (١) ولذا عقب هذه الآية بقوله تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) فأخبر أنه سلك به مسلك الرسل من قبله ، وأن الوحي إليه ، نوع من أنواع الكلام الثلاثة المشار إليها ، فكانت الآيتان متناسبتين أما ما يلقي في خواطر الناس ، أو ما يرونه في منامهم ، فلا معنى لذكره هنا ، ولا مصلحة تتعلق به .

ثانيهما : تفسير (من وراء حجاب) بأنه حجب الخلق جميعا عن الكلام الذي تكلم إلا من يريد أن يكلم به ، فانه يسمعه من وراء الحجاب الذي حجب غيره من الناس . وهذا خلاف الظاهر المتبادر من اللفظ ، فإن الذي يفهم باديء ذي بدء من عبارة (أو من وراء حجاب) أن يسمع الله كلامه لرسوله من غير أن يراه . فالرسول حين يسمع الكلام ، محجوب عن رؤية المتكلم . ولا معنى لذكر المخلوقات هنا ، لأنهم محجوبون عن كلام الله دائما حال كلامه مع رسوله وقبلة وبعده .

قال الزمخشري : وأما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه ، لأنه في ذاته غير مرئي . وقوله (من وراء حجاب) مثل . أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب ، فيسمع صوته ولا يرى شخصه .

بقى أمر ثالث ننبه عليه ، لأنه بدعة البدع وهو قوله : لأن الكلام عرض لا يقوم إلا بجسم . وهذا مبني على مذهب المعتزلة في إنكار أن يكون لله تعالى كلام نفسى قديم . وقالوا : معنى أن الله متكلم : خالق للكلام في جسم كشجرة مثلا . ومن هنا قالوا بخناق القرآن ، فخالفوا إجماع الصحابة

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود في جملة من حديث ، وهو صحيح .

والتابعين وسائر علماء السنة . وهذا بحث طويل ، يطلب تحريره في كتب الكلام ، وفي كلام الزمخشري بدعة نذبه عليها أيضا ، وهي قوله : لأنه في ذاته غير مرتى ، يشير إلى مذهبه الاعتزالي أن الله لا يتجاوز رؤيته عقلا ، وقد صرح بهذا في سورة الأعراف ، ورمى الأشعرية المجوزين للرؤية بأنهم حمر موكفة ، ونحن لانعجب من وقيعته في الأشعرية ، مثل عجبنا من إصراره على إنكار الرؤية التي ثبت وقوعها في الآخرة بالسنة المتواترة ، وأجمع عليها الصحابة قبل ظهور شيوخ الزمخشري بسنين !!

٣٤ - ومن سورة الزخرف

قوله تعالى (وجعلوا له من عباده جزءا) أى ولدا ، حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، فجعلوهم جزءا له ، وبعضا منه ، كما يكون الولد بضعة من أبيه . قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : تفسير الجزء بالإناث ، وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث . وما هو إلا كذب على العرب ، ووضع مستحدث منحول ، ولم يقنعهم ذلك ، حتى اشتقوا منه :

أجزاء المرأة . ثم صنعوا بيتا وبيتا :

إن أجزاء حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الأوس مجزئة

قلت : الصنعة ظاهرة على هذا البيت ، ومعناه ركك .

قوله تعالى (بل منعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين)

يخبر الله تعالى أنه منعت أهل مكة - وهم من عقب إبراهيم - ومنعت آباءهم أيضا بالآمن والنعمة ، فاعتروا وشغلوا بالشهوات وعبادة الأوثان عن التوحيد . حتى جاءهم القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ، فكذبوا ، وجحدوا .

قال الزمخشري : فإن قلت : ما وجه قراءة من قرأ : منعت ، بفتح التاء؟

قلت : كأن الله تعالى اعترض على ذاته ، في قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) فقال : بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق ، حتى شغلهم ذلك عن التوحيد . وأراد بذلك ، الأطناب في تعييرهم . الخ

قلت : القراءة المشار إليها شاذة ، وتوجيهها بما ذكره قبيح وكيف يعترض الله على ذاته ؟ وقد أغناها الله بالقراءة المتواترة المعروفة ، عن هذا التوجيه الذي هو أقبح من بدع التفاسير .

والمقرر في علم الأصول : أن القراءة الشاذة ليست من القرآن ، لفقدائها شرط التواتر ، ولا تجوز الصلاة بها . كما لا تجوز بأي كلام غير القرآن وقد حكم العلماء بتعزير ابن شنبوذ ، لأنه كان يقرأ بها في صلاة التروايح .

قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا) إذا لقيتهم ليلة الإسراء كما قيل في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريّة من لقائه) يعني في ليلة الإسراء أيضا ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع في تلك الليلة بالأنبياء وصلى بهم وعرفه بهم جبريل والحكمة في أمره بالسؤال . التقرير لمشركي قريش على أنه لم يأت رسول ولا كتاب إلا بتوحيد الله وعبادته .

وقيل : المراد واسأل أتباع من أرسلنا ، وهم علماء أهل الكتابين ، ففي الكلام مجاز بالحذف ، مثل (واسأل القرية) أي أهلها .

وقال ابن قتيبة : معنى الآية . واسأل من أرسلنا إليه قبلك من رسلنا وهم الأنبياء من أهل الكتابين أيضا ، غير أنه جعل كلمة (إليه) مقدرة محذوفة ، فأخطأ وكان تأويله من بدع التفاسير ، لأن المقرر في علم العربية : أن الضمير المنفصل لا يجوز حذفه ، فلا يقال : الذي جلست زيد ، على معنى : الذي جلست إليه زيد ، وكذلك لا يصح أن يقال : الذي رغبت محمد ، بمعنى

الذى رغبته فيه محمد ، وإنما يجوز حذف الضمير المتصل ، نحو الذى أكرمت صديقك ، أى أكرمته ، وجاء من قابلت أمس ، أى قابلته ، والسرف فى ذلك أن الضمير المتصل يدل عليه الموصول العائد هو عليه ، فلذا جاز حذفه ، بخلاف المنفصل ، فإنه - وإن دل الموصول عليه - لا يدرى عين الحرف الجار له هل هو إلى أوفى أو عن مثلاً ؟ وقد يكون ظرفاً نحو جلست معه فلذا لم يحذفه .

وقد وقع الجلال المحلى فى هذا الخطأ أيضاً ، عند تفسير قوله تعالى - أول هذه السورة - (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) فإنه قال : حذف العائد اختصاراً وهو مجرور فى الأول أى فيه ، منصوب فى الثانى . قلت . يعنى أن التقدير . وجعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الأنعام ما تركبونه .

وتقدير (فيه) خطأ لمسامر ، والصواب تقدير العائد المحذوف ضميراً متصلاً منصوباً فيهما ، ويجوز فى اللغة أن يقال : ركب الفلك ، كما يقال : ركب فيها .

٣٥ - ومن سورة « ق » ،

قوله تعالى (ق) الكلام فى حروف الهجاء المفتوح بها بعض السور معروف ، بسطه الزمخشري فى أول سورة البقرة ، وفصله تفصيلاً وافياً . ونحن ننقل وجهاً مما ذكره ، لأنه من بديع ما كتبه ، قال : الوجه الثانى . أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة ، على نمط التعديد ، كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن ، وبغرابة نظمه . وكالتحريك للنظر فى أن هذا المتلو عليهم - وقد عجزوا عنه عن آخرهم - كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه ، ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله ، بعد المراجعات المتطاولة ، وهم أمراء

الكلام ، وزعماء الحوار . وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب ،
والمتهاكون على الافتنان في القصيد والرجز . ولم يبلغ من الجزالة وحسن
النظم ، المبالغ التي بزت بلاغة كل فاطق ، وشقت غبار كل سابق . ولم
يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء ،
إلا لأنه ليس بكلام البشر ، وأنه كلام خالق القوى والقدر . قلت : قد
أبدع في هذا الوجه غاية الإبداع .

ومن بدع التفاسير : أن (ق) جبل محيط بالأرض ، من زمردة
خضراء ، إخضرت السماء منه ، وعليه طرفا السماء ، والسماء عليه مقببة . وما
أصاب الناس من زمرد ، كان مما تساقط من ذلك الجبل ١١

وهذا الكلام أبطل من أن يشتغل برده . والعجب ممن يكتبه في
التفسير ١١ ويحمل عليه آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه ١١ قوله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد) ان كانت الإشارة للموت ، فالخطاب للإنسان المذكور في قوله
تعالى (ولقد خلقنا الإنسان) على طريق الالتفات . وإن كانت الإشارة
للحق . فالخطاب للكافر .

ومن بدع التفاسير : أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، عن بعضهم :
أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك ؟ فقال : الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم . فحكاه لصالح بن كيسان ، فقال : والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ،
ولا معرفة بكلام العرب ، هو للكافر .

ثم حكاهما للحسين بن عبد الله ابن عبيد الله ابن عباس ، فقال : أخالفهما
جميعا ، هو للبر والفاجر .

قلت : لا شك أن تفسير زيد بن أسلم غير مقبول ولا معقول ، وهو

بعيد من سياق الآية غاية البعد . وكيف يحيد النبي صلى الله عليه وسلم عن الموت ؟ وهو الذى خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله كما ثبت عنه فى الصحيحين .

أما تفسير صالح بن كيسان ، فهو أقرب من تفسير الحسين بن عبد الله ، لأن البر لا يحيد من الموت ، ولا يهرب منه وإنما الذى يهرب منه ويحيد ، هو الفاجر الكافر .

٣٦ - ومن سورة الرحمن

قوله تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) تتحدى الآية الثقلين أن ينفذوا من جوانب السموات والأرض إن استطاعوا ، ويهربوا من قضاء الله وحكمه . وتخبر الآية أيضا أن نفوذهم لا يمكن إلا بقوة وهى غير موجودة عندهم . وهذا مثل قوله تعالى (وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء) ومثل قول الجن (وأنا ظننا أن نعجز الله فى الأرض ولن نفجره هربا) ثم أكدت الآية التحدى بهذه الجملة (يرسل عليكم شواظ من نار) هو لها الأحر (ونحاس) دخان لاهب فيه (فلا ينتصرون) .

ومن بدع التفاسير : قول بعض المعاصرين (بسلطان) : يعلم وأن الآية تشير إلى سفن الفضاء التى تحاول بطريق العلم الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب على ما يقال .

وهذا تحريف للآية يوقع فى الإثم ، وذلك المفسر لا يفهم - لجهله بقواعد اللغة العربية - أن عبارة (إن استطعتم) تفيد التحدى والتعجيز ، وإن لفظ (من أقطار) يفيد مجاوزة جوانب السموات والأرض إلى ما بعدها كما يقال : نفذ السهم من الرمية أى جاوزها . وقد أخبر الله تعالى

في سورة الجن : أنهم كانوا يصعدون إلى السماء ، ويتخذون منها مقاعد لاستراق السمع . وهذا يبين أن الله تحداهم هنا مع الإنس بما هو أبعد من ذلك وأقوى مما لا تبلغه قدرتهم ، وهو ما أوضحناه .

ومن الابتداع الخاطيء : حمل ألفاظ الكتاب والسنة على معان تنافي مدلولها اللغوي ، وتباين السياق الذي سبقت له الآية أو الحديث ، ونحن لا ننكر أن في القرآن والحديث إشارات إلى كثير من المخترعات الحديثة ، لكن تدل عليها في حدود المدلول اللغوي ، وداخل نطاق الأسلوب الكلامي عند العرب . وقد ذكرنا أمثلة لذلك في « خواطر دينية » وانظر كتاب « مطابقة الأحوال العصرية لما أخبر به سيد البرية » لشقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله تعالى ورضي عنه .

٣٧ - ومن سورة التحريم

قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك) اختلف في سبب نزول هذه الآية . فقيل : أن النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم حفصة وفي بيتها ، ووطئها . فعثرت حفصة على ذلك ، فقالت : يا رسول الله لقد جئت أمرا ما جئته إلى أحد من نساءك في بيتي وعلى فراشي وفي دولتي ؟ فقال « أيرضيك أن أحرمها فلا أمسها أبدا ؟ » قالت : نعم . فحرمها على نفسه (١) وقال « لا تذكره لأحد من الناس » فأخبرت حفصة عائشة بذلك ، وكانتا صديقتين .

(١) جاء هذا في حديث رواه الطبراني في عشرة النساء وابن مردويه في التفسير عن أبي هريرة ، وفيه زيادة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحفصة « ألا أبشرك ؟ » قالت : بلى . قال « بلى هذا الأمر من بعدى أبو بكر وبليته من بعد أبوك واكتفى هذا على » وهذه زيادة منكورة لا تصح .

وقيل : أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب العسل عند زينب بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين - فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له : إنا نشم منك ريح مغاير . وكان يشتد عليه أن يوجد منه الريح ، فحرم العسل على نفسه . قال الحافظ ابن حجر : يجوز أن تكون الآية نزلت للسببين معا . ومعنى الآية على هذا أن الله تعالى يقول لنبيه : لم تمتنع مما أحل الله لك من قربان جاريتك ومن شرب العسل ، تبتغي مرضاة أزواجك ؟ والكلام خرج مخرج الإشفاق عليه ، والتوجه له صلى الله عليه وسلم . فكأنه تعالى يقول : لم تبتغي مرضاة أزواجك بإدخال المشقة على نفسك ؟ هذا هو الظاهر ، كما قال الشريف المرتضى في « غرر الفوائد » ، ثم بين الله كيفية التحلل من اليمين ، فقال تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فالتحريم هنا معناه : الامتناع (وحرمانا عليه المراضع من قبل) .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشري : (لم نحرم ما أحل الله لك) من ملك اليمين أو العسل ، و (تبتغي) إما تفسير لتحريم ، أو حال ، أو استئناف . وكان هذا زلة منه ، لأنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ، لأن الله عز وجل إنما أحل ما أحل ، لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله . فإذا حرم ، كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زلت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به . ووجه البدعة في هذا التفسير : أنه حمل التحريم على اعتقاد الحلال حراما ، وسياق الآية لا يقتضيه ، ولا يدل عليه ، ثم حكم بأن النبي صلى الله عليه وسلم زل في هذا التحريم .

والواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل . لأنه لم يعتقد ما أحله الله حراما . كما زعم الزمخشري . بل امتنع منه يمين (١) . على أنه صلى الله عليه

(١) ولأجل اليمين قال الله تعالى (والله غفور رحيم) إشارة إلى أنه =

وسلم ، لو قال في شيء : أنه حرام ، كان حراما ، لأنه مبلغ عن الله . وقد حرم أشياء لم تأت في القرآن ، مثل السباع والحر الأهلية ، وقال في الحديث الصحيح : ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله ، فإذا اعتقد في شيء أنه حرام ، فهو حرام حقيقة ، لأن اعتقاده لا يكون إلا مطابقا للواقع . فالزخشرى هو الذي زل في هذا المكان وضل ، سامحه الله .

• تنبيه ، قول الزخشرى : لحكمة ومصلحة عرفها . فيه إطلاق المعرفة على علم الله تعالى ، وهو خطأ . لأنه لا يجوز شرعا أن يقال : عرف الله كذا ، وهو عارف . وإنما يقال : علم كذا ، وهو عالم ، وتجوز الشيخ زكريا الأنصارى إطلاق المعرفة في حق الله ، لورود ذلك ، يقال عليه : لا يمكن الورد ، بل لا بد من الثبوت ولم يثبت في إطلاقها عليه تعالى حديث صحيح .

قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط

== ما كان ينبغي أن يستعمل اليمين لإرضاء أزواجه . ويمكن إرضاءهن بغير يمين . وإنما تستعمل اليمين في الأمور المهمة ، مثل ما أمره بها في قوله تعالى (قل أي ورثي أنه لحق) وقوله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) مبني على ما قبله بناء المسبب على سببه ، أي من أجل أنه غفور رحيم ، جعل لكم تحلة لأيمانكم لتحلوا بها . فلا يلحقكم إثم في حثها . ولذا جاء في المراسيل لأبي داود عن قتادة عن الحسن - في تحريم أم إبراهيم - قال : فأمر أن يكفر عن يمينه . وقال ابن اسحق في السيرة : أخبرني بعض آل عمر قال : أصاب النبي صلى الله عليه وسلم جاريته القبطية أم إبراهيم في بيت حفصة ، وفي يومها ، وذكر القصة إلى أن قال : فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) فكفر عن يمينه وقرب جاريته .

كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا
وقيل ادخلا النار مع الداخلين (زعم بعض المعاصرين ممن أقحم نفسه في
التفسير بغير علم : أن المراد بالخيانة : الزنا . وهذا من بدع التفاسير ،
وهو يدل على جعل صاحبه وغباوته . فليست الخيانة هنا إلا المخالفة في
العقيدة ، ومساعدة الكفار على زوجيهما ، وهو خلاف ما تقتضيه العشرة
الزوجية من صفاء المودة ، وحسن المراجعة .

والدليل على هذا أمور :

الأول : أن امرأة نوح كانت ترمى زوجها بالجنون ، وتساعد قومه
عليه من شتمه وإيذائه . وامرأة لوط كانت تدل قومه على ضيوفه إذا كانوا
حسان الوجوه . لم ينقل عنهما غير ذلك .

الثاني : لو ثبت عليهما شيء من الزنا ، لأسرع قوم نوح وقوم لوط إلى
تعييرهما ، والتشنيع عليهما ، لكنهم لم يعرجوا على ذلك بحال .

الثالث : أن من يقع الزنا في بيته بأهله - وهو لا يشعر - كيف يكون
أهلا لأن يدعو أمة ؟ ويتزعم شعبا !

الرابع : أن أكبر عار يلحق بالرجل ، ويسقط حرمة وكرامته ، وقوع
الزنا في أهله . فكيف ينسب إلى رسولين كريمين ؟ !! كان أحدهما يكافح
جريمة اللواط ، وكان من السهل جداً أن يقول له قومه : اذهب إلى بيتك
فطهره من الفاحشة ، ثم تعال فطهرنا !

الخامس : لا يجوز أن يقع الزنا في بيت نبي يوحى إليه ، ولا ينبيه الله
عليه . هذا محال ، لأن الله تعالى غيور ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل يغار وغيرة
الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه » ، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس في

قصة قذف هلال بن أمية امرأته ، ونزول قوله تعالى (والذين يرمون أزواجهن) الآية ، وقول سعد بن عباد : لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح (١) قال النبي صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من غيرة سعد ؟ أنا أغير منه والله أغير منى ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، فكيف يرضاها في بيت رسول يختاره لتلقى وحيه ؟ ودعوة الناس إلى توحيده ؟ وإقامة دينه ؟ !

السادس : أن من الشروط التي يجب عقلا وجودها في الرسول ، الفطنة والذكاء ، والذي يقع الزنا في أهله - وهو لا يشعر - يكون بالغ النهاية في الغفلة والبلاهة ، ولا يجوز أن يكون الرسول مغفلا ولا أبله . بل الغفلة مذمومة في عموم الصالحين ، ألا ترى إلى قول عمر رضي الله عنه : لست بخب والخب لا يخدعني ؟ تجده يتبرأ من الغفلة كما يتبرأ من الخبث . فهو ليس بخبيث ، لكنه ليس من الغفلة بحيث يخدعه خبيث . لأنه مؤمن ، والمؤمن فطن . كما جاء في مسند الشهاب للقضاعي من حديث أنس : المؤمن كيس فطن حذر . .

السابع : أن كفر المرأة لا يعيبها ولا يلحق زوجها عار بسببه لأنه ينشأ عن عناد في الرأي ، أو اعتداد به ، أو تقليد للآباء . لكن زناها يعيبها ويعيب أهلها ، لأن سببه اغتلام الشهوة ، وانحطاط الخلق ، ودناءة الهمة ، وسوء التربية . ولهذا لما جاءت هند زوج أبي سفيان ، لتسلم - وكانت من العنيدات في الشرك ، والمعزات به - وعرض عليها النبي صلى الله عليه وسلم فيما عرض « ولا تزني ، قالت مستنكرة أو تزني الحرة ؟ !

(١) بضم الميم وسكون الصاد وفتح الفاء أى ممال على صفحته أى جانبه والمعنى : لو وجدت رجلا مع امرأتى لضربته بحمد السيف لأقتله ؟ ولم أضربه بجانبه الذى لا يقتل

فمن ثم جاز أن تكون زوج النبي كافرة ، ولم يحز أبدا بحال أن تكون زانية . وهذا معنى ما رواه عبد الرزاق والطبري وابن مردويه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما بغت امرأة نبي قط ، أى ما زنت (١) .

قوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) ثنى الآية على مريم عليها السلام بإحصان فرجها ، وعفتها عن الحرام ، وأن الله تعالى نفخ فيه من روحه . . الخ قصتها .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : أن الفرج جيب الدرع ، ومعنى أحصنته : منعته جبريل .

وأنه جمع في التثنية بين التى لها زوج - وهى امرأة فرعون - ولتى لا زوج لها ، وهى مريم . تسلياً للأرامل ، وتطيباً لأنفسهن .

قلت : جبريل نفخ فى جيب درعها أو قبضها بنص القرآن ، ولم تمنعه من ذلك . وإحصان الفرج لا يراد به إلا الكناية عن العفة . والظهار من الزنا . فاطلاقة على جيب الدرع ، فى غاية البعد . ويظهر أن صاحب هذا التأويل كان نصرانيا رسخت فيه عقيدة النصارى : أن الله نفخ فى مريم مباشرة من غير واسطة جبريل ، فلذلك يقولون فى عيسى : ابن الله ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

وحكمة تسلية الأرامل ، وتطيب أنفسهن . ليس لها قيمة فى هذا الموضع ، وماذا يضير الأرامل لو لم تذكر مريم (٢) ؟

(١) لالعصمتها كما فهم بعض الجبهة وأنكر هذا الأمر ، بل لدناءة الزنا ودناءة فاعله . وقد تكون زوجة النبي كافرة أوقاتلة لكنها حرة .

(٢) هل أن مريم لم تزوج ، والأرملة هى التى مات عنها زوجها .

قوله تعالى : (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)
معنى الآية : أن الكفار حين يدخلون النار ، يقولون - منحسرين - لو كنا
نسمع إنذار الرسل سماع قبول ، ونعقل معناه : عقل متأمل منصف ،
لأمننا وما دخلنا النار .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير : أن المراد : لو كنا على مذهب
أصحاب الحديث ، أو على مذهب أصحاب الرأي . كأن هذه الآية نزلت بعد
ظهور هذين المذهبين ، وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين ، قد أنزل الله
وعيدهم : وكأن من كان من هؤلاء ، فهو من الناجين لا محالة . وعدة المبشرين
من الصحابة عشرة ، لم يضم اليهم حادى عشر (١) . وكان من يجوز على
الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين .

قلت : وجه البدعة في هذا التفسير : أن صاحبه حمل الآية على معنى
لم يكن معروفا وقت التنزيل ، وإنما حدث بعد ظهور المجتهدين ، واقتراحهم
في فهم الكتاب والسنة إلى هذين الفريقين . وقد نبهنا إلى هذا في سورتي
البقرة والرحمن .

قوله تعالى (وإن لك لأجرا غير ممنون) قال الزمخشري : غير مقطوع
كقوله (عطاء غير مجذوذ) .

(١) يعنى في حديث واحد . وهذا لا ينافى أفرادا بشروا في أحاديث
متفرقة ، مثل الحسن والحسين وفاطمة وخديجة وبلال وعبد الله بن سلام ، وقد
استوعبت أسماءهم في د خواطر دينية .

أو : غير ممنون به عليك ، لأنه ثواب تستوجبه على عملك ، وليس بتفضل ابتداء ، وإنما تمن الفواضل ، لا الأجور على الأعمال .

قلت : الرأى الثانى من بدع التفاسير ، مع مافيه من إساءة الأدب فى حق الله سبحانه وتعالى . وقد تكرر هذا منه فى غير موضع من كشافه . والله تعالى لا يحب عليه شيء ، إذ هو الخالق للخلق ، ومتبدثهم بنعمه ، فكيف يجب لهم عليه شيء إلا ما أوجبه على نفسه تفضلاً ؟ وما يعطيه من أجور لعباده الصالحين ، فله فيه المنه والفضل سواء أكان ابتداء ؟ أم فى مقابلة عمل ؟ وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته منه وفضل ،

وفى معجم الطبرانى عن واثلة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يبعث الله يوم القيامة عبداً لا ذنب له فيقول الله : أى الأمرين أحب إليك ؟ أن أجزيك بعملك ؟ أو بنعمتى عندك ؟ قال : يارب إنك تعلم أنى لم أعصك . قال : خذوا عبنى بنعمة من نعمى . فما تبقى له حسنة إلا استغرقها تلك النعمة . فيقول : رب بنعمتك ورحمتك . فيقول بنعمتى ورحمتى . .

وأما مثل قوله تعالى (ونودوا أن تلتكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) فالباء فيه للسببية الجعلية ، بمعنى أن الله تعالى جعل العمل الصالح سبباً شرعياً لدخول الجنة ، وهذا الجعل تفضل منه ، ولهذا يقول أهل الجنة حين يدخلونها (الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله) .

ويعجبني فى هذا المعنى قول صاحب الحكيم : إذا أراد إظهار فضله عليك ، خلق ونسب إليك .

والسرفى ذلك أن الله تعالى ابتدأ خلقه بنعمه تفضلاً ، وأولاه : نعمة الإيجاد ، ثم نعمة الإمداد بالحواس وبالصحة والتوفيق إلى الطاعة وغيرها مما لا يحصى ،

كما قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) فلو أن الإنسان عبد الله طول حياته ما أدى شكر نعمة من تلك النعم .

كما جاء في مسند البزار عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه . فيقول الله عز وجل لأصغر نعمة - أحسبه قال : في ديوان النعم - : خذى ثمنك من عمله الصالح . فتستوعب عمله الصالح ، ثم تنحى ، وتقول : وعزتك ما استوفيت . وثبقى الذنوب والنعم ، وقد ذهب العمل الصالح .

فإذا أراد الله أن يرحم عبدا قال : يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت عن سيئاتك ، ووهبت لك نعمي ، فكيف يستوجب العبد على الله - وهو مقصر في شكر نعمه - أن يدخله الجنة بعمله ؟ ! وما يعاب به الزمخشري ، محاولته تطبيق آيات القرآن على مذهبه الاعتزالي ، ويركب في تحقيق محاولته كل صعب وذلول ، ولولا ذلك ، لم يكن لتفسيره نظير ، لأنه أظهر وجوه اعجاز القرآن ، وبينها غاية البيان . حتى قيل - فيه وفي السكاكي صاحب مفتاح العلوم - : لولا الأعرجان ، لذهبت بلاغة القرآن .

قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) هذه العبارة كناية عن غاية الإذلال لأن الوسم على الوجه شين ، فكيف به على أكرم موضع منه ؟ والضمير يعود على الوليد بن المغيرة . وقد خطم بالسيف يوم بدر ، فبقيت سمة على خرطومه ، وهي من الإهانة والإذلال وقيل : سعلبه يوم القيامة بعلامة مشوهة ، يبين بها عن سائر الكفار ، كما عاى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم .

ومن بدع التفاسير : أن الخرطوم الخر ، وأن المعنى : سنعهده على الخر ، أى على شربها وهذا المعنى - وإن نقل عن النضر بن شميل الإمام

اللغوى الثقة وما أظنه يصح عنه - بعيد عن سياق الآية ، لا يتلاقى معها بأى وجه .

٤٠ - ومن سورة المزمل

قوله تعالى (يا أيها المزمل) نادى الله تعالى نبيه بهذا الوصف ، تسجيلاً لحالته حين رجع إلى خديجة رضى الله عنها ، وفؤاده يرجف ، بعد إذ نزل عليه قوله (اقرأ باسم ربك) - وهو أول وحى يتلقاه - وقال « زملمونى ، والحكمة فى هذا النداء إيناسه ، وإزالة ما علق بقلبه من هيبة الوحى ، حتى قال لخديجة « لقد خشيت على نفسى ، كما ثبت فى الصحيحين . وأعقبه بالأمر بقيام الليل ، استعداداً لما يتتابع عليه من نزول الوحى (إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) .

ومن بدع التفاسير : قول الزمخشري : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً بالليل ، متزماً فى قطيفة ، فنبه ونودى بما يهجن إليه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفة ، واستعداداً للاستئصال فى النوم . كما يفعل من لا يهمل أمره ، ولا يعنيه شأن ، وفى أمثالهم :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورديا سعد الإبل

فدمه بالاشتغال بكسائه ، وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس . وأمر بأن يختار على المجهود التهجد ، وعلى التزمل التشم والتخفف للعبادة والمجاهدة فى سبيل الله .

قلت : قلده البيضاء من غير تبصر . وهو مخالف لسبب النزول ، وفيه سوء أدب فى حق الجناب النبوى الكريم . وإذا كان الله لم يناده باسمه المجرد - كما نادى غيره من الأنبياء - تكريماً له . فكيف يعقل أن يناديه بوصف يذمه به ؟! ساء الله الزمخشري على هذه الجرأة التى لم يقصدها فيما أحسب .

٤١ - ومن سورة المدثر

قوله تعالى (إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر) نذيراً حال من إحدى ، والضمير يعود على سقر . والمعنى : أن الله تعالى أقسم بالقمر والليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر ، على أن سقر إحدى الدواهي الكبر ، حال كونها نذيراً للبشر . وذكر نذيراً : أما لأنه بمعنى انذار ، وأما لأن سقر بمعنى العذاب ، وأما لأن نذيراً يستوى فيه المذكور والمؤنث .

وقيل في نذيراً : إنه تمييز لإحدى الكبر ، وقيل : مما دلت عليه الجملة ، أى كبرت سقر منذرة .

ومن بدع التفاسير - كما قال الزمخشري - : أن نذيراً حال من قوله في أول السورة (قم فأنذر) وهو اعراب في غاية البعد ، لا يليق إلا بالمختصرات الشديدة الاختصار ، مثل مختصر خليل في فقه المالكية ، والروض لابن المقرئ في فقه الشافعية ، ولب الأصول ، اختصار جمع الجوامع ، لزكريا الأنصاري . ففي هذه الكتب وأمثالها تجد بين المبتدأ وخبره صفحتين كاملتين ، وبين الحال وصاحبها ثلاث صحائف ، ونحو ذلك من التعقيدات التي صعبت العلم ، وصيرته أشبه بالرموز والألغاز .

٤٢ - ومن سورة الإنسان

قوله تعالى (انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا) قال الزمخشري : قرىء سلاسل غير منون ، وسلاسل بالتنوين . وفيه وجهان : أحدهما : أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق ، ويجرى الوصل مجرى الوقف .

والثاني : أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ، ومرن لسانه على صرف غير المنصرف .

قلت : هذا من بدع التفاسير . فإن القراءات السبعة ، بل العشرة ليست مبنية على اجتهاد القراء واختيارهم ، ولكنها منقولة نقل تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . حسبنا تقرر في علم الأصول ، وبسطه شيخ المقرئين الحافظ ابن الجزري في كتاب « النشر » ، (١) .

وتتوين سلاسل قرأ به نافع (٢) امام قراء أهل المدينة ، وهو أبعد الناس عن رواية الشعر . ووجهه : أنه لمناسبة قوله (وأغلا) ورعاية المناسبة ، لهجة عربية فصيحة ، ومنها : قوله عليه الصلاة والسلام - يخاطب النسوة اللاتي تبعن الجنازة - « ارجعن مأزورات غير مأجورات ، أصل مأزورات : موزورات ، لأنه من الوزر . لكن قيل بالهمزة لرعاية مأجورات وكثيرا ما تجد في كتب الأدب واللغة العربية توجيه صرف كلمة غير منصرفة بأنه لرعاية المناسبة .

قوله تعالى (عينا فيها تسمى سلسيلا) معنى سلسيلا : سلسلة الانحدار في الحلق ، سهلة المسامح . قال الزجاج : السلسيل في اللغة : صفة لما كان في غاية السلامة .

قال الزمخشري : وقد عزوا إلى علي رضي الله عنه : أن معناه : سل سبيلا إليها . وهذا غير مستقيم على ظاهره ، إلا أن يراد أن جملة قول القائل : سل سبيلا ، جعلت علما للعين . كما قيل : تأبط شرا ، وذري حبا . وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها ، إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح . وهو مع صحته في العربية تكلف وابتداع ، وعزوه إلى مثل علي عليه السلام أبدع . وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا منها إلى راحة النفس براح كأنها سلسيل .

(١) وبسطه أيضا العلامة المقرئ المحقق محمد بن عبد السلام الفاسي في كتاب « المحاذي » ، وهو كتاب في القراءات نفيس مخطوط ، رأيت في مكتبتنا .

(٢) هو نافع بن أبي نعيم ، توفي سنة ١٦٩ وهو غير نافع مولى ابن عمر ، وشيخ مالك .

قلت : في البيت جناس تام ، وهو من المحسنات اللفظية في علم البديع
وما نقل عن علي عليه السلام ، لم يصح عنه . ولا شك أنه من بدع التفاسير .

٤٣ - ومن سورة النبأ

قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له
الرحمن وقال صواباً) اختلف في الروح . ف قيل : جبريل عليه السلام وقيل :
ملك عظيم من الملائكة ، وقيل : صنف من الملائكة يقال لهم : الروح .
والآية تصور هول يوم القيامة ، وما يعترى الخلق من خشوع وخضوع
لمية الله تعالى فيه .

ومن بدع التفاسير : ما جاء عن وهب بن منبه ، قال : أشرف
ذو القرنين (١) على جبل قاف ، فرأى تحته جبلاً صغيراً . فقال له : ما أنت
قال : أنا قاف . قال : فما هذه الجبال حولك ؟ قال : هي عروقي ، وما من

(١) هذا الكلام مبني على أن ذا القرنين ملك الدنيا وطاف أرجاءها من
مشرقها إلى مغربها . وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد قال : ملك الدنيا أربعة :
مؤمنان : ذو القرنين وسليمان ، وكافران : نمرود وبختنصر . وهذا غير صحيح ، فلم
يملك الدنيا كلها أحد ، لا هؤلاء ولا غيرهم . ولقد كان ملك العباسيين زمن الرشيد
والمأمون أكبر من ملك ذي القرنين الذي كان ملكاً على فارس ، واتجه في سيره
إلى المغرب حتى وصل إلى أزمير ، وهناك في مكان عند الشاطئ منعزل وجد
الشمس تغرب في عين حمئة . والقوم الذين وجدهم هناك هم اليونان وكانوا أصحاب
حضارة وعلوم . ثم واصل سيره إلى جهة المشرق حتى بلغ الهند ووجد بعض
أصقاعها سهولاً منبسطة ليس فيها ما يستر أهلها من الشمس ، لا جبال ولا أشجار .
ثم واصل السير إلى جهة شمال فارس ، حتى بلغ أرمينيا فاشتكى إليه أهلها إفساد
يأجوج وماجوج وإغارتهم عليهم ، فبنى ردماً في ممر بين جبلين ، منعهم من الاغارة
عليهم طوله نحو مائة متر ، وعلوه نحو ثلاثين متراً ، وهو موجود في هذا المكان
إلى الآن . ويأجوج من الروس ، وماجوج من المنغول . وسمى ذو القرنين بهذا
الاسم ، لأنه كان في تاجه قرنان .

مدينة إلا وفيها عرق من عروقي . فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة ، أمرني ، فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض . فقال له : يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله . قال : إن شأن ربنا العظيم ، وإن ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام ، في خمسمائة من جبال ثلج ، يحطم بعضها بعضا ، لو لا هي لاحتترقت من حرجهم . قال : زدني . قال : إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترتعد فرائضه ، يخلق الله من كل رعدة ألف ملك . فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله تعالى ، منكسون رؤوسهم . فإذا أذن الله لهم في الكلام ، قالوا : لا إله إلا الله . وهو قوله تعالى : (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) .

قلت : أنعم بهذا التفسير الذي تلقاه ذو القرنين من الإمام جيل قاف !! وقد قاله قبل نزول القرآن !!! ثم أنعم بالعقول التي تقبل هذا التخريف ، وتكتبه في مؤلفاتها !!!

ولو قرأت رسالة الصلصلة في الزلزلة ، لعرفت كيف يقع بعض كبار العلماء في الخرافات ، معتقدين أنها نهاية التحقيق ؟! والكمال لله تعالى .

٤٤ - ومن سورة عبس

قوله تعالى (إنا صببنا الماء صبا) أي أنزلنا الغيث (ثم شققنا الأرض شقا) أي شققناها باخراج النبات منها .

قال الزمخشري : ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر ، وأسند الشق الى نفسه ، استناد الفعل الى السبب . قلت : هذا على عقيدته الاعتزالية في أن العبد يخلق أفعاله . وقد علق عليه ابن المنير بقوله : ما رأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه ! الله تعالى يقول : (ثم شققنا) فيضيف فعله إلى ذاته حقيقة ، كما أضاف بقية أفعاله من عند قوله (من نطفة خلقه) وهم جرا . والزمخشري يجعل الإضافة مجازية ، من باب إسناد الفعل إلى سببه .

وإذا جعل شق الأرض مضافاً إلى الحراث حقيقة ، وإلى الله مجازاً ، فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذى صب الماء ، وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة ؟ وهل هما إلا واحد ؟

قلت : أظن أن الزمخشري لو أدرك هذا الزمان الذى توصلوا فيه إلى إنزال المطر الصناعى لسقى الأرض وزرعها ، لأسند صب الماء إلى الحراث حقيقة . وبعد : فحمل آيات القرآن على عقيدة معينة ، أو مذهب معين ، هو — ولا شك — من بدع التفاسير .

٤٥ — ومن سورة الغاشية

قوله تعالى : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) المراد بالإبل : الحيوان المعروف .

ومن بدع التفاسير : أن الإبل هى السحاب .

قال الزمخشري : لعله لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب ، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين ، وغير ذلك . وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل كثيراً فى أشعارهم ، فجوز أن يراد به السحاب على طريق التشبيه والمجاز . قلت : هذا توجيه بعيد .

٤٦ — ومن سورة الفجر

قوله تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم) عطف بيان لعاد . إعلاما بأنهم عاد الأولى ، وإرم جدهم الأدنى ، ثم صار علماً للقبيلة (ذات العمد) صفة للقبيلة التى هى إرم . والمعنى : أنهم كانوا طوال الأجسام . تشبيهاً لهم بالأعمدة ، وقد شبهوا فى سورة القمر بأعجاز نخل منقعر ، وفى سورة الحاقة بأعجاز نخل خارية (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) فى البطش والقوة .

فقد حكى الله عنهم أنهم استكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا : من أشد منا قوة ؟

ومن بدع التفسير : أن شداد بن عاد ، كان ملكا قهر ملوك الدنيا ، فدانوا له ، وسمع بذكر الجنة ، فقال : أبني مثلها . فبنى إرم في بعض صحارى عدن وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة . بناها في ثلاثمائة سنة ، ولما تم بناؤها ، ذهب إليها بأهل مملكته . فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء ، فهلكوا . وهي المراد من الآية . وأن عبد الله بن قلابة ، خرج في طلب إبل له ، فوقع عليها ، فحمل ما قدر عليه مما ثم . وبلغ خبره معاوية ، فاستحضره ، فقص عليه ، فبعث إلى كعب ، فسأله . فقال : هي إرم ذات العماد . وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك ، أحمر أشقر ، قصير ، على حاجبه خال ، وعلى عنقه خال ، يخرج في طلب إبل له . ثم التفت ، فرأى ابن قلابة ، فقال : هذا والله ذلك الرجل .

قلت : أخرج الثعلبي من طريق عثمان الدارمي ، عن عبد الله بن صالح كاتب الليث ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن وهب بن منبه ، عن عبد الله بن قلابة ، أنه خرج في طلب إبل له شردت ، فذكر القصة السابقة . قال الحافظ : آثار الوضع عليه لا تثبت .

قلت : لا شك أن هذا كذب مفضوح ، يجب تنزيه كتب التفسير عنه ، لأنه يشوه جماله . والعجيب في هذا الكذب أن يعرف كعب صفة ابن قلابة بتلك الدقة المدهشة !!! كأنه حضر ولادته ! ولعله قرأ صفته في بعض الكتب التي تدل على الكنوز ، وتصف من يكون فتحها على يده !!!

٤٧ - ومن سورة الضحى

قوله تعالى (ألم يجدك يتيما ذوى) المعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم نشأ يتيما ، مات أبوه وهو جنين ، فأواه الله ورباه .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير أنه من قولهم : درة يتيمة ، وأن المعنى : ألم يجدك واحداً في قريش ، عديم النظير ؟ فأواك ! قلت : يجوز أن يكون من باب الإشارة . والمعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عديم النظير في قريش ، يبغض الأصنام ، وهم يعبدونها ، ويحتجب قبائح الجاهلية ، وهم منغمسون فيها . وينشد معالي الأمور ، وهم يحبون منسأفها . فهو درة يتيمة ، وسط معادن غير كريمة ، وأشق شيء على الشخص وجوده بين ناس غير موافقين . فأواه الله إليه ، وآنسه بوحيه .

ومثل هذا من الإشارة يقال - في قوله - (ووجدك ضالاً فهدى) أى وجدك محباً لتوحيده ، مفكراً فيما يعرفك به ، ويجمعك عليه . فهداك به إليه . وعرفك نفسه ، فجمعك عليه .

(ووجدك عائلاً فأغنى) أى وجدك فقيراً إلى مزيد فضله ، متشوقاً إلى وصله . فأغناك بما أولاك ، ووصلك إلى حضرة وأدناك .

٤٨ - ومن سورة ألم نشرح

قوله تعالى . (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء .

أو : فإذا فرغت من الغزو ، فاجتهد في العبادة .

أو : فإذا فرغت من دنياك ، فانصب في صلاتك .

قال الزمخشري : ومن البدع : ما روى عن بعض الرافضة . أنه قرأ

فانصب ، بكسر الصاد ، أى فانصب عليا للإمامة . ولو صح هذا للرافضي
لصح للناصبي أن يقرأ هكذا . ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض
على وعداوته .

٤٩ - ومن سورة قريش

قوله تعالى (وآمنهم من خوف) معنى الآية : أن الله تعالى آمن قريشا
من خوف أصحاب الفيل ، ومن خوف التخطف في بلدهم .

قال الزمخشري : ومن بدع التفاسير . وآمنهم من خوف : من أن
تكون الخلافة في غيرهم .

قلت : لاشك أن هذا تفسير مبتدع . لأن اللفظ لا يدل عليه ،
والسياق لا يقتضيه .

ومن غرائب القراءات : ما حكاه أيضا بقوله : وقرىء (وآمنهم من
خوف) باخفاء النون (١) .

٥٠ - ومن سورة الفلق

قوله تعالى (من شر ما خلق) قرأه بعض الغالين في الاعتزال ، من شر
بتنوين شر ، وجعل ما نافية . والمعنى : قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلقه ،
بل خلقه فاعله . بناء على قولهم . ان العبد يخلق أفعاله . وهذا تحريف آثم ،
يهوى بصاحبه في النار ، نسأل الله السلامة والعافية .

(١) وجه الغرابة أن الحاء من حروف الحلق الستة ، وحكم النون معها
هو الإظهار .

خاتمة

تشتمل على مسائل ثلاثة :

— ١ —

عليت مما عرضناه من نماذج « بدع التفاسير ، أنها لا تخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية ، أو منافية لإعرابها ، أو منافرة لسياق الكلام ، أو غير متلاقية مع سبب النزول ، أو مصادمة للدليل . ومن ثم كانت بدعيتها ، ووجب إبعادها عن كتب التفسير ، وتنقيته منها ، وهى نوع من التفسير ، فتحنا أبوابه ، وبيننا أسبابه ، وكشفنا عما غمض منه حجاب . فمن أراد أن يكتب فيه ، فليتهج منهجنا ، وليقتف مامهدناه ، وليبئن على ما أسسناه ، وليفرع على ما أصلناه ، وإنا نحمد الله على أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والمرجو من اطلع عليه من أولى العلم ، أن ينضى عما عسى أن يكون فيه من خطأ أو سهو . فإن الخطأ والسهو ، طبيعة فى الإنسان . لاسيما وقد كتبناه فى ظروف توالى علينا بالهموم والأكدار ، وقضت بتشريد العقل وتشيت الفكر ، مع عدم الصديق الموافق ، والزمان المواتى ، بما يتعذر مع وجود بعضه إنشاء خطاب عادى ، فضلا عن تأليف كتاب مستقل ، فى موضوع مبتكر ، لم يوجد منه إلا أمثلة . ذكرت فى تفسير الكشاف ، على سبيل الاستطراف . والله المسئول أن يبدل همومنا سرورا ، وأكدارنا صفوا وحبورا . وأن يديم علينا نعمة العقل ، وأن يجمع فكرنا على التأمل فى آياته ، إنه قريب مجيب .

من أنواع التفسير . التفسير الإشاري الذي يسلكه الصوفية في تفاسيرهم وذلك أنهم حين يتكلمون على آية من القرآن ، يقرؤون تفسيرها اللفظي كما ذكره المفسرون ، ويأخذون منها بعد ذلك معنى إشاريا يتصل بما يفيضون فيه من مقامات وأحوال ، ومعارف وأسرار .

وقد ذكرنا مثالا لذلك في سورة الضحى . وهو بالنسبة للتفسير اللفظي كنسبة المفهوم إلى المنطوق ، فكما أن المنطوق هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق . مثل وجوب الصلاة المدلول عليه بلفظ (أقيموا الصلاة) كذلك التفسير اللفظي للآية ، هو ما أفاده نظمها ، واقتضاه سياقها ، وكما أن المفهوم هو ما دل عليه اللفظ لافي محل النطق ، مثل تحريم الضرب للوالدين المدلول عليه بقوله (فلا تقل لها أف) لكن لافي محل النطق ، لأنه غير منطوق به . كذلك التفسير الإشاري هو ما استفيد من الآية لا بطريق لفظها وعبارتها .

ودلالة الإشارة معتبرة عند علماء الأصول ، فانهم لما تكلموا على ألفاظ الكتاب والسنة ، وقسموا دلالتها إلى نوعين : منطوق ، ومفهوم . قسموا دلالة المنطوق إلى دلالة اقتضاء ، ودلالة إشارة . ومثلوا الأخيرة بقوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) وقالوا : دلت الآية بطريق المنطوق على إحلال الجماع طول ليلة الصيام . ويؤخذ منها بطريق الإشارة صحة صوم من أصبح جنباً^(١) وأخذ العلماء من قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) - بطريق الإشارة - أن الإنسان لو وجد ابنه رقيقا ، فاشتراه عتق عليه بمجرد الشراء ، لأن الولدية

(١) لأن الليلة تصدق بكل جزء من أجزائها . فمن جامع في آخر جزء منها بحيث يكون ملاصقا لأذان الفجر . لا يستطيع أن يفتسل إلا بعد الفجر فيمضي عليه جزء من النهار وهو جنب ، فمن هنا كانت الآية تشير إلى صحة صومه .

والعبودية لالتجتماعان . فكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القرآن والسنة بطريق الإشارة . أحكاما تشريعية ، كذلك استخرج الصوفية بطريقها علوما ربانية .

ومن استعمل التفسير الإشاري ، من العلماء غير الصوفية : النيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش تفسير الطبري واسماعيل حقي في تفسيره «روح البيان» .

والألوسي في تفسيره «روح المعاني» . وهذان التفسيران مطبوعان أيضا . لكن الصوفية في هذا الباب أمكن ، وعلى الإشارات الدقيقة أغوص ولهم تفاسير تختلف باختلاف عباراتهم بين عويصة مستغلقة ، مثل «عرائس البيان» للورتجي ، و«إعجاز البيان» في تفسير فاتحة القرآن ، للقونوي ، ربيب ابن العربي الحاتمي وتلميذه . وبين واضحة محكمة ، كتفسير النخجواني ، ولم أرفها أوضح عبارة ، وأقرب فهما ، وأحسن سياقاً ، وأسلس عذوبة من كتاب «البحر المديد» في تفسير القرآن المجيد ، لجدنا من قبل الأم ، الإمام العلامة الولي الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه ، فإنه يعتبر - بحق - لسان الصوفية والمعبر عنهم في هذا الفن يذكر الآية ، ويذكر ما فيها من وجوه الإعراب ، ويتبع ذلك بذكر المعنى - ومصادره تفسير البيضاوي وتفسير ابن جزى وحاشية العارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي على تفسير الجلالين وما يفتح الله به عليه - ثم يذكر المعنى الإشاري ، بعبارة سلسلة ، ويبان عذب . حتى يشعر القارئ أن الآية لم تنزل إلا في هذا المعنى ، ولم يقصد منها سواه .

وكتب على المقدمة الآجرومية شرحاً بهذه الطريقة أيضا . يذكر عبارة المؤلف ، ويشرحها بمقتضى علم النحو ، ويتبعها بالمعنى الإشاري ، فيندش القارئ لحسن تنزيله عبارة المتن على المعاني الصوفية ، ويخيل إليه أن ابن آجروم ، ألف مقدمته في علم التصوف .

وللعارف أبي الحسن علي بن ميمون البخاري - شيخ ابن عراق - شرح
على الأجرومية بالتصوف أيضا ، اطلعت عليه . لكنه عويص مستغلق ،
يتعب القارئ في فهمه .

وقد كتب بعض المعاصرين من المتصوفة شرحا على منظومة
عبد الواحد بن عاشر في فقه المالكية ، بطريق التصوف ، مقلدا خطة
ابن عجيبة ، اطلعت عليه ، وهو مطبوع . لكن بينهما بون شاسع ،
فليست النأخة المأجورة كالثكل ، ولا الحاكي مثل الذائق .

والمقصود : أن الصوفية ، لهم في فهم القرآن والسنة تليحات
وإشارات ، تدل على إلهامات إلهية ، وتنزلات قدسية .

وقد كنت في بداية طلبي للعلم ، أقرأ شرح العارف أبي محمد بن
أبي حمزة على مختصره للبخاري ، على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي
الله عنه . فكان يلفت نظري إلى ما فيه من دقائق الاستنباطات التي
لم يتفطن لها شراح البخاري قبله ، وهي بما ألهمه الله إياها ، وفتح بها
عليه . ويقول لي : إن الحافظ ابن حجر ، ينقل عنه كثيرا منها في
فتح الباري ، ويحليه بلقب « العارف » مع أنه ليس من أنصار
الصوفية .

وما ذاك إلا لأنه يقدر عليه وفهمه ، ويعترف بما فتح الله به عليه وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

— ٣ —

أردت أن أتكلم عن التفاسير المشهورة المتداولة التي اطلعت عليها ،
وأبين خصائص كل تفسير منها ، حسبما يظهر لي ، غير متقيد برأي ،
ولا متأثر بعقيدة معينة . متحررا للصواب فيما أقرره وأبديه ،
والله الموفق .

١ - تفسير الطبري : تفسير جليل القدر ، يعتبر من التفاسير التي
تغنى بالتفسير المأثور . مثل تفسير عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر
وأبي الشيخ ابن حبان (١) وابن مردويه ، ونحوهم ممن يروون بأسانيدهم
ما ورد في تفسير الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم - وهو قليل - وعن
الصحابة الذين تكلموا في التفسير ، مثل علي وابن عباس وابن مسعود
وأبي بن كعب وعبد الله بن عمرو . وعن التابعين كذلك ، مثل سعيد بن
جبير وعكرمة ومجاهد وطاوس والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة ،
وأبي مالك الطائي والباقر وعطاء وعلقمة وعبيد بن عمير والشعبي ،
وزيد بن أسلم ، والسدي الكبير . غير أن تفسير الطبري يمتاز
بثلاثة أشياء :

(١) ذكر اللغات ، ووجوه الأعراب ، والاستشهاد بأشعار العرب .

(١) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية ، واسمه عبد الله ابن جعفر بن
حيان الأصهباني ، شيخ أبي نعيم . من مؤلفاته كتاب العظمة في مكتبتنا مختصره
في مجلد ، وكتاب النوادر والتنف ، وكتاب التوبيخ علفت منها فوائد ،
وهما في مكتبتنا وكتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، طبع بتعليقاتي عليه
وهو غير أبي حاتم محمد بن حاتم بن حبان بكسر الحاء المهملة وتشديد التحتية
الموحدة ، السبتي . له كتاب الضعفاء ، اطلمت عليه وهو في مجلد متوسط ،
وكتاب الثقات ، اطلمت على نصف ترتيبه في مجلد ضخيم للحافظ الهيثمي . رتبته
على حروف المعجم . وكتاب الصحيح اطلمت على ترتيبه لابن بلبان . وانتخبت
منه أحاديث في نزول عيسى وغيره . طبعت منه قطعة ، وكتاب روضة العقلاء ،
وهو مطبوع . وغير ذلك . وفي كتب الحديث المطبوعة تصحيف تواطأ عليه
المصححون ، وهو كتابة أبي الشيخ ابن حبان بالباء الموحدة ، حتى كتاب الترغيب
والترهيب الذي قام الشيخ مصطفى عمارة بضبطه وتصحيحه ، فيه هذا التصحيف
من أول الكتاب إلى آخره وفيه تصحيفات أخرى كثيرة ، بل فيه لحن في
تشكيل الأحاديث .

(٢) الترجيح بين الأقوال المختلفة .

(٣) إبداء رأيه في تفسير الآية بصراحة واستقلال ، لا يتقيد إلا بالدليل من الكتاب أو السنة أو لغة العرب .

وإن كان لي عليه انتقاد ، فهو على ترجيحه بين القراءات ، وتضعيف بعضها . وهذا منه يقتضى أنه يرى القراءات موكولة إلى رأى القراء ، واجتهادهم فيما يختارونه من لغات العرب ولهجاتهم . والصواب : أن القراءات موقوفة على النقل ، وحيث تواترت قراءة عن النبي صلى الله عليه وسلم كقراءة نافع وحمة وابن كثير وغيرهم من القراء المشهورين ، لم يجوز تضعيفها ، لأن القراءة سنة متبعة . نعم يجوز أن يكون فيها فصيح وأفصح ، وبليغ وأبلغ .

أما اعتياده على ما ينقله عن كتب الأحبار وروهب بن منبه وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب ، فذاك انتقاد يتوجه على أغلب كتب التفسير . وإني لشديد العجب من علمائنا المتقدمين الذين اعتمدوا على الإسرائيليات في التفسير وغيره ناسين أن الله تعالى أخبر عن أهل الكتاب أنهم حرقوا كتبهم وبدلوا فيها !! وأن رسولنا صلى الله عليه وسلم حذرنا من تصديقهم !!

وأعجب من هذا أن تلك الإسرائيليات تغلغلت في كتب العلماء ، وتسلطت على عقولهم حتى صارت عندهم عقيدة !! على أساسها يفهمون القرآن ! ويتفاسلها يفسرون ما غرض من آياته ! فابتلاء أيوب عليه السلام لم يفسر إلا بما جاء عن أهل الكتاب . وكذلك فتنة داود وسليمان ، وهم يوسف عليهم السلام . وفي القرآن دلالة قاطعة على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام ، وكذلك مناسك الحج وشعائره ، تدل على ذلك أيضا .

ومع هذا فإن كثيراً من العلماء منهم الطبري ، ذهبوا إلى أن الذبيح
إسحاق عليه السلام . لا دليل من الكتاب أو السنة ، ولكن اعتماداً على
كذب أهل الكتاب وتحريفهم . والحافظ السيوطي كتب رسالة في تعيين
الذبيح ، حكى فيها القواين ، وذكر أحاديث تؤيد الفريقين - وهي أحاديث
واهية لا تساوي سماعها - ثم اختار التوقف عن تعيين الذبيح ، لتعارض
الأدلة !! (١) .

فانظر إلى أي حد سيطرت الإسرائيليات على عقول علمائنا وتفكيرهم ؟
ومثل هذا ما حكوه عن هاروت وماروت ، وشداد بن عاد ، وبناته
إرم ذات العماد ، وطول عوج بن عتق ، وغير ذلك مما شوه كتب علمائنا ،
وكان ثغرة نفذ منها الطاعنون الحاقدون .

٢ - تفسير البغوى : يعتبر من تفاسير السلف ، لأن مؤلفه من أهل
الحديث ، كتب تفسيره على طريقتهم . يذكر معنى الآية ، ويؤيده بحديث
مرفوع يسنده ، أو بقول صحابي أو تابعي من علماء التفسير . وقد يحكى
الأقوال ، ويرجع بعضها لدليل يبيده ، ويميل في الصفات المتشابهة إلى
تفويض علمها لله تعالى ، مع اثباتها كما جاءت في القرآن .

٣ - تفسير النيسابورى : تفسير جليل ، يشتمل على فوائد
وتحقيقات ، يحكى القراءات المشهورة ، ويوجه ما يحتاج منها إلى توجيه .
ويميل إلى تأويل المتشابه ، على طريقة المتأخرين . ثم يذكر التفسير
الإشارى ، فى ختام السورة أو الجزء . وبالجملة هو تفسير مفيد ،
لا يستغنى عنه .

(١) يعجبني فى هذا المقام ما جاء عن الأصمعى ، قال : سألت أبا عمرو بن العلاء
عن الذبيح ؟ فقال : يا أصمعى ! أين عزب عنك عقلك ؟ ومتى كان إسحق بمكة ؟
وإنما كان اسمعيل بمكة ، وهو الذى بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة .

٤ - تفسير الزمخشري : سباه الكشاف ، وهو كشاف حقيقة كشف النقاب ، عن وجوه إعجاز القرآن ، وأبدع في بيان نكتها ما شاء الله له أن يبدع . خصوصا النصف الأول منه ، فقد اعتراه في النصف الثاني ملال ، وفسر ما في القرآن من الآيات المتشابهة في الصفات وغيرها بوجوه من المجاز أو الاستعارة التخيلية على طريقة علماء البيان . وممكنه رسوخه في هذا العلم ، من تطبيق ذلك في يسر وسهولة ، من غير تعسف ولا استكراه . مع ما يبديه أحيانا من تناسب بين جمل من الآيات حتى تبدو للقارى واضحة الترابط ، آخذا بعضها بحجزة بعض . ويمكن أن نقول غير مسرفين : كل من كتب في التفسير بعده - من الناحية البلاغية - فهو عال عليه . لكن تنقد عليه أشياء :

(١) محاولته تطبيق آيات القرآن على مذهبه الاعتزالي ، كما سبق التنبيه عليه .

(٢) ولعه بحكاية القراءات الشاذة ، وتكلف توجيهها بغرائب اللغة ونوادير الإعراب . وقد يمدح بعضها بأن القارىء بها من أفصح الناس ، وأمضغهم للشيخ والقيصوم ، يكفى بذلك عن خلوص عريته ، وسلامتها من أى لكنة .

(٣) تهجمه على بعض القراءات المتواترة (١) ، أو توجيهه لبعضها بما يفيد أن القراءة مسألة اجتهادية . فمن الأول ما تفوه به عن قراءة ابن كثير عند قوله تعالى (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم)

(١) ولما تسلم الفقيه ابن حجر الهيتمي في الزواج على قوله تعالى (قل فيها إثم كبير) ووجه قراءتي كبير وكثير ، قال : وما يجب على المتسكلم في توجيه القراءات أن يوجه كلا من غير تعرض لتضعيف قراءة متواترة ، وما وقع من ذلك للزمخشري وغيره في مواضع ، فهو من زللهم وخطئهم ، اهـ .

ومن الثاني ما ذكره في (سلاسل وأغلا لا) وللعلامة الطيبي عليه حاشية كبيرة ممتعة ، تقع في نحو ستة مجلدات ، كثيرة الفوائد والتحقيقات ، فيها مناقشات قيمة ، وتمحيصات لأراء الزمخشري .

وكان الطيبي مع تقدمه في علوم البلاغة والعربية والكلام والمنطق ذا خبرة جيدة بالحديث ، فعزا معظم أحاديث الكشف ، عزوا يدل على اطلاعه ومشاركته . وهذه الحاشية جدرة بأن تطبع ، وقد كان سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه معجبا بها وهو الذي لفت نظري إليها .

٥ - تفسير الرازي : تفسير قيم يعنى بتحرير المسائل الكلامية وهذا منه الذي برز فيه . وقد قيل عنه : فيه كل شيء إلا التفسير . وفي هذا القول غلو ومبالغة . وإلا فهو من جهة الكلام على الآيات ، وما فيها من اللغات والفوائد ، لا يقل عن أى تفسير من التفاسير المهمة ، إن لم يفق عليه . وإن كان يؤخذ عليه شيء ، فهو أنه يقصر في بعض الآيات أو السور تقصيرا لا يليق بمثله . كما يؤخذ عليه أيضا أنه قد يقرر في الآية معنى ، صرح الحديث فيها بخلافه ، وعذره في هذا أنه لا يعرف علم الحديث (١) .

٦ - تفسير القرطبي : تفسير عظيم ، عني ببيان الأحكام المستخرجة من الآيات ، مع ذكر الأحاديث الواردة في الموضوع ، وبيان اللغات والإعراب الذي يتوقف عليه فهم الآية ، وتحليل نظمها ، ولا عيب فيه إلا انسياقه مع الإسرائيليات في بعض الأحيان .

٧ - تفسير الخازن . مختصر من تفسير البغوي ، وهو كاف في فهم القرآن . يذكر الأحكام والأحاديث منسوبة إلى مخرجها من أصحاب الكتب

(١) كما أنه يتهجم على بعض علماء الحديث أحيانا . فقد تهجم على ابن خزيمة ، وقال - عن كتاب التوحيد له - كلمة شديدة ، وذلك عند تفسير قوله تعالى (ليس كمثل شيء) في سورة الشورى .

السته ، أو البغوى ان لم يجد الحديث عند غيره . وعيبه الوحيد : ذكر القصص المأخوذة عن الإسرائيليات . ولو حذفت منه تلك القصص ، لكان تفسيراً فى غاية الجودة .

٨ - تفسير البيضاوى مختصر من الكشاف ، غير أنه أعرض عن حكاية القراءات الشاذة إلا فى القليل . والتزم مذهب الأشعرية ، وقد ينساق مع الزمخشري أحياناً تقليداً من غير تمحيص ، وفيه تحقيقات رائعة ، وعليه حواشى للقونوى وزاده والشهاب الخفاجى ، فيها بحوث وتحقيقات ، والأخيرة أوسعها وأكثرها فوائد .

٩ - تفسير أبى السعود (١) .

١٠ - تفسير الذنى ، مختصران من تفسير الكشاف ، مع استبدال آراء الأشعرية بآراء المعتزلة . وفيهما مع ذلك تحقيقات نفيسة .

١١ - تفسير ابن كثير . تفسير سلفى متشدد فى سلفيته ، يعنى بذكر الأحاديث الواردة فى موضوع الآية ، مع بيان رتبها غالباً . ويذكر أقوال الصحابة والتابعين ، وينبذ على الإسرائيليات . وقد يقصر فى بعض الآيات ، فلا يستوفى الكلام عليها كما ينبغى ، ومن تشدده فى سلفيته : أنه جعل قوله تعالى (وهو الله فى السموات) جملة مستقلة ، وقوله تعالى (وفى الأرض يعلم سركم وجهركم) جملة مستأنفة ، لبيان شمول علم الله لجميع المخلوقات ، وحكى الإجماع على أن الله فى السماء ، ووسم من قال خلاف ذلك بأنه من الحشوية ، وهو متأثر بابن تيمية .

١٢ - تفسير أبى حيان الأندلسى ، تفسير جميل جداً ، غنى بحكاية القراءات المشهورة وتوجيهها ، مع بيان الإعراب بياباً شافياً ، ومناقشة الزمخشري فيما أخطأ فيه من ذلك . ويتحرى التنبيه على الإسرائيليات .

(١) للشيخ عليش عليه حاشية فى تسعة أجزاء اطلعت عليها وهى بخطوطه

مع اشتماله على تحقیقات نفیسة ، وقد تعرض لابن تیمیة ، وذكر أنه اغتر به أول الأمر فدحه ، ثم تبين له خلاف ذلك ، فذمه وخط عليه ، وذكر بعض عيوبه . لكن القائمين على طبع التفسیر حذفوا منه ذم ابن تیمیة ، غیرة منهم علیه (١) .

١٣ - ومن مصادر أبی حیان : تفسیر ابن عطیة وهو تفسیر مهم جدا . طبعت مقدمته ، وهی تدل على علو قدره .

١٤ - تفسیر البرهان البقاعی ، تفسیر جمیل جدا ، فیه بحوث قیمة ، وأهم ما یمتاز به التزام بیان المناسبة بین السور والآیات ، وهذا شیء لم یسبق الیه أحد ، وقد وفقنی الله تعالى إلى تألیف کتاب ینت فیه المناسبة بین سور القرآن ، وأرجو أن یوفقنی إلى تألیف کتاب آخر ، فی بیان المناسبة بین آیاته .

١٥ - تفسیر الخطیب الشریینی ، تفسیر جید ، یشتمل على فوائد ونفائس ، وما یمتاز به أنه فسر كل بسملة فی القرآن ، تفسیرا غیر تفسیر سابقتها .

١٦ - تفسیر الطبرسی الشیعی ، تفسیر جمیل جدا ، یتکلم على الإعراب وتوجیه القراءات بما یدل على اطلاع فی علوم اللغة العربیة ، وكلامه على معانی الآیات ، یدل على تحقیقه ، ودقة نظره ، غیر أنه يرجح آراء شیعیة ، كما یفعل الزمخشری فی ترجیح آرائه الاعتزالیة .

١٧ - تفسیر الشعالی ، مختصر من تفسیر ابن عطیة ، وفیه فوائد وتحقیقات ، بحوث یکفی من یقتصر علیه .

(١) كما حذف المرحوم أمین الحانجی - حین طبع المیزان للذهبی - کلمة على من أثر وقع فی ترجمة ابن أبی داود ، وکتب بدلها کلمة فلان . مع أن الأثر غیر صحیح .

١٨ - تفسير ابن جزى ، تفسير مختصر مفيد ، يحكى أصح الأقوال ويذكر أصح الأعاريب ، كتب فى أوله مقدمة من علم التفسير ، فى غاية الإفادة .

١٩ - تفسير الجلالين . تفسير مختصر جداً ، لا يفيد المبتدى ، ولا يحتاج إليه المنتهى ، ينساق مع الإسرائيليات ، ولا يحرر موضوعاً ، كما لا يكشف عن نكتة فى آية .

٢٠ - وللعارف أبى زيد عبد الرحمن الفاسى عليه حاشية ، فيها تحقيقات مفيدة ، وهو أول من كتب عليه حاشية .

٢١ - ثم كتب الشيخ الجمل حاشية كبيرة ، تعتبر تشبهاً له بما تنقله فى معظم الآيات ، عن كثير من كتب التفاسير ما يوضح المعنى ، ويبين المراد .

٢٢ - ثم كتب تلميذه العارف الصاوى حاشية فيها تحقيقات رائعة ، إلا أنه يعتمد الإسرائيليات .

٢٣ - أما حاشية الجالين على الجلالين ، فلا بأس بها فى الجملة ، ولا تخلو من فوائد .

٢٤ - تفسير السيوطى ، اسمه الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، يذكر فى كل آية ما ورد فيها من الأحاديث والآثار ، مستوعباً فى ذلك غاية الاستيعاب ، غير أنه لا يبين رتبة الأحاديث إلا قليلاً ، ومع كونه التزم أن لا يذكر فيه حديثاً واحداً أو موضوعاً ، لم يف بما التزم به ، والكمال لله تعالى .

٢٥ - تفسير ابن عجيبة ، سبق الكلام عليه .

٢٦ - تفسير روح البيان . تفسير جيد ، أحسن تلخيص ما فى البضاوى وحواشيه وأبى السعود من نكات وفوائد ، مع إضافة بعض الإشارات الصوفية . وبعد تفسير الآية باللغة العربية ، يذكر تفسيرها باللغة التركية ، وهذا عمل مفيد .

٢٧ - تفسير الشوكاني . تفسير وسط بين الإيجاز والإطناب ، يعنى ببيان المفردات اللغوية ، ويتكلم على معنى الآية جملة . مع الإشارة إلى القراءات المشهورة ، وذكر الأحاديث والآثار ، منقولة من تفسير الدر المنثور ، فهو تفسير جيد مفيد .

٢٨ - تفسير الفوتى ، تفسير مستمد من البيضاوى . لكنه سهل مبسوط العبارة ، ولا يخلو من فوائد . وهو مخطوط لم يطبع .

٢٩ - تفسير الميرغنى . تفسير مختصر ، لكنه مفيد ، سهل العبارة ، خال من الاصطلاحات العلمية المعقدة ، يستفيد منه المبتدى ومن فى حكمة ، لوضوح أسلوبه .

٣٠ - تفسير الألوسى . تفسير مهم بديع ، لخص مافى الكشف وحاشية الشهاب على البيضاوى من نكات يانية ، ومباحث فنية . كما لخص مافى تفسير الرازى من بحوث عقلية وكلامية ، ومزج ذلك كله بأسلوبه الأدبى البليغ . وأضاف إليه مانقله عن تفسير السيوطى من الأحاديث والآثار ، وما ذكره من بعض الإشارات الصوفية ، فكان تفسيراً منقطع النظير .

٣١ - تفسير القنسوجى ملك بهوبال بالهند . تفسير ملخص من تفسير ابن كثير ، وهو سافى أيضاً على طريقته ، ولا يخلو من نكات وفوائد .

٣٢ - تفسير القاسمى . تفسير لا بأس به ، يميل إلى وضوح العبارة ، وتبسيط البحث الذى يتعرض له . مع جنوح إلى الاجتهاد والاستقلال فى رأى ، وقد ينساق مع الاسرائيليات أحياناً . وحين أريد تقديمه إلى المطبعة . أشرف على طبعة شخص فى عقله شيء . زرتة مرة بيته ، فأطلعنى على نسخة التفسير بخط القاسمى ، سلمها إليه ابنه ليشراف على طبعتها . فإذا هو قد ضرب بالقلم الأحمر على بحث النسخ الذى ذكره المؤلف عند قوله تعالى (سيقول

السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) فسألته عن سبب شطب هذا البحث ؟ فقال : لأنه لا يليق بمقام القاسمي الذي كان يسميه الشيخ رشيد رضا : عالم الشام . فحذفته وحذفت ما كان من قبيله عديم الفائدة ، قليل الجدوى . قلت له لكن هذا ينافي الأمانة العلمية .

فقال : التفسير لم يطبع قبل الآن ، ولا أحد يعرف ما حذف منه ، ونجل المفسر - وهو نقيب المحامين بدمشق - أباح لي التصرف فيه حسبما أراه مصلحة ، وهذه البحوث لا تليق بالقاسمي وبشهرته العلمية . قلت له : أتركها كما كتبها المؤلف ، ، وعلق عليها برأيك . فإني ، وأصر على حذفها ، وبناء على هذا فالتفسير المذكور ناقص في عدة مواضع ، وهذه خيانة علمية ، ما كان ينبغي أن تحصل (١) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم تبيضه صباح يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية .

هذا وأنا الفقير إلى عفو الله ورحمته أبو الفضل عبد الله ابن الإمام الحافظ المجتهد . القطب الرباني شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن الولي الكبير السيد الصديق ابن العلامة الكبير والقطب الشهير السيد أحمد ابن العارف بالله السيد محمد ابن السيد قاسم ابن السيد محمد ابن الولي الشهير السيد عبد المؤمن ابن السيد محمد ابن السيد عبد المؤمن ابن القطب الكبير السيد

(١) لم أذكر تفسير الشيخ طنطاوي جوهرى المسمى « جواهر القرآن » ، لأنه ليس تفسيراً بالمعنى المفهوم من لفظ التفسير ، وإنما حشر فيه حقائق علمية عن الفلك والنبات والحيوان ، ولم يراع ربطها بالفاظ القرآن وآياته ، فجاءت مبعثرة غير متناسقة . وقد اجتمعت به فوجدته بسيطاً في تفكيره ، وكان نباتياً كالمعري وأخبرته بأن تفسيره متداول عندنا بالمغرب . فأبدى لي عجزه من أن يكون في المغرب ناس يفهمون كلامه !! ثم وجدت تلميذه الأستاذ حنفي أحمد أخذ عليه مثل هذا في مقدمة كتابه « التفسير العلى للآيات الكونية في القرآن » ،

عبد المؤمن صاحب الكرامات في حياته وبعد وفاته ابن السيد الحسن ابن السيد محمد ابن السيد عبد الله ابن السيد احمد ابن السيد عبد الله ابن السيد عيسى ابن السيد سعيد ابن السيد مسعود ابن السيد الفضيل ابن السيد علي ابن السيد عمر ابن السيد العربي ابن السيد علّال ابن السيد موسى ابن السيد أحمد ابن السيد داود ابن مولانا ادريس دفين فاس ويسمى ادريس الأزهر ابن مولانا ادريس الأكبر ، مؤسس دولة الإدارة بالمغرب ، وناشر لواء الاسلام في أصقاعه ، ابن الإمام السيد عبد الله المحسن - أحد شيوخ الإمام مالك - ابن السيد الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا علي وفاطمة الزهراء عليهم السلام .

والدتي : هي التقية الصالحة العفيفة القائنة الطاهرة الشريفة الكريمة الخلق ، السخية اليد (١) بنت العارف بالله ، التالى لكتاب الله المكثّر ذكر الله السيد عبد الحفيظ ابن العلامة الولي الكبير السيد أحمد - مالك طريق التصوف على جدى سيدى الحاج أحمد ، وفتح له على يديه ، كما أن جدى أخذ عنه علم المنطق - ابن الإمام العلامة الولي الشهير السيد أحمد بن عجيبة الحسنى ، صاحب التفسير المشار إليه . وقد ذكر نسبه في فهرسته . فأنا اتصل بالحسن بن علي عليهما السلام ، من جهة الأب والام ، والحمد لله .

(١) كانت لها فراسة حادة ، ونظر صائب . فهي تنظر بنور الله كما جاء في الحديث . توفيت شهيدة بجمع ، ليلة الاثنين السابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٤٠ هـ ودفنت بالزاوية الصديقية . ولما توفي سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه يوم الأربعاء سادس شوال سنة ١٣٥٤ هـ أردنا أن ننقلها لتدفن بجانبه ، وفتحنا قبرها ونزلت فيه أنا وغالى السيد احمد بن عبد الحفيظ ، فوجدنا جسمها سليما ، وكفننها سليم كأنها دفنت في تلك الساعة . وقد صرح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله : المبطون شهيد ، والفريق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والمطعون شهيد ، وصاحب الحريق =

ولدت بمدينة طنجة ، وهي أحسن مدن المغرب موقعا ، وأعد لها مناخا ، وأبهجها منظرا . وأصل إقامة عائلتنا بقبيلة بني منصور من قبائل غمارة - بضم الغين - في قرية تحكان منها بضم التاء وسكون الجيم - بيتنا وزاويتنا وضوايح أجدادنا . ولنا الزعامة الدينية في قبائل غمارة كلها . لا يقطعون في أمر من الأمور التي تهمهم في مصالحهم إلا بعد الرجوع إلينا .

ولما خطب مولانا الإمام الوالد رضى الله عنه بنت خاله السيد عبد الحفيظ - وكان مقبلا بطنجة - شرط عليه الإقامة بها . فوافقه وأقام بطنجة ، وبنى بها زاوية كبيرة ، درس فيها التفسير ، كما درس في الجامع الكبير بطنجة صحيح البخاري ، ومختصر خليل في فقه المالكية ، وألفية ابن مالك في علوم العربية ، وهمزية . البوصيري في السيرة النبوية ، وغير ذلك . وأقام للعلم والتصوف سوقا رائجة ، وتخرج به علماء ، كان منهم مدرسون وقضاة وغيرهم ، وانتشر بسببه في أرجاء البلدة ذكر الله (١) .

في هذا البيت - بيت العلم والصلاح والولاية - نشأت ، وبلبان الفضل غذيت . حفظت القرآن بقراءة ورش ، وأتقنت رسمه ، حتى كان يرجع إليّ فيه كبار القراء . ثم شرعت في حفظ بعض المتون كالفية ابن مالك في العربية ، ومختصر خليل في الفقه ، والأربعين النووية ، وبلوغ المرام في الحديث .

= شهيد . والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد « يقال : ماتت المرأة بجمع - مثلثة الجيم - إذا ماتت بالنفاس وولدها في بطنها .

(١) وأقام بها قبله عمنا العلامة الولي الصالح السيد القاضي ونشر العلم والطريق لكن على نطاق ضيق ، وكان كثير الأسقام ، توفي سريعا ودفن بالزاوية الحراقية بشارع دار البارود ، وعليه ضريح يزار . كان صالحا تقيا ، له كرامات . وكان أسن من سيدنا الوالد رحمهما الله ورضى عنهما .

ثم حضرت المقدمة الآجرومية بشرح الأزهري على ابن عمنا الفقيه
الأجل السيد محمد بن عبد الحميد ، وعلى شقيقنا الحافظ أبي الفيض
رحمه الله .

ثم رحلت إلى فاس لقراءة العلم بجامع القرويين . أكبر جامع بالشمال
الأفريقي ، وهو أكبر من الأزهر وأقدم . وفيه تخرج علماء المغرب ، ودرس
فيه أبو بكر ابن العربي المعافري ، ومحيي الدين ابن العربي الحائمي ، وابن
خلدون ، وأبو الحسن الشاذلي ، وابن غازي وزروق وغيرهم .

فحضرت الألفية بشرح المكودي على العلامة الحبيب النسيب السيد
الحبيب المهاجي كما حضرت عليه في مختصر خليل بشرح الخرشي ، والسلم
بشرح القويسني في المنطق .

وحضرت الألفية بشرح ابن عقيل على العلامة الشيخ محمد — بفتح
الميم الأولى — ابن الحاج ، مع مراجعة حاشيتي السجاعي والخضري .

وحضرت الألفية أيضا بشرح التوضيح لابن هشام ، مع مراجعة
التصريح للأزهري ، وحاشية الطيب بن كيران على التوضيح أيضا ، وبشرح
المكودي مع مراجعة حاشية ابن الحاج ، على ابن المحشي العلامة الشيخ
محمد بن الحاج ، كما حضرت عليه في مختصر خليل بشرح الخرشي ، وحضرت
عليه جملة كبيرة من صحيح البخاري بالجامع الإدريسي ، وكان قوي الحافظة ،
يبدى إعجابه بالحافظ ابن حجر ، ويتورك على العيني في اعتراضاته عليه ،
ويقول عنه بعد حكاية اعتراضه : كَأَنِّي بِهِ لَمْ يَفْهَمْ كَلَامَ الْحَافِظِ ، ثم
يجيب عنه .

ولما وصل في قراءة البخاري إلى كتاب الجهاد والمغازي ، بعث إليه
حاكم فاس الفرنسي وطلب منه أن يتخطى هذا الباب إلى غيره ، ويقرأ
ما بعده ، فامتنع عن الدرس أياما ، وبعد مراجعة وكلام حصل الاتفاق

على أن يقرأ كتاب الجهاد ، على ألا يتوسع في الشرح ، وهذا نوع من الضبط الذي كان يمارسه الاستعمار الفرنسي في المغرب .

وحضرت باب الجنائيات والقصاص من مختصر خليل بشرح الخرشي على العلامة المحقق السيد أحمد القادري .

وحضرت في المختصر أيضا على إمام جامع القرويين العلامة السيد إدريس المراكشي وكان على علمه وفضله فيه غفلة .

كما حضرت في المختصر أيضا على العلامة الشيخ محمد الصنهاجي ، وحضرت من باب الإجارة إلى الآخر من شرح الدردير لخليل ، على العلامة الشيخ عبد الرحمن بن القرشي ، القاضي . وحضرت مواضع من مختصر خليل بشرح عبد الباقي الزرقاني على شيخ الجماعة العلامة السيد عبد الله الفضيلي . كما حضرت عليه رسالة الوضع ، وكان محققا بارعا .

وحضرت فرائض مختصر خليل بشرح الخرشي وحاشية شيخ الجماعة السيد أحمد بن الخطاط ، على العلامة الشيخ أبي الشتاء الصنهاجي ، وكان صالحا خشنا المعيشة والملبس ، وهو شقيق الشيخ محمد الصنهاجي السابق .

وحضرت المقدمة الأجرومية على شيخ الجماعة بفاس العلامة السيد أحمد بن الجيلاني الأمغاري ، وحضر عليه معظم العلماء تبركا . كما حضرت عليه مواضع من مختصر خليل بشرح الخرشي .

وحضرت على العلامة القاضي السيد الحسين العراقي جمع الجوامع بشرح المحلى ، وتفسير الجلائن بحاشية الصاوي .

وحضرت مبحث الأداء والقضاء من مقدمة جمع الجوامع ، على العلامة المحقق السيد الرازي الحنشي ، وكان منقطع النظير في التحقيق .

وحضرت مقدمة جمع الجوامع بشرح المحلى على العلامة المحقق القاضي

العباس ابن أبي بكر البناني ، كما حضرت عليه قسم التوحيد من منظومة ابن عاشر وذكر مرة في درس الأصول حديثاً لم يعرف رتبته ، فبينتها له ، فسألني من أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : تبارك الله ، الدر من معدنه لا يستغرب . وطلبت منه مرة فتوى فقهية في خصومة كانت بين بعض الإخوان . فسألني هل يطلع عليها والدك ؟ قلت : نعم . قال : إذا يجب التدقيق فيها ، لأن والدك في العلم مخيف .

وأخذت عنه أيضاً شرح البناني على السلم في المنطق . كما أخذت عنه المقولات . وأجاز لي إجازة عامة كتبها لي بخطه ، كما أجاز لي الشيخ محمد ابن الحاج السابق ، والسيد المهدي العزوزي الذي يروي عن السيد مرتضى الزبيدي شارح القاموس ، بواسطتين .

ثم رجع من الشام إلى فاس العلامة المحدث الولي الصالح السيد محمد ابن جعفر الكتاني ، فلازمته واستفدت منه .

ثم رجعت إلى طنجة ، فدرست بالزاوية الصديقية لبعض نجباء الطلبة والإخوان المقدمة الآجرومية ورسالة ابن أبي زيد بشرح أبي الحسن . وكتبت إذ ذاك شرحاً على الآجرومية ، يعتبر أكبر شرح وأكثره فوائد ، بعد أن راجعت من شروحاتها وحواشيتها ما ينيف على العشرين . منها شرح الراعي وهو مخطوط ، وشرح الشيخ أحمد بابا السوداني ، وهو مطبوع بفاس مع حاشية السيد المهدي الوزاني عليه . وشرح الشيخ علي بركة التطواني ، وعليه ضريح يزار بمدينة تطوان ، وشرحه هذا مخطوط . وشرح سيدي أحمد ابن عجيبة ، وحاشية الفيشي علي الأزهرى وهما مخطوطان أيضاً . وعرضته على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه فأصلح فيه مواضع بخطه وأقره وسماه شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى ، تشييد المباني لتوضيح ما حوته المقدمة الآجرومية من الحقائق والمعاني .

وكننت إلى جانب هذا أقوم باختصار كتاب ، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، للشوكانى بأسلوب غير أسلوب ، حصول المأمول ، للقنوجى ، مع حضورى على سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه فى رسالة ابن أبى زيد بشرح أبى الحسن ، وفى شرح العارف أبى محمد ابن أبى جمره المختصر ، للبخارى قبل أن يطبع . وكننت أرجع إليه فى مواضع من كتاب ، مغنى اللبيب ، كانت تشكل على ، فيشرحها لى . وقد قرأت هذا الكتاب مع مراجعة شرح الدمامينى وحواشى الأمير والدسوقى وعبدالهادى نجما الايبارى ، وانتفعت به كثيرا كما انتفعت بكتاب ، الاشباه والنظائر النحوية ، للسيوطى وكان من مراجعنى فى شرح الأجرومية (١) .

وكننت بكونا أخرى فى مسائل نحوية عويصة ، بإشارة سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه ، الذى كان يشجعنى على البحث والكتابة ، ويدربنى على معرفة المظان . واتخذنى كاتبه ، أكتب له الفتاوى التى يحررها إلى الجهات المختلفة من أنحاء المغرب (٢) ، وتارة يأمرنى فأمضيها باسمى . وكان مع أصدقائه يثنى على معرفتى وفهمى .

(١) قرأت فى كتب النحو كثيرا ، مثل شرح المرادى وبدر الدين ابن مالك والسيوطى ودحلان على الألفية ، والأول مخطوط ، والثلاثة بعده مطبوعة ، وحاشيتى الطرنباطى ويس العليمى عليها أيضا وشرح التسهيل لابن عقيل مخطوط ، وجمع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى ، والاقتراح فى أصول النحو له أيضا ، وشرح ابن زكرى على الفريدة وهى ألفية السيوطى فى النحو . وكننت شديد الشوق للاطلاع على كتاب شرح المفصل لابن يعيش حتى طبع وحقق الله أمنيى بالاطلاع عليه ، وقرأت شرح الجمل للمجرادى ، وغير ذلك .

(٢) وكانت فتاواه فى نهاية الدقة والتحرير وكان لا يتقيد بمذهب مالك الذى بلغ فيه رتبة الاجتهاد بل كان يفتى ببقية المذاهب الأربعة ، وكان مع هذا واسع الاطلاع فى فقه الزيدية والامامية والإباضية .

وجاء مرة الأستاذ الأديب الشيخ محمد بن العياشى مكيرج - وهو من تلاميذه ، وله مؤلفات - برمالة شرح فيها أبيات ابن مالك التى مطلعها :

إنى أقول لمن ترجى وقايتة قى المستجير قياه قوه قى قينا(٢)

وعرضها عليه لىبى رأى فيها ، فقال له : اعرضها على فلان - يعنى - . فله بهذا العلم معرفة جيدة ، فجلسنى بالرسالة ، وقال لى : إن السيد أمرنى بعرض الرسالة عليك . وأثنى على علمك وفهمك ، فقرأتها وأبدت له رأى فيها . وكان يتحدث إلى ساعات طويلة عن الكتب العلمية فى مختلف العلوم ، فيعطىنى فكرة عن كل كتاب وما يمتاز به عن غيره ، المطبوع منها والمخطوط . وكانت حافظته قوية جدا ، إذا أفاض فى موضوع أتى فيه بما يدهش السامع ، وكنت أتكلم معه مرة فى مسائل نحوية ، وجاء ذكر لفظ (البتة) وهل هو بهمزة وصل ؟ أو قطع ؟ فقال لى : تكلم عليه الحافظ ابن حجر فى الفتح وحكى فيه الوجهين واختار الوصل .

كما حكاهما الأزهري فى التصريح واختار القطع ، وعين لى الموضع فى الكتابين ، فوجدتهما كما قال . وقال لى مرة فى بعض خطاباته إلى : أنت فقيه محدث صوفى . وتلقنت منه طريق الشاذلية ، كما تلقنه من شيخه القطب الكبير سيدى محمد بن إبراهيم عن شيخه العارف المحب الربانى سيدى عبد الواحد بنانى ، عن شيخه العارف المحبوب سيدى محمد أيوب ، عن جدنا القطب الغوث الجامع سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغمارى ، عن قطب الواصلين مولاي العربى الدرقارى ، وبقية السلسلة

(٢) وهى فى الأفعال التى يجىء فعل الأمر منها على حرف واحد ، لأنها معتلة الفاء واللام ، نحو وقى ورعى ووسى ووشى ووفى ، وقرأت رسالة فى شرحها أيضا للشيخ مصطفى البدرى الدمياطي .

مذكورة في أوله إيقاظ الهمم بشرح الحكم ، لجدنا سيدى أحمد
ابن عجيبة .

ثم أذن مؤذن الرحيل إلى مصر ، فركبنا باخرة يابانية من جبل
طارق أنا وشقيقى الأكبر الحافظ أبو الفيض رحمه الله ، وشقيقى الأصغر
منى العلامة السيد محمد الزمزمى ، ومعنا أحد الاخوان الصديقيين اسمه
أحمد عبد السلام الشرقى ، وشهرته الحاج شكاره رحمه الله (١) .

وقفت الباخرة بنا فى مالطة ، فنزلنا إليها ، وشهدنا شوارعها
ومعالمها ، ولغة أهلها ، ثلثها عربى ، وثلثاها انجليزى . لأنهم كانوا
مسلمين (٢) يتكلمون العربية لغة القرآن ، لكن الاستعمار الانجليزى
تمكن منهم ، فسلبهم دينهم ولغتهم . وهكذا فعل الاستعمار الأسباني
فى الأندلس ، والاستعمار الإيطالى فى صقلية ، وهكذا حاول أن يفعل
الاستعمار الفرنسى فى البربر بالمغرب ، وهذه هى خطة الاستعمار فى كل
مكان وزمان .

ثم واصلت الباخرة سيرها ، فوصلت إلى الإسكندرية أواخر

(١) كان ملازما لخدمة شقيقى الحافظ أبى الفيض منذ صغره ، وحفظ معه
القرآن فى الكتاب الذى كان يراويتنا ، وهو من تلاميذ سيدنا الإمام الوالد رضى
الله عنه فى الطريقة الصديقية ، توفى بمحطة كفر الزيات ودفن بمشلة قرية قريبة
منها ، يقام له موسم ثانى خميس من شهر رجب كل سنة ، وأهل تلك البلدة
يحكون عنه كرامات .

(٢) فتحت جزيرة مالطة سنة ٢٥٥ هجرية ، فتحها أبو الفرائق محمد بن أحمد بن
الإغلب ، وأسر ملكها . وفتحت صقلية سنة ٥٢١٢ هـ فتحها زيادة الله بن إبراهيم
ابن الأغلب ، أرسل لفتحها جيشا بقيادة أسد بن الفرات صاحب كتاب الأسدية
فى مذهب مالك .

شعبان سنة ١٣٤٩ هجرية . نزلنا فيها عند قريب لنا اسمه الحاج محمد أجزنتاي ، وفي الأسبوع الأول من رمضان وصلنا إلى القاهرة المعزّية ، واستأجرنا بيتاً في شارع الكحكيين ، بجوار الشيخ الدردير . وبعد انتهاء رمضان وإجازة العيد ، التحقت بالأزهر .

فحضرت بالقسم العالي منهاج البيضاوي بشرح الاستوى في الأصول ، على الشيخ حامد جاد .

وحضرت جمع الجوامع بشرح المحلى من كتاب القياس إلى الآخر ، على العلامة المحقق الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي ، كما حضرت عليه رسالة آداب البحث والمناظرة ، واستجزته فوجدته لا يعرف معنى الإجازة .

وحضرت السلم بشرح الملوي وحاشية الصبان على الشيخ عبد القادر الزنتاني ، برواق المغاربة .

وحضرت التهذيب بشرح الخبيصي في المنطق ، على العلامة المحقق البارع الشيخ محمود الإمام عبد الرحمن المنصوري . أعجبت بشدة تحقيقه ، وسعة اطلاعه في علوم المعقول ، والفقهاء الحنفى ، فتعرفت به وزرته في بيته بشبرا ، وأطلعني على مكتبته القيمة .

ولما علم أن عندنا تخرج أحاديث الكشاف للزيلعي ، طلب مني إعارته إياه لينسخه . كما طلب مني أن أبحث له عن حاشية ابن سعيد التونسي على الأشمونى ولو باستحضارها من تونس ، لأنه كان معجبا بها غاية الإعجاب (١) . سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، كما سمعته من

(١) وهى من حيث علم النحو أفيد وأحسن من حاشية الصبان ، والحقيقة أن الصبان أفسد حاشيته بكثرة مناقشته للحنفى تعنتا واعتسافا ، وفعل مثله ابن =

الشيخ أحمد الحلواني ، وكتب لي سنده فيه بخطه ، ولم تكن عنده اجازة ،
رحمه الله وأكرم مثواه .

وحضرت الربع الأول من شرح الدردير لمختصر خليل ، على شيخ
اسمه الشيخ عمران (٢) . وكان سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه
قد أوصاني بقراءة فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقرأت شرح الخطيب
لمن أبي شجاع ، على الشيخ عبد المجيد الشرقاوي ، وكان يتقن فقه الشافعية
اتقاناً ما عليه مزيد ، وهو من ذرية الشيخ عبد الله الشرقاوي شارح
مختصر الزيدى .

وقرأت الربع الأول من المنهج بشرح زكريا الأنصاري وحاشية
البحيرى ، على الشيخ محمد عزت ، وهو متين في الفقه الشافعي جداً .

وحضرت دروساً في جمع الجوامع ، على الشيخ دسوقي العربي المالكي ،
وكان يعنى بمناقشة عبارات الشارح ، وما كتب عليه الناصر اللقاني ،
وما أجاب به ابن قاسم العبادي . الخ

=الحاج في حاشيته على المكودي . فقد أكثر من الاعتراض عليه بحق وبغير حق .
ولذلك كانت حاشية المهدي الوزاني على المكودي أفيد ، وهي مطبوعة بفاس في
جزئين وذكّر لي سيدنا الإمام الوالد رضي الله عنه أنه رأى المكودي في رؤيا
يشكو إليه من اعتراضات ابن الحاج وطلب منه أن ينتصر له ، ولما حكاهما لي ،
كلفني أن أقوم بهذه المهمة عنه .

(٢) بما لاحظته أن علماء المغاربة أعلم بالفقه المالكي وأعرف بقواعده
وأوسع اطلاعا على كتبه من علماء مصر بل بما لاحظته بوجه عام أن العالم
المغربي يعطى الدرس حقه من البحث والاطلاع على الكتب المتصلة به ، ما لا يوجد
مثله عند العالم الأزهرى الذى لا يتجاوز في درسه حل عبارة المتن والشرح . =

وحضرت دروساً من شرح الهداية في الفقه الحنفي ، على مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها الشيخ محمد نجيب المطيعي الحنفي ، كما حضرت عليه دروساً في التفسير ، وزرته بيته في الزيتون غير مرة ، واستجزته فأجاز لي أجازته عامة ، وكان يزورنا بالبيت ويسأل شقيقنا الحافظ أبا الفيض عن أحاديث تعرض له ، وكان واسع العلم ، غزير الاطلاع ، حاضر البديهة ، سريع النكتة ، كريم الخلق ، سخي اليد ، رحمه الله ، وأثابه رضاه .

وسمعت حديث الأولية من مسند الديار المصرية السيد احمد رافع الطهطاوي ، وأجاز لي بما حواه ثبته ، المسعى الحميد إلى بيان وتحرير الاسانيد ، (١) وأجاز لي الشيخ محمد إمام السقا خطيب الجامع الأزهر . والشيخ محمد السمالوطي ، بعد أن حضرت عليه دروساً في سنن الترمذي .

وأجاز لي الشيخ عويد نصر الخزاعي المكي عن الشيخ عبد الهادي نجا الأياري بمؤلفاته ومروياته . والشيخ طه الشعبيني شيخ الطريقة الشاذلية ، وكان عالماً صالحاً فاضلاً ، ومن شيوخه الشيخ احمد الرفاعي شيخ المالكية ، والشيخ عبد القادر الشفشاوني صاب كتاب « سعد الشموس والأقمار » .

== فطريقة المغاربة في التدريس تعطى الطالب ملكة الفهم ، وتعلمه كيفية البحث في كتب العلم وقواعده . وطريقة الأزهريين تعطى الطالب ملكة الفهم فقط . نعم كان الشيخ محمود الإمام على طريقة المغاربة ، حضرنا عليه تهذيب السعد بشرح الخبيصي ، فكان لا يدع شيئاً يتصل بالكتاب وشروحه وحواشيه ، وبالعلم وقواعده إلا أتى به وناقشه وقرره . وبهذه الطريقة حضرت ثلاث سنوات بفاس ، حصلت فيها ما يمكن تحصيله في عشر سنين .

(١) وهو كتاب نفيس ، نبه فيه على أوهام وقعت في كثير من الإثبات ، خصوصاً فهرس الفهارس للشيخ عبد الحى الكتاني .

ومن أجاز لي من شيوخ مصر : الشيخ عبد الغنى طموم إمام المسجد الحسيني ، والسيد محمد البلاوي خطيب المسجد الحسيني ونقيب الأشراف .

والشيخ عبد المجيد اللبان ، زرتة بمعهد الاسكندرية ، وكان شيخا له ، وذلك بعد ما نزلنا من الباخرة بيومين فهو أول شيخ بمصر أجاز لي . ثم لما عين عميدا لكلية أصول الدين ، حصل حادث على (٢) ، خدمته فيه خدمة قيمة فتوطدت أواصر المودة بيننا ، وجهد أن يعينني مدرسا للحديث عنده في الكلية ، فلم يستطع ، لشدة معارضة الشيخ المراغى شيخ الأزهر إذ ذاك .

(٢) لما طبع رد الدارمي على بشر المريسي ، وكانت فيه عبارات صريحة في التجسيم . كتب الشيخ اللبان مذكرة لشيخه الأزهر يطلب فيها منع تداول الكتاب باعتباره خطرا على عقائد العامة ، ونقل منه حديث الأوعال نموذجاً لما فيه . وفاته أن يذكر ما هو أصرح منه . فحوت المشيخة مذكرة إلى لجنة ، من أعضائها محمود أبو دقيفة وعيسى منون ، فكتبت اللجنة تقريراً في ثمان صفحات ، قالت فيه عن حديث الأوعال : رواه أبو داود وصححه بعض الحفاظ ، ونقلت كلام ابن القيم في شرح تهذيب السنن ، كما نقلت عبارات من تهذيب التهذيب في توثيق بعض رجال السند . وانتهت إلى أن الكتاب لا خطر فيه على العامة ، فلا يمنع . ووزع التقرير - بعد طبعه - على جماعة كبار العلماء ، فأخرج اللبان وسقط في يده ، وزاره صديق له . فأخبره بالقصة . وقال له : لو طلبت من الشيخ الشنقيطي أن يرد على التقرير ، فإنه يفضحني بكلامه في المجالس . قلت : ما كان الشيخ حبيب الله يستطيع الرد على التقرير ، لأنه لا خبرة له إطلاقاً بالرجال والأسانيد ، وإنما كان يستطيع الرد بحق ، الشيخ الكوثري الذي كان مريضاً . فقال له ذلك الصديق : أعرف عالماً شاباً يرد على التقرير ويبطله فقال : أدركني به . وجاءني وأخبرني بالقصة ، وطلب مني زيارة الشيخ اللبان ، فزورناه في بيته بالعباسية ، وسلمني التقرير وهو متجهماً الوجه مهموم ، فقرأته ، وقلت له : ابطاله سهل . فسر وانبطت أسارير وجهه . وبعد أربعة أيام سلمته رداً في خمس وعشرين صفحة ، بينت فيه ضعف الحديث وسقوطه من جهة انقطاع في سنده ،

والشيخ محمد الخضر حسين ، شيخ الجامع الأزهر ، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية وكان يزورني بالبيت ، ويسألني عن أحاديث يحتاج إليها في مواضع يكتب فيها .

والشيخ محمد دويدار الكفراوى ، زرتة بيته في تلا ، وكان قد جاوز المائة بسنتين ، فتناولني ثبت الشبراوى ، وأجاز لي بما فيه ، وكتب الإجازة بخطه . وهو يروى عن الشيخ اسماعيل الحامدى محشى الكفراوى ، وصاحب الرسالة في الحماله ، والشيخ عيسى القلماوى ، والشيخ الانبائى والشيخ الشريبنى وغيرهم ، ويروى بالعامه عن الشيخ ابراهيم الباجورى ، وأجاز لي الشيخ أبو النصر القاوقجى عن والده أبي المحاسن وغيره . وأخوه كمال الدين ، باستدعاء شقيقى الحافظ أبي الفيض ، لأنه توفي قبل حضورى إلى مصر (١)

= وضعف بعض رجاله ، واضطراب في متنه ، ونكارة معناه من عدة وجوه . وبينت خطأ أعضاء اللجنة في فهم نصوص الحفاظ ، وجهلهم باصطلاح أهل الجرح والتعديل . فطبعه وقدمه إلى المشيخة التي قدمته إلى اللجنة ، فاجتمع أعضاؤها ثانيا وكتبوا تقريراً آخر عدلوا فيه عن رأيهم الأول ، ووافقوا على منع الكتاب . وأطلعنى الشيخ على هذا التقرير وهو مسرور باتتصاره ، وشكرنى كثيراً رحمه الله . وحاصل حديث الأوعال : أن أربعة من الملائكة على صورة الأوعال - والوعل التيس الجبلى - يحملون العرش على أكتافهم ، والله فوق العرش .

(١) ومن أجاز لي السيد أبو القاسم الدباغ وكان مجتهداً لا يقلد . والشيخ محسن ناصر شيخ رواق اليمن عن صاحب « عقد اليواقيت الجوهريّة » ومن طريقه يتصل سندنا بالسادّة آل باعلوى وغيرهم من أشراف حضرموت وعلمائها . والشيخ الرحلة عمر حمدان التونسى ، بعث لي بالإجازة من مكة وبها توفي ، وهو يروى عن أكثر من مائة شيخ من مختلف البلاد الإسلامية . والشيخ محمد عبد الباقي الأنصارى بعث لي من المدينة المنورة بكتابه في المسلسلات ، وأجاز لي به وبسائر =

وفي سنة ١٣٥٠ تقدمت لامتحان شهادة العالمية الخاصة بالغرباء ،
والامتحان فيها يكون في اثني عشر علما ، هي : النحو والصرف ، والمعاني ،
والبيان ، والبديع ، والأصول ، والمنطق ، والتوحيد ، والفقه ، والتفسير ،
والحديث ، ومصطلح الحديث . فنجحت في الامتحان ، وحصلت على
الشهادة ، بمضاهة باسم شيخ الأزهر ، وهو الشيخ محمد الأحمدى الظواهري
في ذلك الوقت ، وكان عالما ذكيا صوفيا ، إلا أنه ضعيف .

وفي هذه السنة طلب مني كثير من الطلبة أن أدرس لهم بعض العلوم ،
فشرعت في تدريس المكودي على الألفية ، وأنا أول من درسه بالأزهر ،
و درست لهم الجواهر الممكنون في البلاغة ، والسلم في المنطق ، بشرح البناني
وسلم الوصول إلى علم الأصول لابن أبي حنبل ، ثم درست جمع الجوامع
بالرواق العباسي بين العشامين ، فحتمته في أربع سنوات .

وحضر على الطلبة من أندونيسيا والهند وتركيا ويوغوسلافيا ورومانيا
والبانيا والشام والحجاز واليمن والحبشة والصومال والسودان وشمال افريقيا

== مروياته ، ومن شيوخه خاله علامة الهند أبو الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى .
وشيوخ علماء دمياط الشيخ محمد محمود خفاجة ، كتب لي بالإجازة على ظهر كتاب
أوائل بعض الكتب الحديثية لشيخه أبي الحسن القاوقجي . والشيخ بدر الدين
الدمشقي والشيخ توفيق الأيوبي . والشيخ سعيد الفراء وغيرهم من علماء الشام .
والشيخ عبد الواسع اليمني ، بعث لي بالإجازة من صنعاء ، ثم قابله بمصر ، وله
مؤلفات مطبوعة . وشيخ المالكية بتونس الشيخ الطاهر بن عاشور ، بعث لي
بالإجازة وبعض مؤلفاته من تونس . والسيد هبة الله الحسيني ، بعث لي بالإجازة
من النجف ، وعن طريقه يتصل سندا بعلماء الشيعة الإمامية . وأجاز لي أيضا
شقيقنا الحافظ أبو الفيض بعد أن أخذت عنه نخبة الفكر ومقدمة ابن الصلاح
وسنن أبي داود سماعا . ومواضع من جامع الترمذي وبعض المسلسلات ودروسا
في السيرة وفي نيل الأوطار وإرشاد الفحول .

وغيرها ، وكان الطالب من أندونيسيا والحبشة والصومال إذا تخرج وسافر إلى بلده ، يوصى إخوانه القادمين إلى مصر ، بالحضور على ، وكنت أذا كنت دروس امتحان العالمية لطلبة القسم العالي المصريين ، وجميع من ذاكرت لهم نجحوا ، وهم يتولون الآن وظائف في الأزهر وغيره ، بل الطلبة الغرباء الذين حضروا على ، أو ذاكرت لهم نجحوا ، وتولوا في بلادهم وظائف كبيرة .

وفي سنة ١٣٥١ زارنا بالبيت الأستاذ حسن قاسم - من ذرية الشيخ عبد القادر الكوهن - وطالب منى أن أكتب مقالات لمجلة الإسلام التي كان محررا فيها - وهي أكبر المجلات الإسلامية إذ ذاك - فكتبت فيها بحوثا حديثة ، أعجب بها القراء أيما إعجاب ، وانهايت على إدارة المجلة ، خطابات الاستحسان والاستزادة من الشام والسودان والمغرب والجزائر والبحرين وغيرها . وكتب إلى الشيخ محمود شويل أمام المسجد النبوي بالمدينة المنورة . كتابا مطولا يثنى فيه على علمي واطلاعي ، ويقول : كنا نعد علم الحديث ، ينتهي في مصر بعد الشيخ رشيد رضا والشيخ احمد شاكر (١) لكن حين قرأنا بحوثك ، ضمنتك إليهما ، فانت عندنا في

(١) مع أنه لم يكن من علماء الحديث ، وتربيته اسند أحمد ليس فيه شيء من الصناعة الحديثية ، بل فيه أغلاط كثيرة في الكلام على تصحيح الأحاديث وتضعيفها . وأحيانا يتكلم في الرجال بلسان العصبية الوجدانية ، مثلا عبد الله بن هبة المصري ، يقول عنه : ثقة حجة ، فيرفعه إلى درجة رجال الصحيح ، مع أن آخر ما وصل إليه نقد الحافظ الهيثمي فيه : أن حديثه حسن ، لكن ينبغي تقييده بما صرح فيه بالسماع ، لأنه مداس ، ذكره الحافظ في طبقات المداسين ، وصرح بضعفه في التلخيص الحبير ، والسكافي الشاف : ولذا كان الحافظ المنذرى أدق من الهيثمي . حيث صرح في الترغيب بأن حديث ابن هبة حسن في المتابعات . وقد كان للشيخ أحمد شاكر في الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم المصريين الثقات الأئمة غناء عن توثيق ابن هبة . نعم كان الشيخ رشيد رضا ذا خبرة بالصناعة الحديثية تبين لي بعد ذلك أن الشيخ احمد شاكر محدث ناقد رحمه الله .

في الرتبة بعد الشيخ شاكر . وقابلت مرة طالبا سودانيا عند أحد المكتبة بالأزهر ، فلما عرفني أبدى إعجابه بما قرأ لي ، وقال : عندنا في السودان ، إذا جاء مقال أو افتاء من مصر باسم أحد شيوخ ثلاثة ، سلموه بدون مناقشة .

قلت : من هم ؟ قال : الشيخ بخيت والدجوى والغماري . ولما مر بمصر في طريقه إلى الحجاز العلامة المحدث السيد عبد الحى الكتانى ، وذهبت لزيارته ، هنا في الحصول على شهادة العالمية ، وأبدى إعجابه ببحوثي ، وقال : نحن نفخر بما تكتبه ، وكنت قبل ذلك سمعت منه حديث الأولي ، وحضرت عليه دروسا في حاشية الشنواني على مختصر ابن أبي جرة ، بجامع القرويين ، وأجاز لي اجازة عامة .

واستمرت كتابتي بمجلة الإسلام ، عشر سنوات ، حصلت فيها مناقشات بيني وبين بعض العلماء ، في مسائل متعددة . وكتبت أيضا في مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية ، ومجلة هدى الإسلام ، ومجلة الرابطة الإسلامية ، ومجلة الشرق العربى ، ومجلة الإرشاد التى تصدرها خطباء وأئمة المساجد بمصر ، ومجلة المسلم التى تصدرها العشيرة المحمدية ، وهى جمعية صوفية فاضلة مباركة . ونشرت مجلة التمدن الإسلامى التى تصدر فى دمشق مقالا لي فى شرح حديث ، نقلنا عن مجلة الشرق العربى .

وتعرفت بالامتاذ العلامة المطلاع البارع الشيخ محمد زاهد الكوثرى رحمه الله ، فتوطدت بيننا أواصر المودة والصداقة ، وكان يسألنى عن بعض الأحاديث التى يسأل هو عنها ، وكنا مرة عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوى ، بعزبة النخل ، وكان المجلس غاصا بالعلماء وغيرهم ، وهو يتكلم فى مسائل علمية متنوعة ، فوجه إليه أحد الحاضرين سؤالا عن حديث ، فوجه السؤال إلى ، وقال : لا يفنى ومالك فى المدينة ، ولما استجزته بيته بالعباسية أجاز لي ، واستجازنى وألح على أن أجزله بل بلغ من

وثوقه بعلمي أنه نشر مقالا (١) بمجلة الإسلام يقرظ فيه كتابي « إقامة البرهان

(١) جمع بعض محبيه وتلاميذه مقالاته ونشروها في كتاب خاص ومع أنهم نشروا جميع مقالاته المطبوعة في مجلة الإسلام لم ينشروا المقال المشار إليه . لأن فيهم حاقدًا أشار بعدم نشره . ولم يكن منا إساءة لذلك الحاقد الا أننا فتحنا له بيتنا بأوى إليه متى شاء ، ونفعناه بعلمنا ومكتبتنا ومائدتنا قبل أن يعرف الكوثرى ببضع سنوات . ولما عرفه أخيرا ، سعى كالشيطان ليفسد الصداقة التي بيننا . لكن المرحوم الكوثرى كان عاقلا لا يصدق كلام الحقدة الكذبة ، وظلت صداقتنا على حالها ، نزاور ، وتتقابل يوم الجمعة بمسجد محمد بك أبي الذهب ، ويوم الاثنين بمكتبة الخانجي . وإذا زرتة في بيته وحضرت صلاة المغرب أو العشاء قدمني للصلاة بالحاضرين ، ولم يتقدم قط رغم إلحاحي عليه . وأذن لجماعة من علماء الهند في ترجمة كتابي « إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان » إلى اللغة الأردية قبل أن يستأذني ، ثم أخبرني بذلك . وكان إذا تقابلنا في مكتبة الخانجي . يخرج من جيبه خطابا لذلك الحاقد ، ويسألني عن أحاديث سأله عنها ، فأجيبه بما أعلم فيها . كل هذا وأكثر منه حصل بعد سعي ذلك الحاقد - أسحق الله عينه - في إفساد المودة بيننا . وكنا نعجب بالكوثرى لعلمه وسعة اطلاعه وتواضعه ، كما كنا نكره منه تعصبه الشديد للحنفية ، نعصبا يفوق تعصب الزمخشري لمذهب الاعتزال . حتى كان يقول عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض : هو مجنون أبي حنيفة ، ولما أهداني رسالته « احقاق الحق » في الرد على رسالته إمام الحرمين في ترجيح مذهب الشافعي ، وقرأتها ، وجدته غمر نسب الإمام الشافعي ، ونقل عبارة عن زكريا الساجي في ذلك . فلمسته على هذا الغمر ، وقلت له ان الطعن في الأنساب ليس برد علمي ، فقال لي : متعصب رد على متعصب ، هذه عبارته فاعترف بتعصبه . وزرتة مرة بيته أنا والشريف الجليل السيد محمد الباقر الكستاني ، وجرى الحديث بيننا في مسائل علمية ، وجاء ذكر الحافظ ابن حجر ، فأبدى السيد الباقر إعجابه بحفظه وبشرحه للبخاري . وأيدته في ذلك ، فقلل من قيمة شرحه المذكور ، وقال : كان يعتمد على الأطراف في جمعه لطرق الحديث - وهذا غير صحيح - وذكر أنه أي الحافظ ابن حجر كان يتبع النساء في الطريق ويتغزل فيهن ، وأنه تبع امرأة ظنها جميلة حتى وصلت إلى بيتها وهو يمشي خلفها وكشفت له البرقع فإذا هي سوداء دميمة فرجع خائبا !!! وسر =

على نزول عيسى في آخر الزمان ، الذي رددت به على الشيخ محمود شلتوت ، قبل أن يراه . مع أنه كان ضئيلا جدا بالتقريظ (١) ثم تقدمت لامتحان شهادة العالمية الأزهرية ، ويكون الامتحان فيها في العلوم السابقة ، مضافا إليها علم الوضع ، وعلم العروض والقوافي ، وعلم الأخلاق . فنجحت وكنت الثالث من ستة نجحوا ، وكان المتقدمون للامتحان ستة وثمانين ومائتين .

= هذه الحلة أن الحافظ كان يحمل على بعض الحنفية في كتب التراجم ، مثل الدرر الكامنة ورفع الأضر . وقال عن العيني الحنفي : كان يأخذ كرايس من فتح الباري من بعض طلبته ، فيستفيد بها في شرحه ، فلما علم الحافظ ذلك منع إعطاء الكرايس للطلبة . وأكبر من هذا أن الكوثرى روى أنس بن مالك رضي الله عنه بالخرق ، لأنه روى حديثا يخالف مذهب أبي حنيفة ، وأقبح من هذا أنه حاول تصحيح حديث موضوع لأنه قد يفيد البشارة بأبي حنيفة ، وهو حديث « لو كان العلم باثريا لتناولوه رجال من فارس » ، فإن الحديث في الصحيحين بلفظ « الإيمان » . والنبي صلى الله عليه وسلم لما قاله وضع يده على كتف سلمان رضي الله عنه . فغير بعض الوضعين لفظ الإيمان بالعلم ، كما بينه شقيقنا الحافظ أبو الفيض في « المشنوق والبتار » ، وقال : لو فرض صحته لم يكن فيه إشارة إلى أبي حنيفة . ولكن إلى حفاظ الحديث الذين خرجوا من فارس ، مثل أبي الشيخ وأبي نعيم . لأن العلم في عرف الشرع يراد به الكتاب والسنة ، لا الرأي والقياس . فتعرض له الكوثرى في « تأنيب الخطيب » ورد عليه بعبارة فيها جفاء ، فكتب شقيقنا ردا عليه ، جمع فيه سقطاته العلمية ، وتناقضاته التي منشأها تعصيه البغيض ، وقسا عليه بعض القسوة ، وهو مع هذا معترف بعلمه واطلاعه . ولم يقدم الرد للطبع ، احتراماً لصداقته . والعالمان المختلفان في الرأي لا تنفصم صداقتهما ، كالحاميين يختلفان في ساحة المحكمة ، ويجتمعان خارجها صديقين . لكن بعض الجهلة مثل ذلك الحاقد - أسخن الله عينه - اتخذوا هذا الخلاف العلمي سببا لإشعال نار العداوة بيننا . فحسب الله مسعاهم ، وردهم خاسئين . رحم الله شقيقنا والكوثرى عالمي عصرهما بدون مزاحم ، وجمعنا وإياهما في دار رحمته .

(١) وقد ألح عليه الشيخ عبد القادر بن بدران في تقریظ بعض كتبه كتهذيب تاريخ ابن عساكر ، فامتنع .

وحصلت على الشهادة ، وهي بمضاه باسم الملك فاروق . ورأى المرحوم الكوثرى اسمى في جريدة الأهرام ، فأسرع إلى بيتى بسوق السلاح ، وكان أول من هنأنى بالنجاح ، وبعد هذا بأيام زرت الشيخ محمود شلتوت فى بيته بدعوة منه . وكان إذ ذاك وكيلًا لكلية الشريعة - فهنأنى بعض الأصدقاء عنده ، فقال له الشيخ شلتوت : نحن نهى الأزهر والشهادة الأزهرية بحصول الشيخ عبد الله عليها ، وكنت قبل ذلك زرتة فى كلية الشريعة باستدعائه أيضا ، ليتعرف بى ، بعد أن قرأ ردودى عليه بمجلة الإسلام ، فى نزول عيسى عليه السلام ، وأحدثت دويًا كبيرًا فى الأوساط العلمية . وقال لى حين رآنى : كنت أظنك شيخًا كبيرًا ، لكنك شاب ، قلت : أنا كما يقول المثل العربى : تسمع بالمعبدى خير من أن تراه : قال لا أقصد هذا ، وإنما أقصد أن سنك دون مقالاتك التى تدل على علم كبير واطلاع واسع ، لا يتأتيان إلا من رجل تقدمت به السن ، مع طول الدراسة . قلت : هذا من فضل الله على ، وكان سنى حينئذ ٣٣ سنة ، ثم نادى على الشيخ محمد المدنى ، وعرفه بى ، وحصلت بيننا مناقشة فى مسائل علمية متعددة . وصارت بعدها معرفة ، على خلاف فى رأى بيننا . ولما تم طبع وإقامة البرهان ، قدمت له نسخة فى بيته ، فكتب ردا عليه بضع مقالات فى مجلة الرسالة ، فكتبت كتابًا آخر سميته « عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام » ، وطبع ، وقدمته إليه أيضا فى بيته ، فلم يكتب شيئا بعده .

وقد وفقنى الله إلى كتابة عدة مؤلفات . وهى :

اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بسيد الأنبياء طبع ونقد

الأربعون حديثًا الغارية فى شكر النعم طبع ونقد

الأحاديث المنتقاه فى فضائل سيدنا رسول الله طبع ونقد

الأربعون حديثًا الصديقية فى مسائل اجتماعية طبع مرتين

الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء طبع ونقد

إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان طبع مرتين
وترجم إلى اللغة الأردنية .

الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين طبع ثلاث مرات

عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام طبع

سمير الصالحين ج ١ طبع مرتين سمير الصالحين ج ٢ طبع

حسن البيان في ليلة النصف من شعبان طبع مرات

فضائل القرآن طبع شرح الأجرومية مخطوط

فضائل رمضان طبع

تخريج أحاديث منهاج البيضاوي في الأصول طبع

مصباح الزجاجة في صلاة الحاجة طبع

تخريج أحاديث اللمع طبع

قصة آدم عليه السلام طبع

قرة العين بأدلة إرماع النبي إلى الثقلين مخطوط

قصة ادريس وهاروت وماروت عليهم السلام طبع

خراطير دينية طبع

جواهر البيان في تناسب سور القرآن طبع

نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال طبع

بدع التفاسير طبع

الحجج البينات في إثبات الكرامات طبع

واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن طبع

دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين طبع

النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية طبع
شرح وجيز على الارشاد (١) في فقه المالكية طبع مرات
اعلام النذيل بجواز التقبيل طبع مرتين
الكنز الثمين في حديث النبي الأمين طبع
هذا سوى ما كتبه من مقالات إذا جمعت جاءت في مجلد .

ومن تعليقات على كتاب « أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، لأبي الشيخ
ابن حيان ، وكتاب « إيجاز القرآن ، للخطابي ، والمقاصد الحسنة للسخاوي
وكتاب « تنزيه الشريعة المرفوعة ، لابن عراق ، وتأيد الحقيقة العلية ،
للسيوطي ، ورسائل أخرى له أيضا ، وشرح الأمير على مختصر خليل في
فقه المالكية ، وغير ذلك . ونسأل الله المزيد من فضله .

ولما ذهبت إلى فاس أول مرة ، صعب على العلم ، واستغلقت أبوابه
فكنت إلى مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه أشكو إليه حالتي ،
وأستشير في اتخاذ مدرس خاص يفهمني الدروس ، فأجابني بألا أستعين
بمدرس إطلاقا ، وأمرني باستذكار الدروس والحضور على المشايخ ، سواء
أفهمت أم لم أفهم ؟ وقال لي : العلم لنا مضمون ، وعمّا قريب يفتح الله عليك
وكذلك كان ، فلم تمر سنة حتى فتح الله عليّ وله الحمد . ثم تأقت نفسي للسفر
إلى مصر . وطلبت منه ذلك . قال لي : ستذهب إليها إن شاء الله ، ولكن أحب
أن تذهب إليها عالما يحتاج اليك علماء مصر .

وقد حقق الله كلامه ، فاحتاج إلى منهم كثيرون في مقدمتهم المرحومون
المشايخ نجيب والد جوى واللبنان والخضر حسين .

وكذلك حقق الله بشارته لي في كتاب بعث به إلى وأنا بمصر ، قال فيه :
ولا بد أن تكون عالما كبيرا ، ومحققا شهيرا . وقد رزقني الله والمنة له

التحقيق في علوم النحو والأصول والمنطق والحديث بفنونه الثلاثة ، مع المشاركة التامة في علوم الفقه والبلاغة وغيرها (١) .

وحافظني قوية والحمد لله . واطلاعي كبير بفضل الله . ولهذا أعجبت بالمرحوم الكوثرى الذى كان يرضيني إطلاعه الواسع ، وخبرته التامة بالرجال . ويمكن أن أقول - تقريراً للواقع : بعد وفاة سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه وشقيقنا الحافظ أبى الفيض ، والشيخ بخيت ،

(١) مع أنى لم أتق علوم البلاغة عن أحد الا مواضع من شروح التلخيص أوضحها لى سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه ، بل عكفت على مطالعة عقود الجمان وشرحه ، والمقامات الحريية وشرحها للشريشى ، وهو ملائى بأنواع البديع ، وما ساعدنى على فهم علوم البلاغة تمكنى فى علم العربية الذى يعتبر أساساً لها وهادداً . ودرست الجوهر المسكنون للطلبة بالأزهر ، كما ذكرت لطلبة العالمية بالقسم العالى الأزهر مختصر السعد بحاشية البناتى وتقرير الانبائى . وما يذكر أن بعض أوائك الطلبة رغب إلى شقيقنا الحافظ أبى الفيض أن يذكر له العلوم المقررة عليهم فى الامتحان وهى تفسير النسخى ، والأحكام للامدى فى الأصول ، ومختصر السعد على التلخيص فى البلاغة ، والمسامرة فى التوحيد ، والخبيص على تهذيب السعد فى المنطق . فاعتذر له ، وأحاله على ، فاستقضى فى نظره . وكنا حديثى عهد بالحضور إلى مصر ، لم يمر علينا فيها أكثر من سنة . لكنه اضطر أن يأتى إلى ، فذاكرت له ولإخوانه هذه العلوم فى مدى أربع سنوات هى مدة القسم العالى ، وصار من إعجابه بى ، ووثوقه بعلمى ، لا يثق بفهمه فى أى مسألة حتى يعرضه على وأوافق عليه . ودرست لبعض الطلبة الألبانيين الفاتحة وأوائل سورة البقرة من تفسير البيضاوى ، وأوائل شرح التحرير لابن أمير الحجاج فى الأصول ، واطلعت من كتب الحديث والأصول والتفسير وغيرها على شيء كثير جداً . وكذلك كتب التراجم والرجال والطبقات على اختلاف أنواعها واستدركت على الحفاظ صحابياً لم يذكره ، وهو الحارث بن سعيد عم عمير بن سعيد ، وحديثه فى مستدرك الحاكم بإمضاء صحيح . ولى استدراكات أخرى غيره ، وبالله التوفيق .

والشيخ الكوثري ، والشيخ محمد الخضر حسين ، لا يوجد عالم يجوز تقديرى ، ويرضى معرفتى وإطلاعى . وكنت أعد نفسى ثالثا للكوثري والخضر حسين لأقول هذا نكرا ، وأى نكر لمن ينتظر الموت بين لحظة وأخرى ؟ وإنما أقوله تعريفا بنفسى واقتداء بيوسف الصديق الذى قال لملك مصر :

(اجعلنى على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) وتأسيا بعلماء هذه الأمة وصلحاتها ، ولا يفوتنى أن أذكر حصولى على إجازات من علماء الحجاز واليمن وتونس وغيرها . وحُجج بى وأنا صغير ، حين حججت العائلة ، ثم أدبت فريضة الحج سنة ١٣٧٨ وكنت مالهيا ثم صرت شافعيًا ، ثم تركت التقليد ، لإزراء على الأئمة رضى الله عنهم ، ولكن لأن التقليد إنما هو للعوام الذين لا يعرفون قواعد الاستنباط والاستدلال ، ومن عرفها وتمكن فى معرفتها ، لا حاجة به إلى التقليد على أنى لأفتى إلا على مذهب مالك ، أو الشافعي ، لأنى لأحب أن أحمل أحدا على اجتهدى ورأى ، إلا فى مسألة وضح دليلها ، وعرف طريقها .

ورأيت مبشرات متعددة فرأيت النبی صلی الله عليه وسلم ومعه الشيخان وغيرهما ، ورأيت جبريل عليه السلام وأخبرنى أنه جاء من الأبواء .

ورأيت عليا عليه السلام ، ورأيت الحافظ ابن حزم مرات وابن العربى المعافى ، وعزالدين ابن عبدالسلام وحصلت بيننا مذاكرة فى قاعدة علمية والسيد أحمد البدوى رأيت مرتين ، ورأيت أبا الحسن الشاذلى شارح الرسالة والجل محشى الجلالين ، وجدنا أبا العباس ابن عجيبة ورؤيت لى مبشرات كثيرة ، منها إني زرت مرة قرية أديش الحجر من جملة زياراتى لها ، وألقيت درسا حديثيا كهادى مع أهل البلدة ، وانجر الكلام إلى موضوعات متنوعة حتى انتهى إلى أشراف المغاربة وهل هم ينتمون إلى الحسين ؟ فأخبرتهم أن معظم الأشراف عندنا ينتمون إلى الحسن بن علي عليهما

السلام ، وقليل منهم ينتمى إلى أخيه الحسين عليه السلام ، وسألوني أن أملى عليهم نسي فأمليته عليهم ، لأنى حفظته وأنا فى الكتّاب ، فقال لى الشيخ الحسينى - وكان امام مسجد وسط البلد ومعلم القرآن يتبرك به أهل البلد لهلاجه وغزوفه عن الدنيا رحمه الله - :

أشهد أنك شريف منسب حقا ، قلت : وما ذاك ؟ قال : رأيت الليلة الماضية النبي صلى الله عليه وسلم وقبلت يده ؛ ووجدت شخصا يقعد بجانبه فسألت عنه ، فقال : هذا ولدى وسيتلو عليك نسيه ، فأصبحت بيننا على غير ميعاد ، وتلوت علينا نسيك .

والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ٥



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
من سورة الحج	٩٤	خطبة الكتاب	٤
النور	٩٦	مقدمة	٩
الشعراء	٩٨	من سورة البقرة	١٣
القصص	٩٩	آل عمران	٣٢
لقمان	١٠١	النساء	٣٧
الأحزاب	١٠١	المائدة	٤١
فاطر	١٠٢	الأنعام	٤٢
يس	١٠٧	الأعراف	٤٤
ص	١٠٧	الأنفال	٥١
الزمر	١٢٠	التوبة	٥٤
غافر - فصلت	١٢٠	يونس	٥٧
الشورى	١٢٢	هود	٦٥
الزخرف	١٢٦	يوسف	٦٩
ق	١٢٨	الرعد	٧٣
الرحمن	١٣٠	إبراهيم	٧٤
التحریم	١٣١	النحل	٧٦
المملك	١٣٧	الإسراء	٧٨
القلم	١٣٧	الكهف	٨١
المزمل	١٤٠	مريم	٨٤
المدثر	١٤١	طه	٨٧
الإنسان	١٤١	الأنبياء	٩١

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٤٨	من سورة الفلق	١٤٣	من سورة النبأ
١٤٩	غائبة	١٤٤	عبس
١٥٠	التفسير الاشارى	١٤٥	الغاشية
١٥٢	نبذة جامعة عن التفاسير	١٤٥	الفجر
	المشهورة	١٤٧	الضحى
١٦٣	التعريف بالمؤلف	١٤٧	الم نشرح
	(تم الفهرس)	١٤٨	قريش



مطبعة النجاشي الجديدة
الطبعة الأولى
الأيدياع القانوني رقم 1986/166